

تساريج على نخط الاستواء المصير

من ففها الى ضاءها

من سنة ١٨٦٩ الى ١٨٨٩ م

الجزء الثاني

للأمر

عمر طوسون

سنة ١٣٥٦ هـ - ١٩٣٧ م

- ٣ -

سنة ١٨٨٠ م

من

حكمدارية أمين باشا

رحلته الى غرب المديرية وشرقها واستيلاؤه على بعض المحطات
التي كانت قد أخليت

ابتدأ عام ١٨٨٠ م والحكمدار أمين بك في دوفيليه . وشب حريق في
كوخ اثناء ايقاد الزينة التي أقيمت احتفالا ببدء هذا العام وأوشك
أن يلتهم الاخضر واليابس ويحدث اضرارا جمة إلا أنه لحسن الحظ
أطفئ في الحال .

وقدم الى هذه المحطة من لادو بريد مصدره الخرطوم وورد به أمر
من غوردون باشا بنقل هذا الحكمدار محافظا لمدينة سواكن . وكان
سبب صدور هذا الأمر عدم ارتياح غوردون الى الحكمدار بسبب
الخطوة التي كان قد اختطها وهي امتناعه عن إخلاء المحطات الجنوبية
حسب أوامر غوردون واصراره على معارضة تلك الاوامر باستمرار إذ كان
يرى بصائب رأيه ان إخلاء تلك المحطات ليس في مصلحة الحكمدارية التي
فوض اليه الاشراف على حكومتها .

واستاء أمين بك من هذا الأمر استياء شديدا لأنه كان يمنيح

كثيرا للإقامة في مديرية خط الاستواء لما بذله من الجهود في دراسة الاشياء وما قام به من الابحاث العلمية في تلك المديرية ولكن سرعان ما تلا هذا الأمر خبر استقالة غوردون باشا من وظيفة حكمدار عام السودان وتعيين محمد رءوف باشا محله ذلك القائد الذي كان قد رافق سير صمويل بيكر في الحملة التي ضمت مديرية خط الاستواء الى حكومة مصر وتولى ادارة هذه المديرية قبل حكمدارية غوردون عليها .

وقد أثار تعيين رءوف باشا لحكمدارية عموم السودان مخاوف أمين بك وصار يتربص بين اللحظة واللحظة استدعاه غير أن مخاوفه لم تتحقق فقد ألغى رءوف باشا أمر غوردون وثبته في الوظيفة الشاغل لها .

وكانت المواصلات منع الخراطوم سيئة للغاية وبين كل بريد وما يليه آجال واسعة وهذا ما أوجب تواتر الشكاوى من الحكمدار . وكانت المراسلات تصدر أولا الى شمبي بحرا بالمراكب فتقطع هذه المسافة في ثلاثة أيام ثم من هذه تسافر برا فتصل الى « مشرع الرق » في ستة أيام أو بالمراكب فتصل اليه في ظرف عشرة أيام . وتسافر من مشرع الرق الى الخراطوم بطريق النيل اذا كانت المواصلات غير مقطوعة وإلا فترسل عن طريق دارفور وعندئذ تستدعى الحالة انقضاء شهور عدة قبل ان تصل .

وجاء في خطاب مرسل من الحكمدار أمين بك الى الطبيب « شوينفورث » Cheuinforth أنه كتب من عامين الى غوردون باشا وطلب منه أن يبعث له بعض بذور من مختلف انواع الحاصلات ليزرعها في مديريته ويستغنى بمنتجاتها عما يطلبه من حاصلات البلاد الاخرى وكان

مع ذلك لم يصل اليه الى الآن جواب . وانه استورد بنأ وأرزا من أوغندة
فنجحت زراعة هذين الصنفين نجاحا تاما .

وسافر الحكمدار في بحر العام للتفتيش في الناحية الغربية من
المديرية غير انه ما كاد يصل الى مكرّا كما بعد رحلة ثمانية ايام حتى
استدعى للرجوع الى لادو لوصول باخرة من الخرطوم تحمل البريد
فأب في ٧ ايام .

وكان هذا البريد يحمل له اخبارا سارة زرعت في نفسه آمالا كبيرا
بصدد مستقبل مديريته فقد بلغ له انه لم يعد تابعا لمديرية بحر الغزال
بل صار مستقلا في احكام مديريته وخواول له فوق ذلك إقامة محطات
أينما أراد .

وسافر من لادو لتفتيش القسم الشرقي من مديريته بعد ذلك فوصل
الى مركزى « لاتوكا » Latouka و « شولى » Shouli لاستطلاع احوال
ساكنيهما واحتياجاتهم . وكان يريد ان يذهب الى ابعد من ذلك ولكن
مشاغله الاخرى حالت دون ذلك .

وفي شهر نوفمبر عندما كان في وادلاى وزدت له دعوة ودية من
رئيس من رؤساء قبائل النيام نيام يقال له السلطان « ميو » Mbio
يرجوه فيها القدوم ليشرفه بزيارته . وقد لبث هذا الرئيس ممتعا وغير
مممكن الوصول اليه منذ ١٨ عاما . فقرح الحكمدار بهذه الدعوة وقرر
قبولها لا سيما ان هذا السلطان يملك قدرا كبيرا من العاج وكان جل
امانى الحكمدار ان يرتبط معه بالصلات الودية والتجارية . وكانت

الدعوة المذكورة قد وردت اليه بواسطة رجاله الذين كان قد سيرهم الى ناحية من النواحي الغربية يقال لها « لوجو » Loggo ليقيموا فيها محطة جديدة . وشيد الحكماء عدا هذه المحطة في بحر هذه السنة محطتين آخرين في قسم لاتوكا احدهما في « برى » Berri والثانية في « فاديبك » Fadibek وهذه المحطة الاخيرة لها فروع في « أجارو » Agarar و « فاجولى » Fajulli و « فاتانجا » Fatanga وكل هذه المحطات واقعة شرقى النيل .

ولم يقيم بعمل ما في محطة فاديبك السابق ذكرها سوى ان احتلها احتلالا جديدا لأنه كان يوجد بها في مدة غوردون حامية وكانت محطة زاهية نظرة للغاية من جهة الصحة والعمارة والموقع إذ انها كانت في بقعة ترتفع ٣٠٠٠ قدم عن مستوى سطح البحر . ودخلها من العاج يتجاوز النفقات التى تلزم لصيانة حاميها . وعلى هذا كانت كل الاحوال تغرى باحتلالها . ولكن لما أمر غوردون باخلاء المنطقة الجنوبية شمل الأمر هذه المحطة أيضا . والتمس اجوك Agok رئيس القسم من الحكماء ان يقيم في قريته محطة ويعين فيها جنودا نظامية وقد قدم هو بنفسه ليقدم اليه هذا الطلب وأحضر معه على نفقته قدرا من العاج الى محطة فاتيكو . وبادر الحكماء فى الحال وأجاب هذا الطلب الذى وقع فى نفسه موقعا عظيما إذ انه كان متحقا ان هذه المحطة ستكون من أهبج محطات المديرية وأعمرها لا سيما بعد سفر غوردون .

وسافر اليها هو نفسه من محطة لاجوريه متخذاً طريقا ذات تعاريج كثيرة وصاعدة بين أنحاء كثيرة النبات وافترته فاستقبله رئيسها اجوك الذى

كان قد ضرب بسهم في المدينة من وجهتي الزى والاخلاق وكان يتكلم اللغة العربية بلمجة وكيفية لا بأس بها وكان ايضا يحسن استقبال ضيوفه ويقدم لزائريه القهوة . ويحيط بفاديبك ضياع كثيرة يسكنها اناس من قبائل الشولى ولها سياجات من الخيزران حسنة الصنع وكذلك حقول ممتدة على مدى البصر زرعتها يسر الناظرين . وكل هذا يعد دليلا محسوسا على اليسار ورخاء المعيشة في هذه المنطقة .

وينا علم روشاما Rochama كبير رؤساء الشوليين جميعا بقدمو الحكمدار الى فاديبك بعث بابنه ليلتمس منه الذهاب لزيارته معتذرا بحيلولة صحته وسنه دون الاتيان بنفسه . وكان الحكمدار يعرف شخص هذا الرئيس من أمد بعيد فلبى الدعوة مسرورا وذهب اليه .

وعندما دنا من قرية « بيايو » Biayo مقر روشاما. وقع نظره على اكواخ جديرة بريشة المصور أقيمت بأمر هذا الرئيس الاكبر ليتخذها الحكمدار مدة اقامته سكنا له . وكان لا يقصد الاقامة في هذه البقعة بل كان ينوى ان يتابع السير في نفس ذات اليوم ذلك الأمر الذى كدر روشاما الذى كان قد بلغ أرذل العمر كدرا ليس عليه من مزيد فألح على الحكمدار الحاحا شديدا بالبقاء عنده .

وبعد مناقشة طويلة أجاب طلبه مراعاة لصداقته القديمة معه فسر روشاما سرورا كثيرا وأرسل إليه على سبيل الهدية عنزة وكمية من شراهم المعروف بالريسة فأهدى اليه الحكمدار مقدارا من الخرز وبعض الحلى من النحاس وثوبا من النسيج .

فتحه بعض المحطات في الجنوب وربطه المواصلات مع أوغندة

وبعد أن قضى الحكمدار ليلته في الاكواخ التي أعدت له استأذن في الغددة من روشاما وفضل راجعا الى فاتيكو وأقام بضعة أيام في هذه الناحية ثم قرر السفر الى الجنوب لكي يفتح ثانية محطة فويرا وكانت قد أخليت مع المحطات الأخرى التي تركت بأمر غوردون باشا . وكان يرمى من وراء هذا الى ربط وصيانة المواصلات مع أوغندة وكان قد مضى زمن طويل جدا ولم يأت من هذا البلد أى خبر . وآخر الاخبار التي وردت اليه كان يحملها رسل من قبل متيسا ملك أوغندة وهى عبارة عن خطابات وبعض هدايا أرسلها اليه هذا الملك إلا أن هؤلاء الرسل لدى وصولهم الى محطة مرولى وجدوها خالية خاوية فسلموا الاشياء التي كانوا مكلفين بتوصيلها لاتباع ريونجا وفضلوا راجعين الى ملاكهم . وهؤلاء أرسلوها الى الحكمدار .

وبعد أن وصل الى فويرا واستولى على محطات أطراها قائلا انها واقعة في بقعة حسنة على مرتفع يشرف على النيل ويحده به كثير من القرى الكبيرة والغابات النظرة العامرة بالأشجار الكثيرة . وأرضها غاية في الخصب تجود بحاصلات وافرة لا سيما الذرة . والنهر يموج بكثرة ما فيه من الاسماك وعلى جوانبه يوجد كثير من مختلف الافاعي الضخمة الحجم كالأصلة والتنين قد يبلغ طول الواحدة منها ثلاثين قدما كالتى قتلت في هذه المحطة في شهر سبتمبر من عام ١٨٧٤ م وقت مرور شاليه لونيجه بها . ويقتصص الأهالى هذه الافاعي ويأكلون لحومها ويتخذون من شحمها دواء لوجع المفاصل .

استقبال رؤساء النواحي له وعودته الى لادو

وقدم ريونجا رئيس ناحية فويرا ليزور الحكمدار وكان قد مر زمن طويل على الحكمدار لم يره فيه فوجد أنه لم يطرأ عليه تغيير . ثم قرر الذهاب الى « پنياتولى » Panyatoli لزيارة انفيننا رئيس ناحية ماجونجـو وكان لم يره من عام ١٨٧٧ م فقبول فى كل الانحاء وهو سائر فى طريقه بالبشر والترحاب الى أن وصل الى قرية پنياتولى واستقبله فيها رجال انفيننا مصطفىين صنفوفا ومرتدين كساوى التشريفة الكبرى وهم يطلقون الأعيرة النارية وتحقق على رؤوسهم الاعلام المصرية . واستقبله بعد ذلك انفيننا ومشى به الى دار أعدت له مشيدة على طراز دور أوغندة . أما أعضاء حاشيته فنزلوا فى مساكن خارج داره . وأرسل اليه فى الحال على سبيل الهدية مقداراً من البطاطا والدجاج والبيض والموز والمقيق وستة أنياب من أنياب الفيلة وعنزة وقدم لرجاله بقرة وموزا . ولم يستطع الحكمدار أن يقدم له فى مقابل كل هذا سوى شئ من الخرز وحلى نحاسى واعتبر هذه هدية تافهة بجانب ما قدم اليه ولكن ما العمل وهذا كل ما كان يمتلكه .

وقد قبول الحكمدار من الأهالى على اختلافهم مقابلة بلغت الغاية فى الترحاب والتودد وأقبل الكل يحيونه وهم مرتدون جلوداً جديدة وأقيمت الزينات فى كل المساكن وعمت النظافة جميع ما حولها الأمر الذى ترك أثراً حسناً فى نفس الحكمدار وسره كثيراً . وعلاوة على ما ذكر فإن انفيننا كان الرئيس الوحيد من بين الزوج الذى دخلت المدينة ربوعه وتوشجت فيها جذورها فكان يرتدى الملابس ويستعمل الصحاف والاطباق

والملاعق عند الأكل ويستعمل أيضا الأكواب عند الشرب . وإن هي إلا أن أفلت الشمس حتى شرعت المجموع تترنم وتصدح بالغناء وابتدأت المراقص واستمر الراقصون والراقصات في الرقص حتى مطلع الفجر .

ولم يكد رؤساء النواحي المجاورة يعلمون بقدوم الحكمدار حتى أقبلوا من كل فج وتراحم حاملوهم القادمون من كل صوب وحذب وهم يحملون الهدايا واشترك هذا الجمع الحاشد في الحفلات التي أقيمت تكريما له .

وتقع قرية بنياتولى الآنفه الذكر في منطقة عامرة بالغابات غير أن أشجار هذه الغابات كانت قد اقتلعت من حول القرية بقصد أن يستعاض عنها بمغروسات من أشجار التين والمزروعات الأخرى . وفي هذا الحين كانت العين لا تقع إلا على مزارع التبغ والموز . وكان في حيز الامكان الحصول على محصول جيد من الدخان وأن تجنى منه أرباح طائلة . ولكن العناية بزراعته وتحضيره للاستهلاك كانت سيئة . وكان نوع الموز جيذا وهم يأكلونه نجسا ومغلى في الماء . أما السمس فكان يزرع طول السنة ولم يكن ميعاد زراعة الذرة قد حل بعد . ومع أن الأهالى كانوا يستهلكون قدرا كبيرا من الموز في تغذيتهم فان جل تعويلهم في المؤونة كان على البطاطا ولذلك كانوا يزرعونها في كل موضع وعلى مدى شهور السنة . وكان يوجد أيضا غير هذه الانواع المار ذكرها أصناف شتى من الخضر تكفى جميع حاجاتهم .

أما اللحوم فلم تكن كذلك . فان الرؤساء هم وحدهم الذين كانوا يأكلونها وما ذلك إلا لأن الماشية يندر وجودها والموجود منها لا تفي لحومها بحاجات الأهالى . وكان يوجد عدد وافر من الماعز والشاء وهذه الأخيرة ذات احجام كبيرة وأعجازها وافية إلا أن لحوم الماعز في الغالب

كانت أنغر وأكثر دسامة من لحوم الضأن في كل الناحية . وأما الدجاج فيوجد منه عدد وافر إلا أن أحجامه صغيرة . وصيد الاسماك في النهر منتشر انتشارا واسعا في تلك الارحاء ، ويوجد منها القديد في جميع الاكواخ تقريبا حتى على بعد بعض كيلومترات من النهر وهو في الغالب من الاسماك الكبيرة الحجم .

وتوجد طرائد القنص هناك بكثرة عظيمة ولا يمكن مطاردتها واقتناصها في القسم الاكبر من السنة بسبب ارتفاع الاعشاب ولكن عندما تجف وتحرق يصير في حيز الاستطاعة مطاردتها واقتناصها . ويوجد من الافيال عدد وافر جدا .

وقد كان الحكمدار يود أن يطيل إقامته عند انفيينا ويحضر في هذه الناحية الاحتفال بعيد الاضحى إلا أن الطريق كانت طويلة وكان السير فيها الى فاتيكو عسيرا . هذا ، وقد كان من المتعين عليه تفتيش الاكواخ المجاورة ليقم فيها محطة صغيرة لحماية عبور النهر وعلى ذلك بادر وسافر قبل الموعد الذي كان يريد هو وأنفيينا أن يسافر فيه .

وبعد أن أتم الأعمال التي يجب عليه القيام بها عاد عن طريق فاتيكو الى لادو قبيل آخر العام .

١ — ملحق سنة ١٨٨٠ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الثانى

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

قيامه من الخرطوم الى فاشودة

علم الطبيب جونكر عند وصوله الى الخرطوم فى ٤ يناير سنة ١٨٨٠ م أن المواصلات مقطوعة بينها وبين لادو منذ أكثر من سنة بسبب الحشائش المتراكمة فى مجرى النيل فى منطقة السدود . وقد اشتغلت فى إزالتها من عدة شهور حملة مؤلفة من جملة مراكب وبواخر وكثير من الرجال غير أنهم لم يصلوا الى نتيجة موجبة للارتياح . وكان من موجبات هذه الحالة أن يغير خطته التى كان قد اخطتها فى بادئ الأمر وهذه الخطة كانت تقضى بذهابه الى بلد « ممبتو » Mambettu عن طريق لادو ، لى يجد رابطة بين هذا البلد وبين رحلاته السابقة فى مكرىكا .

ولما كان يرى أن جميع هذه الظروف تستدعى امتداد زمن اقامته

(١) — راجع الجزء الثانى من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

فى الخرطوم استقر رأيه على أن يكتري دارا تعرف بدار « أبى الحساية » وهذا الاسم كان رمزا الى ربها وهو أحد المديرين القدماء . وكان يأمر بجلد كل من ثبت عليه جريمته خمسمائة جلدة . واستقر به رأى كذلك أن يسافر الى المنطقة التى كان يقصد الذهاب اليها عن طريق مديرية بحر الغزال وكانوا يترقبون بين يوم وآخر قدوم باخرة من هذه المديرية التى كانت المواصلات معها لا تزال مستمرة .

وعلم فى غضون اقامته فى الخرطوم أن غوردون باشا رجع من رحلته فى بلاد الحبشة الى القاهرة عن طريق مصوع وأنه لن يعود الى الخرطوم بل سيعين فيها رءوف باشا بدلا منه .

وفى ١٨ يناير جاءه خبر سار ألا وهو وصول الباخرة « الاسماعيليه » من مديرية بحر الغزال تحمل من مديرها جيسى باشا أبناء طيبة وبها أيضا أخبار سارة من أمين بك . ومما زاده فرحا على فرح أن هذه الباخرة ستقلع على ما علم فى مدى خمسة عشر يوما .

وبادر جونكر الى تجهيز لوازمه وبعث بجميع متاعه الى الباخرة « الاسماعيليه » التى أبحرت فى ٣١ منه مع الباخرة « امبابه » تجران عدة مراكب كانت قد أعدت لجلب كميات كبيرة من العاج الى الخرطوم ولتنقل اليها عددا كبيرا من النوبيين والعرب كان جيسى باشا قد أمر بنفيهم من مديرية بحر الغزال .

وبعد الوقوف مرارا فى مختلف المحطات وابتغاء تموين البواخر بما يلزمها من الوقود وصل الجميع الى فاشودة فى ٩ فبراير وكان منسوب

مياه النهر لا يزال مرتفعا جدا بسبب الفيضان الذى بلغ فى تلك السنة ارتفاعا قل أن يوجد نظيره . وكانت تمر كميات كبيرة من الحشائش من امامهم يدفعها التيار . وهذه الحشائش منها ما انتزعه التيار فى منطقة السدود ومنها ما قلعتة الحملة التى كانت تشتغل فى تلك المنطقة .

سفره من فاشودة الى « ممبتو »

ودعت الحالة للوقوف فى فاشودة وقتا طويلا بسبب تخلف الباخرة امبابه فى الطريق إذ لم يكن فى قدرتها المير بالسرعة التى كانت تسير بها الباخرة زميلتها . وفى غضون هذه الاقامة وصلت الباخرة « بردين » قادمة من الجنوب حيث تشتغل الحملة المكلفة بفتح السدود لتنقل الآلات والادوات والمؤن اللازمة لتلك الحملة .

وفى ١٥ فبراير وصلت الباخرة امبابه والمراكب التى تجرها وفى الغد أبحرت البواخر الثلاث معا ووصلت الى مصب نهر السوبات فى ١٧ منه . وبعد سفر عدة ساعات من هذه الناحية أفضت الى محطة أنشأها حديثا الجنود المرافقون لرحلة قطع السدود وكانت الباخرة « المنصورة » التى استخدمت لذلك ملقبة مراسيها بجانب ضفة النهر .

وبعد الإبحار من هذه المنطقة عانت المراكب كثيرا من المشقات فى الملاحة بسبب سد النهر بالحشائش المائية ، وفى نهاية الأمر وصلت الى مشرع الرق فى ٢٨ فبراير .

واضطر جونكر أن يطيل مدة اقامته أكثر مما كان يرغب لينتظر وصول جيسى باشا مدير مديرية بحر الغزال الذى تأخر قدومه بضعة

أيام وأحضر له بعد ذلك المـدد اللازم من المحالين وصار في إمكانه أن يسافر في ١٨ فبراير الى « چور غطاس » Jour Ghattas (١) ويدخلها في ٢٣ من الشهر المذكور . ووجد جونكر في هذه الناحية صديقه قديما احمد الأطروش بك حاكم مكراما سابقا الذي كان قد استقبله فيها حين رحلته السالفة في هذا المركز . وكان الأطروش بك وقت هذه المقابلة الأخيرة موقوفا بسبب ذنب اقترفه وكان يشكو من ذات الرئة ومرضه هذا آخذ في التفاقم بسرعة فلم يجد جونكر أية تعزية يقدمها اليه سوى بعض تسليات تخفف عنه لوعة المرض في آخر أيامه وذلك نظير ما لقيه منه من كرم الضيافة والمودة في المدة السالفة . وانتهز جونكر فرصة قدوم جيسى باشا وتشفع عنده ليسمح للأطروش بالسفر الى الخرطوم . وهذا أمر كان يتمناه المذكور من سويداء قلبه غير أنه لم يستطع لسوء الحظ ونكد الطالع أن يستفيد من هذه الشفاعة لأن منيته عاجلته في چور غطاس قبل أن يتمكن من السفر .

وكانت الخطة التي اختطها جونكر بادى ذى بدء ارتياد بلدة « ممبتو » Mambettu وذلك بأن يذهب إليها عن طريق لادو غير أنه كان مضطرا لانسداد النهر في منطقة السدود أن يقوم بدورة ويذهب الى ممبتو عن طريق مشرع الرق وچور غطاس .

وأكثر الطرق أمنا وأسهلها مسلكا للذهاب من هذه النقطة الى ممبتو تمر بناحية « رومبيك » Rumbek وبادى « رول » Vallée de Rôl إلا أنه

(١) — هي إحدى نواحي مديرية بحر الغزال وقد نسبت الى غطاس الذي كان له بها مستودع للقيق والعاج وريش النعام وهو أحد كبار تجار النخاسة المشهورين .

لما كان قد ارتاد قبلا هذه المنطقة لم يكن لديه ثمت ميل للمرور بها مرة أخرى لا سيما أنه كان يريد أن يزور بلد النيام نيام عند ذهابه الى ممبتو . وهذه الخطة لها أيضا مزية وهي سهولة تنفيذها لأن الحرب وضعت أوزارها بين سليمان بن الزبير باشا والحكومة وخضوعه لها حتى انه بلغ من أمر ولائه لها أن سعى في ربط العلاقات الودية بينها وبين بعض رؤساء بلد النيام نيام .

نعم قد يكون الطريق الأقصر والأكثر استقامة أن يتجه الى الجنوب مارا ببلاد « البنجوس » Bongos و « البنداس » Bellandas غير ان جونكر أثر أن يرافق جيسى باشا الى « ديم سليمان » Dem Soliman عاصمة مديرية بحر الغزال ومن هناك يشخص الى ممبتو مارا بناحية « ديم بكير » Dem Bakir ضاربا صفحا عما يلحقه من زيادة المشقة بسبب بعد هذا الطريق .

وفي ٥ أبريل سافرا من چور غطاس وبعد مسير اثني عشر يوما أفضيا في ١٧ منه الى « ديم سليمان » . وهناك أقام جونكر اسبوعا تحسنت صحته في خلاله كثيرا وعابدا الرحيل في ٢٣ من الشهر السابق ذكره .

وقد رافقه جيسى باشا بعض مسافات ثم ودعا بعضهما الوداع الأخير وذلك ان جيسى باشا أدركته منيته فمات في السويس في أول مايو سنة ١٨٨٢ م وكل منهما سلك سبيله .

وقطع جونكر المسافة الى ديم بكير في ستة أيام فدخلها في ٢٩ منه وزاره فيها رئيس بلد النيام نيام المسمى « ندوروما » Nodoruma وكان جونكر ينوى زيارة هذا الرئيس . وبمناسبة هذه الزيارة منحه جونكر

بعض الهدايا وفي مقابل ذلك أكد له الرئيس بأنه سيلبي جميع رغباته ثم قفل راجعا الى مسكنه .

وبعد أن مكث جونكر اسبوعا في « ديم بكير » Dem Bakir رحل عنها في ٧ مايو ووصل في الغد الى محطة الترجان عبد الله افندي وهو أحد وكلاء ومفتشى المديرية وقضى فيها الليل . وفي اليوم التالي وصل الى محطة ترجان آخر يقال له عبد السيد . ويوجد تحت رقابة هذا الترجان النقط الواقعة في نهاية المديرية الجنوبية على الطريق الموصلة الى أراضي « ندوروما » Nodoruma التي سبق ذهابه اليها بنفسه أكثر من مرة ليتسلم بعض مقادير من العاج . وكان جونكر قد قابل عبد السيد في ديم بكير ثم سافر منها عبد السيد قبل جونكر ليعد المعدات اللازمة لاستقباله ويستحضر له الحاملين المطلوبين .

ولاحظ جونكر عند وصوله اليها أن عبد السيد لم يقم بعمل ما واحتج بأنه ما كان ينتظر قدومه بهذه السرعة . ولما كان يبدو منه ما يدل على عدم الاكتراث أو الاهتمام بقضاء الاشياء المطلوبة اضطر جونكر أن يتوعده بالشكوى الى الحكمدار وحصل في نهاية الأمر على مبتغاه .

إنشأوه محطة في لا كريما ومقابلته مامبانجا بمببتو

وشرع جونكر في الرحيل في ١٢ منه وبعد سفر بطيء أفضى الى محل إقامة ندوروما قبيل آخر الشهر المذكور وهناك أقام محطة في « لا كريما » Lakrema وظل في هذه المحطة الى آخر شهر أغسطس وسافر منها بعد ذلك فوصل في ١٥ سبتمبر الى ممبتو حيث يسكن « مامبانجا » Mambanga

وعانى فى بادىء الأمر بعض مشقات فى سبيل مقابلة مامبانجا غير أنه بعد عدة مفاوضات استطاع فى النهاية ان يحصل على المقابلة المبتغاة فى يوم ٢٠ سبتمبر أى غداة وصوله الى نهر « وليه » Rivière Wellé .

وكان مامبانجا قد أغلق طرق بلاده فى وجه البعثات التى كان يرسلها العرب لغاية هذا الحين وكان مشهورا ببعضه وشنائنه للحكومة المصرية ولكن المقابلة تمت وجرت فيها الامور على ما يشتهى جونكر وحصل على ترخيص بدخوله فى بلد مامبانجا .

وعلى ذلك رجع جونكر الى معسكره وفى الغد أى ٢١ منه حل مضاربه وأتى فمسكرك بجانب دار « مامبانجا » الذى أرسل اليه زادا وعامله معاملة الصديق لصديقه مدة إقامته فى ضيافته إلا أنه كان يوجس خيفة وترعد فرائضه من السلطة المصرية التى وطدت أوتاد سلطانها قرب حده الشرقى .

وبعد أن لبث مقيما ستة أيام أرسل يطلب من مامبانجا حمالين ومؤونة حتى يتمكن من الرحيل ولكن هذا كان يعد وعودا لا تلبث أن تذروها الرياح ويقصد بذلك احباط سفره . ولم يرسل إليه مطلوباته ويسمح له بالسفر إلا بعد أن هدهه جونكر وتوعده باشعار المحطات المصرية .

سفره الى محطة تنجازى

وفى ٩ اكتوبر شرع جونكر فى الرحيل وفى ١٤ منه أفضى الى محطة يديرها شخص يقال له على افندى ومحطته هذه واقعة فى أرض تابعة لمديرية بحر الغزال .

واتفق جونكر فى غضون مدة إقامته فى « چور غطاس » مع شخص يقال له مولى افندى - وهذا الشخص من أقارب يوسف بك الشلالى كان قد كلفه جيسى باشا بأن يقوم بجولة فى أنحاء المركز - على أن يقابله فى هذه المحطة ليقوما بهذه الجولة معا . ولكن مولى افندى أخل بوعده واضطر جونكر أن يسافر بدونه . وعدا ذلك فان مولى افندى لم يحضر بالمرّة لهذه المحطة لأن بلدة ممبتو قد فصلت من مديرية بحر الغزال وألحقت بمديرية خط الاستواء تحت سيطرة أمين بك الذى لم يبعث إليها مرؤوسيه إلا بعد وقت . وعلى ذلك ظلت هذه البلدة بدون حكومة منظمة فى برهة الانتقال من سيطرة مديرية بحر الغزال الى مديرية خط الاستواء وعانى جونكر كل الصعوبات التى تلازم مثل هذا الانتقال .

وفى ١٧ أكتوبر شخص جونكر الى محطة « تنجازى » Tangasi الواقعة جنوب نهر وليمه وهى أهم محطات بلاد « النوبيين » Nubiens فدخلها فى اليوم التالى واستقبله فيها بالحفاوة المعتادة رئيسها وهو شخص يقال له محمد ولد عبده وأرسل اليه مؤونة من الذرة والطيور حتى الطماطم وكان النوبيون قد أدخلوا زراعة هذا الصنف الأخير فى هذه المنطقة فى العام الماضى .

وأتى محمد فى اليوم التالى وطلب من جونكر إبراز ما معه من المستندات فقدمها . ولما كانت مهمورة من سلطة بحر الغزال اعترض محمد قائلاً إن هذه المستندات لا قيمة لها لضم هذا المركز الى مديرية خط الاستواء . وفى الحال أبرز جونكر فرمان الذى يحمله من لدن حكومة القاهرة وبذلك قطعت جبهة قول كل خطيب .

ويظهر أن موقف محمد المذكور نحو جونكر لم يكن متشرباً روح المودة وكان جونكر يرى أن حركاته وعلاقاته مع الرؤساء الأهليين موضوعة تحت المراقبة وهذه الأمور لم تقع موقع الاستحسان في نظره . وبعد أن أقام بضعة أيام أعلن رغبته في الرحيل لأنه ما كان يقصد في أول الأمر أن يطيل لبثه في تنجazy . وعندما طلب أيضا حاملين حتم محمد أن يستولى على أجورهم مقدما على حين أن الأمر العالي الصادر من القاهرة يقضى عكس ذلك . وعلى أثر اطلاع محمد على ذلك الأمر انحل الاشكال .

رجوعه الى محطة لاكرما

وحصل السفر في ٢٢ أكتوبر . ومر جونكر على المحطة التي يتولى إدارتها على افندى وهى المحطة التي زارها عند الذهاب وقابله فيها على افندى هذا مقابلة حسنة . وفي ٢٧ منه سافر جونكر بعد أن قدم له على افندى كل ما يلزمه واجتاز في اليوم التالى تخوم بلدة ممبتو وبلغ في ٣ نوفمبر المحطة الجديدة التي أنشئت فى أرض « حكوه » Hokwa الواقعة تحت رئاسة شخص يقال له محمد خير وهو الذى لعب فيما بعد دورا هاما بوصف أنه أمير على بربر فى إبان الثورة المهدية .

ومسقط رأس محمد خير هذا كسلا . وهو لم يوجد فى بلاد العبيد إلا من زمن يسير . وقد ظهرت فيها مواهبه السامية فى الإدارة وتفوقه فى الذكاء على مواطنيه فكانت المحطة مرتبة ترتيبا حسنا وتامة النظافة ومحاطة بحاجز مزدوج فى القسم الأول منه يقطن الجنود السودانيون وفى الثانى النوبيون .

وقدم محمد خير الى جونكر جميع حاجاته وألح عليه بالمكث عنده بعض أيام . وهذا جل ما كان جونكر يتمناه وذلك رغبة في الاستفادة من الراحة أولا ، ولأن الناحية أعجبتة من ناحية أخرى .

وأقام في هذه المحطة لغاية ٧ نوفمبر . وفي هذا التاريخ شرع في السير مع محمد خير بعض مسافة ثم قفل هذا راجعا . أما جونكر فانه أخذ يرتاد في طريقه البلد الى أن وصل في أول ديسمبر الى دار ندوروما الذي خرج لاستقباله في الطريق وسر كثيرا لرؤيته .

وفي ٣ منه أى بعد غياب أربعة أشهر رجع ثانية الى المحطة التي كان قد أنشأها في لا كريمة فوجد جميع عماله الذين كان قد تركهم فيها بخير وعافية وابتهج فؤاده عندما رأى بستانه حافلا بالأشجار الزاهية واستمر مقيا في هذه المحطة الى آخر الشهر الذي كان آخر السنة أيضا .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها في الملحق الأول من السنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٠ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء

تسم الأول

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وصوله الى مصر وسفره الى مشرع الرق

ان رواية رحلة اليوزباشى « كازاتى » Casati فى مديرية خط الاستواء لها أهمية كبرى فى تاريخ هذه المديرية وهى تعد الثانية فى الأهمية عند مقارنتها بالروايات الاخرى بعد رواية « فيتا حسان » Vita Hassan الصيدلى لأن ذلك اليوزباشى أقام بها مدة الثورات التى شبت فيها وانقطع فى غضونهما عن العالم المتمدين مع أمين باشا وعاد فى آخر الأمر برفقته مع حملة استانلى .

وصل اليوزباشى كازاتى الى الديار المصرية فى أوائل يناير عام ١٨٨٠ م وبلغ سواكن فى ٢٣ من الشهر المذكور ورحل عنها ميمما بربر فى ٢٩ منه فدخلها فى ٧ فبراير ، ومن هذه المدينة أقلع على سفينة شراعية فى ١٢ من هذا الشهر الأخير وبعد ابحار ١٤ يوما نزل فى الخرطوم فى ٢٦ منه . ووافق دخوله فى هذه المدينة رحيل غوردون باشا عنها وكان قد رجع من مأموريته فى بلاد الحبش ويسافر بعد أن قدم استقالته من وظيفة حاكم دار السودان العام للخديو توفيق .



اليوزباشى كازانى

وكان يقوم بأعباء هذه الوظيفة مؤقتا « جيغلر باشا » Giegler Pacha وكيل
الحكمдар الى أن يأتي رءوف باشا الحكمدار العام الجديد . وكتب كازاتى
الى جيغلر فى غضون حكمداريته الوقتية يلتمس الترخيص له بالسفر الى الجنوب
فوصل اليه الرد برفض طلبه قطعيا لأن الأوامر التى أعطيت له لا تجيز له
اعطاء رخص كهذه . فاضطر كازاتى ان ينتظر قدوم الحكمدار العام . وعند
وصول هذا قدم له طلبا آخر وبعد قيام بعض صعوبات فى هذا السبيل أعطيت
له الرخصة المطلوبة .

وأقلىع كازاتى من الخرطوم فى ٤ يوليه سنة ١٨٨٠ م على متن الباخرة
« الصافية » وبعد أن مر بفاشودة ومحطة السوبات بلغ مشرع الرق فى
٥ اغسطس وقضى باقى العام بالقيام بريادة فى مديرية بحر الغزال .
ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨١ م

من

حكمداريت أمين باشا

تعيين فيتا حسان صيدليا لمديرية خط الاستواء

أشرفت شمس عام ١٨٨١ م وأمين بك مقيم في لادو . وفي ١٤ يناير
إبان وجوده فيها وصل إليها فيتا حسان الصيدلي المعين محل خليل افندى وسيم
صيدلي الحكمدارية الذي كان قد تقرر رجوعه الى مصر .

وظل فيتا حسان مع أمين بك في مديرية خط الاستواء عشر سنوات
أعنى طول المدة التي قضاها منعزلا عن العالم المتمدين الى ان عاد مع
حملة استأنلي .

فكتب إذ ذاك سفرا سماه : « الحقيقة حول أمين باشا » وهذا
السفر ما هو في الحقيقة إلا تاريخ الحكمدارية في كل هذه الحقبة ومنه استقيننا
أغلب الأنباء الآتية :

يمت فيتا حسان الى العنصر الاسرائيلي وقد ولد في تونس في ١٤ يناير
عام ١٨٥٨ م أى في نفس اليوم الذي وصل فيه الى لادو عام ١٨٨١ م .
وكان والده قنصلا لدولة ايطاليا في هذه المدينة فأرسله الى الاسكندرية ليتم
دراسته بها إلا أنه نظرا لفقر والديه اضطر لمغادرة المدرسة وهو في الخامسة
عشرة من سنه ابتغاء كسب قوته .



فیتا حسن

ووقع اختياره على مهنة الصيدلة وتوصل الى دراستها لما تحلى به من الذكاء فى زمن قصير جدا حتى تسنى له وهو فى سن التاسعة عشرة أن يأخذ على عاتقه إدارة صيدلية لطبيب أرملة المرحوم عباس باشا الأول الخاص فى القاهرة . وتوصل بما له من الصلات أن يحصل على وظيفة صيدلى فى العريش بمصلحة الصحة ثم عينه صيدليا فى السودان نيروتزوس بك Neroutzos Bey مدير الصحة العمومية بتاريخ ٢٥ مايو سنة ١٨٨٠ م .

وأقنع فيتا حسّان من السويس مزودا بخطاب من نظارة الداخلية الى رءوف باشا الذى كان فى ذلك الوقت حكاما عاما للسودان مستقلا ظهر الباخرة « الحديدية » ووجهته سواكن ومن هذه شخص الى بربر فالخرطوم . ولدى بلوغه هذه المدينة مثل بين يدى الطبيب زربوهل Zerbuhl مدير الاعمال الصحية فعرض عليه هذا ان يختار « كلكل » Kolkol بمديرية دارفور أو لادو بمديرية خط الاستواء وهما المحلان المطلوب لكل منهما صيدلى . غير انه نصحه ان يختار المحل الثانى فعمل بنصيحته وأخذ يتأهب للسفر ليشغل وظيفته .

ولداعى عدم وجود بواخر جاهزة للابحار اضطر فيتا حسّان أن ينتظر شهرين فى الخرطوم وبعد ذلك أقلع على متن الباخرة « امبابه » . وكانت تقطّر ثلاث سفن وماعونة بها نحو خمسمائة مسافر منهم ٢٠٠ من الخطرية و ٢٠٠ سجين وبها كذلك كثير من البضائع والذخيرة برسم الحكومة فى لادو . واستغرقت الرحلة زمنا طويلا لأن الحالة

استدعت إزالة الحواجز التي كونتها الحشائش في منطقة السدود . ولم يستطع فيتا حسان بلوغ لادو إلا بعد سفر دام ٨١ يوما وكان دخوله فيها في ١٤ يناير سنة ١٨٨١ م مع أنه من المعتاد قطع هذه المرحلة في ظرف ١٥ الى ٢٠ يوما .

ولدى وصوله وضع نصب عينيه أولا المشول بين يدي رئيسه الجديد ووضع نفسه تحت تصرفه . وعلى هذا ولى وجهه شطر مقر المديرية ودخل القاعة الكبرى فوجد فيها اناسا كثيرين يتسامرون وهم جلوس على أريكة كبيرة . وما وقعت عينه على أمين بك حتى عرفه من الأوصاف التي قد سبق أن استقفاها عنه وكان عن يمينه لبتون بك Lupton Bey وكيل الحكمدار وعن يساره نور بك محمد قائد الجنود وكان بصحبته كذلك قاضى المديرية الحاج عثمان وبعض الضباط .

وقدم فيتا حسان أمر تعيينه صيدليا للحكمدارية الى أمين بك فقابله بالبداشة والايناس ودعاه فوق ذلك لتناول الطعام معه لعدم وجود مطاعم في الجهة . فشكره فيتا حسان وانصرف قاصدا الذهاب الى زميله خليل افندى وسيم الذي سيحل محله في الوظيفة . فقابله هذا بأدب وعرض عليه كوخا ملاصقا لسكنه ليحل فيه لغاية اليوم الذي يرحل هو فيه .

وكانت لادو عاصمة مديرية خط الاستواء مشيدة على شاطئ النيل الأبيض الشرقى ومؤلفة من ٢٠٠ كوخ مستدير يقال للواحد منها « توكول » Tokoul مبنية من عيدان الخيزران ومغطاة بالقش

وقشور الاشجار وأرضيتها من الداخل مكنونة من تراب وطنين .
وسكن الحكمدار ومستودعات الحكومة هي وحدها المتفرقة عن بعضها
فهي إما منعزلة أو متجمعة تتكون من كوخين الى ثلاثين
كوخا . وكل مجموعة من هذه الاكواخ يحيط بها سور
ذو زوايا مستقيمة مشيد من ذات المواد السالف ذكرها . والشوارع
التي تفصلها عن بعضها واسعة للغاية غير أنها عارية من الاشجار ولا يوجد
بها حوانيت .

وتصلى الشمس قبيل الظهر بئيرانها المتقدمة تلك الشوارع فتتلظى
بشدة حتى تحترق حرارة الرمال جلود الاحذية . ويتخيل المقيم بتلك
النواحي لانعدام الحركة من هذه الشوارع أنها شوارع مدينة أخنى
عليها الذى أخنى على لبس فئات بموتهم . وقد يقع البصر فى بعض الأحيان
على سودانى يمر منها مسرعا كالبرق فيحدث بمروره هذا تغييرا فى ذلك المنظر
المضجر الثابت على حالة واحدة .

وفى اليوم التالى لوصول فيتا حسن قام ومعه زميله خليل افندى
الى المستشفى لتسلم مركزه وليزور المرضى لأن الصيدلى كان عليه أيضا ان
يقوم بأعباء الطبيب .

وبعد أن أقام ثمانية ايام فى لادو استصحبه الحكمدار أمين بك للقيام
بجولة للتفتيش فى محطة بور وأقلعا على ظهر الباخرة « تلحوين » . وفى إبان
الثلاثة الأيام التى قضياها فى هذه الناحية فحص فيتا حسن المرضى وعالجهم
ووصف لهم الادوية التى تستلزمها حالاتهم بينما كان أمين بك يراجع دفاتر
المخازن ويوزع الكساوى على الجنود ويستقصى الحالة ويستفهم من

كل انسان عما اذا كان يوجد لديه ما يوجب الشكوى . وهكذا كان عليه أن يجلس لسماع الشكاوى والطلبات وفحصها والبت فيها بطريقة عادلة اذا تراءى له ما يوجب ذلك . وعرض الجند وحضهم على الوفاء والأمانة وطاعة الحكومة وشجع المستحقين وحث الآخرين على الاقتداء بهم . وعلى وجه العموم كان يبذل كل ما في وسعه لاستتباب الأمن وعمل ما فيه راحة ومرضاة الجنود والأهالى .

وأقنع ثانية فى اليوم الثالث وسط اطلاق ثلاث طلقات مدفع اتباعا للعادة التى كان قد سنها غوردون وهى اطلاق ثلاث طلقات حين قدوم المديرين وعند سفرهم . ولدى صعوده الى الباخرة صاحت الجنود وهى مصطفة على الضفة وبأسطة أسلحتها قائلة : « يحيا الخديو » .

اهتمام الحكمدار بتوسيع نطاق الزراعة

وبعد مرور أسبوعين من رجوعهما الى لادو فوض الحكمدار أمين بك الى وكيله لبتون بك Lupton Bey أمر لإدارة قسم لاتوكا بمعاونة ابراهيم افندى حمر . وكان لهذا القسم أهمية لا تشاركه فيها الاقسام الأخرى وما ذلك إلا بسبب كمية ونوع العاج الذى كان يورده وهذا ما يفسر الباعث على تعيين موظف له هذه الشخصية البارزة لإدارته .

وشرع فيتا حسان يعمل فى وظيفته مع ان سلفه خليل افندى كان باقيا فى لادو ولم يسافر بعد الى مركزه الجديد .

• وكان الحكمدار منهمكا انهما كما شديدا فى السعى ابتغاء توسيع وسائل المعيشة

في مديريته وجنى أكبر محصول منها ليتسنى له على قدر الاستطاعة جعلها مستقلة من وجهة الارزاق ووسائل العيش والاستغناء عن استجلاب المواد اللازمة لاستهلاك الموظفين والجند وعلى ذلك كانت المسائل الزراعية لها بحكم الطبع المنزلة الأولى في مشاغله .

وكانت تحتوى البساتين التي كان قد أنشأها في لادو و مكراكا والمحطات الاخرى على أشجار البرتقال و الليمون و الجوافة و العنب . وتحتوى المزارع على شجيرات القطن .

وفي فبراير سطر مکتوبا الى الاستاذ شوينفورت ليسديه الشكر لامداده بجوالقين من تقاوى الأرز و البن وأنواع أخرى مختلفة . وقد حمّله على طلب الصنفين الأولين ما عاينه في أراضى أوغندة و الاونيورو إذ رأهما هناك مزروعين في مساحات واسعة ولاحظ ما يصادفانه من النجاح . ويخبره أيضا بأنه يوجد لديه قصب السكر من نوع جيد وان تقاوى الذرة التي بعث له بها الفريق استون باشا رئيس أركان حرب الجيش المصرى وهو أميركي الجنس أعطت محصولا وافرا وعرفه كذلك أن تربية الخيول لا تصادف نجاحا ولكن الأباعر و الحمير التي استوردها في العام السابق حالتها حسنة للغاية .

السفر من لادو الى لاتوكا وضم هذه المحطة وغيرها الى المديرية

وفي ١٤ أبريل سافر الحكمدار من لادو مستصحبا فيتسا حسان ليقوما بجولة للتفتيش في اتجاه قسم لاتوكا القائم شرق النيل وابثا في هذه الرحلة شهرين . وكان سير صمويل يسكر قد ضم هذا القسم الى مديرية خط الاستواء

ثم أخلاه ثم احتله غوردون باشا وبعد ذلك أمر باخلائه كما فعل مع باقى محطات الجنوب . وفى عام ١٨٨٠ م احتل الحكمدار أمين بك كل المحطات التى كانت قد أخليت وضم لاتوكا الى المديرية .

ومن لادو انتقل أولا الى غندوكورو التى كانت فى البدء قاعـدة الحكمدارية ثم أخليت وانحطت منزلتها فصارت محطة صغيرة ليس بها إلا ١٢ جنديا . وفائدة الاحتفاظ بها وهى على تلك الحالة هى استخدامها تماما للمتاجرة مع قبائل الباريين المجاورة ووسيلة لتسهيل زراعة الأراضى التى تكتنفها ولتكون مع احتلال لاتوكا قاعدة حربية للطريق الموصل الى هذه المحطة .

وأول مرحلة قطعها بعد غندوكورو كانت مرحلة « ليريا » Liria وهذه وان لم تكن احتلت إلا من منذ عام واحد إلا أن حالتها كانت تسمح باجتياز المسافة اليها بدون حرس ما .

وبنية سكان هذه المنطقة قوية للغاية مثل بنية جيرانهم الباريين . وكذلك سمعهم فى اللصوصية تضارع سمعة هؤلاء . ويزرع الذرة فيها فى مساحات واسعة وبالعكس زراعة الدخان إذ لا يوجد منها إلا مقادير صغيرة . ويلوح من حالته ان زرعه غير ناجح . أما طرائد الصيد فوافرة ويعود على القناصين منها فوائد كثيرة . ويوجد هنالك الفيلة والجاموس والزرافة وحمار الوحش والخنازير البرية وجموع كثيرة من الوعول وغيرها . وكان يوجد حول المحطة فقط ١٧ أخدودا معدة لاقتناص الصيد . وهذه الكثرة من الطرائد نعمة يتمتع بها الأهالى فى غذائهم إلا أنه من الغريب العجيب ان الحيوانات الأليفة مثل الثيران و الحمير و البغال لا تعيش

في ذلك الاقليم .

ومن هناك انتقل الحكمدار الى قرية « الشيخ لاتوم » Latome الواقعة على مرتفع في جوف سهل كثير المرتفعات والمنخفضات . ويبلغ الانسان ذلك المكان باجتياز سلسلة مرتفعات يكتنفها سياجات من الخيزران لا يستطيع الرصاص اختراقها لشدة كثافتها . ولقد قتل في هذه المنطقة من بضع سنوات نحو عشرين من الدناقلة .

وقابل لاتوم الحكمدار عند مدخل قريته واقتاده الى مسكنه وقدم له شهدا وعاجا هدية فنحه الحكمدار في مقابل ذلك هدية أخرى . وكان هذا الشيخ مشهورا بالبخل الشديد غير ان الحكمدار رأى منه دواما كل مجاملة واكرام .

وأفضى به السير في المرحلة التالية الى « ترانجول » Tarangole . وهذه كانت أهم محطة في مركز لاتوكا وانشاؤها يرجع الى زمن بعيد والذين شيدها هم الجنود الدناقلة التابعة لتجار الخرطوم واتخذوها قاعدة لتجارة العاج لأن طباع الأهالي الحريية حالت دون جعلها مركزا للمتاجرة في الرقيق .

وكانت أراضي مركز لاتوكا جبلية غزيرة الانبات وبها غابات كثيفة تكثر فيها الحيوانات والطيور على سائر انواعها كثرة لا مزيد عليها . ومناخها معتدل بل لطيف لدرجة كبرى إذ ان متوسط درجة الحرارة فيها يبلغ ٢٥ درجة سنتجراد . ويجرى في جبالها ماء رائق فرات غزير . وغاباتها النضيرة ذات الاشجار الشائخة التي يتجاوز ارتفاع الواحدة منهما

٥٠. مترا وتبسط ظلالها الوارفة فوق عشب يشبه الفرش الخضراء . وجو مناخها البديع ومأواها الغزير العذب ، كل هذا سير لاتوكا جنة لا تدع في نفس من يطؤها ميلا للرحيل عنها .

ونما كان هذا البلد جزيل الخيرات كثير الحاصلات كان يصعب ترضية سكانه بما يقع به الزنوج الآخرون من الاطعمة . فهم لا يأكلون إلا الذرة والحبوب الأخرى والشهد واللبن ولحوم الحيوانات المذبوحة . وكانوا يقتنون أيضا قطعانا كبيرة من الماعز يسرحونها ترعى في الغابات حيث تنمو مقادير كبيرة من الزهور بين الاشجار الأمر الذي يصير لحومها لذيذة الطعم . وقد قدم للحكماء تيس فأكلت حاشيته من لحومه حتى امتلأت منها البطون وبقي بعد ذلك ٢٥ رطلا من الدهن أذبلها طاهيه .

وكان لسكان لاتوكا شهرة كبيرة في الحروب مصحوبة بشيء من الشمم والترفع وكانوا يشتغلون بنوع أخص باقتناص الجاموس والافعال .

وانتقل الحكماء وفيتا حسان من ترانجول الى محطات المركز الأخرى وهي « واتاكو » Wataku و « فاراجوك » Faragok حيث لبثا يومين وفي هذه المحطة الأخيرة غادرهما لبتون بك مأمور المركز .

ومن ترانجول ذهب أمين بك الى مركز فاديبيك وهي بلدة الشوليين . وأول محطة زارها محطة اجارو وهي المحطة الأولى بينها وبين آخر محطة من مركز لاتوكا مرحلة ثلاثة أيام والمسافة بينها وبين فاديبيك تستغرق سبعة أيام ونصف يوم وأربعة أيام من فاجولي . وفاديبيك هذه واقعة

في سفح سلسلة جبال في جوف سهل صغير كثير الخصب فيه المراعى النضرة
للانعام والغنم .

وانطلق أمين بك بعد اجارو الى فاجولى وهى محطة قائمة في قلب
حوض وليس في موقعها شئ يستوقف النظر وتنحصر أهميتها في مبادلة المتاجر
مع اهالى اللانجو المقيمين في الجنوب والشرق . وأهم تجارتها ريش النعام ويأتى
بعده في الأهمية العاج .

وكانت المتاجرة في الريش قد أدركها العفاء وتركت في زوايا الضياع لغاية
ذلك الحين مع أنه من المستطاع الحصول على كمية كبيرة من هذا الريش من
هذه المنطقة لأنه يوجد بها النعام بكثرة وفيها منه أسراب هائلة العدد .
وعلى ذلك اتخذ أمين بك العدة ورتب الترتيبات اللازمة المؤدية لث الأهالى
وتحريضهم على جمع الريش ونقله الى المحطة وانشاء حقول في مختلف المحطات
لتربية النعام .

وكان لا يوجد مجارى ماء في فاجولى وكان الاهالى يغترفون
ما يلزمهم من الماء من الآبار والصحاريح التى تتكون فيها مياه الامطار .
وأكبر صحريح هو الواقع على بعد ميل جنوب المحطة وطوله ٨٠٠ متر
وعمقه متران وكان مأؤه يكفى حاجات المحطة والقرى المجاورة
طيلة أيام السنة .

وانتقل أمين بك من أجارو الى فاديبك واستراح في هذه يوما
واحدا واستبدل فيها بحماليه آخرين . ومن فاديبك سار موليا وجهه
شطر قرية « عبو » Obbo وهى أبعد محطات مركز شولى شمالا .

وكان يوجد في عبو رجل ينزل المطر يسمى « راتشى » Ratchi . وهذا الرجل قضى نحيبه من زمن غير أن واحدا من أبنائه الذين كان يبلغ عددهم ١٢٠ نفسا حل محله في وظيفته وأهالى عبو يكرمون الضيف ويرحبون بقدومه .

سفره الى محطة لابوريه وتفقدته الأعمال بها

ومن عبو سافر الحكمدار صوب الغرب ميمما محطة لابوريه القائمة على النيل الأبيض . ومر في طريقه بقرية أوغلى Ogilli التابعة لمركز « فانييكوازا » Fanyiquara . وفي أوغلى أبدل بحماليه آخرين أيضا لكي يستطيع ان يجتاز بأكثر سرعة حقول الحنطة التي في طريقه . وعندما وصل الى قرية « دريتو » Dereto تسلل جميع الحمالين الواحد تلو الآخر ولم يتيسر له ان يستمر في رحلته ويبلغ قرية « كيرو » Kero إلا بواسطة شيخ القرية الأولى المسمى « جوتا » Guta الذى أحضر له اناسا بدلا منهم . وكيرو الساقفة الذكر واقعة على مسافة ثلاث ساعات من لابوريه وقائمة فوق تللاع ولهذا كان منسوبها مرتفعا كثيرا عن هذه القرية الاخيرة والطريق الموصلة بينهما منحدره انحدارا شديدا لغاية ضفة النيل الشرقية حيث توجد محطة لابوريه التى دخلها الحكمدار فى السادس والعشرين من شهر مايو .

وتفقد كماداته المحطة والاشغال التى أنجزت فيها وخص الطرق المتبعة فى سبيل حماية الأهالى وتحسين حالة معيشتهم . وأودع لحسابه فى مخازن الحكومة عشرة قناطر من العاج وخمسة أرتال من زيش النعام . وهذه المقادير هى التى أهداها اليه رؤساء قبائل الزنوج

أثناء جولته .

رجوع فيتا حسان مع الحكمدار الى لادو وتولية عمله

وسار الحكمدار من لابوريه متتبعا مجرى النيل وتفقد محطات
موجى ، و كرى ، و بيدن ، و الرجاف عند مروره بها ورجع الى
لادو فى يونيه .

ووجد فيتا حسان عندما دخل لادو ان سلفه خليل افندى
سافر ليتسلم مركزه الجديد وترك له المنزل الذى كان يسكنه . ولما كان
مشيدا بالطين وعيدان الخيزران اتجهت افكاره للحصول على شىء أحسن
من هذا فصنع قوالب للطوب بطول ٣٥ وعرض ٢٠ سنتيمترا وفى مدة
شهر أنجز ٤٠٠٠ طوبة بنى بها بيته الجديد وساعده فى ذلك صناع
الحكومة إذ كان لها فى المديرية بناء ونجار وحداد ونقاش وسمكري
يتقاضون رواتب شهرية . وكان هؤلاء لا يعملون شيئا لحساب
الأهالى . والموظف الذى يستخدمهم فى أمر من الأمور ينبغى عليه أن
يقدر ما يساويه عملهم بواسطة رئيس الموظفين والمبلغ الذى يقدره يخصم من
مرتب ذلك الموظف .

وعندما نفذ يديه من تشييد سكنه وجه فكره للمرضى وأراد
أن يستفيدوا هم الآخرون من تحسينات كهذه فأعاد بناء المستشفى
والصيدلية من الطوب وأوجد فى الأول كل وسائل الراحة والصحة
وأوجد فى الثانية دوايب زجاجية وضع فيها أحقاق وأوانى الأدوية بأكل نظام
وآتم ترتيب وأعد فيها كذلك معملا عمليا نظيفا .

وروى فيتا حسّان أنه لا يوجد أى مرض أو داء عضال فى لادو ولا فى محطات الحكمدارية الأخرى . وانه فى ابان إقامته فى لادو لم يتقدم اليه للعلاج إلا شخص واحد مصاب بالحمل الحبيشة وآخر بالتيفوس واثنان بالصفراء وبعض اناس مصابون بأمراض سرية . وكان الزوج لا يعرفون هذا الداء قبل أن تدخل العناصر العربية ديارهم . وهؤلاء العرب هم الذين نقلوه الى بلادهم . وقبلما تجد انسانا يشكو من ألم فى عينه فعيون وأسنان السودانين ليس لها نظير فى كل بلاد العالم . والمرض الوحيد الذى خص به العنصر الزنجى هو داء دودة المدينة المسمى هناك بالفرانتيت Frantit . فهذا المرض لا يصاب به سوى الزوج ولا يحدث منه وفاة .

تاريخ احتكار الحكومة للتجارة بهذه المديرية

أورد فيتا حسّان فى الفصل الثالث من كتابه بياناً هاماً بصدد كيفية دفع رواتب الموظفين والمعاملات التجارية الجزئية التى صارت تحصل من وقت احتكار الحكومة للتجارة .

ويرجع تاريخ هذا الاحتكار الى عهد ضم اراضى المديرية اما الواضع له فغوردون باشا واستمر معمولاً به من ذلك الوقت .

ولا توجد تجارة حقيقية بمعنى الكلمة فى لادو ولا فى محطات خط الاستواء الأخرى وبحر الغزال ابتداء من لادو . وكان يوجد فى لادو ثلاثة تجار وهم صبره وهو مصرى من اهالى الوجه القبلى ، وروفائيل وهو قبطى ، وديمترى يونانى . وكلف غوردون فيما بعد اثنى عشر يونانيا بينهم هذا الأخير بحراسة المستر « بور » Power قنصل انكلترا

في الخرطوم والذب عنه ومرافقته هو وأمير الألاي « استوارت » Stewart ومسيو « هربن » Herbin قنصل فرنسا . وكان هذا الجمع كله على ظهر الباخرة « عباس » التي كان قد أرسلها غوردون الى الديار المصرية وشحطت بين أبي حمد ومروى حيث ذبحهم جميعا الدراويش .

وكان تجار لادو الثلاثة كلهم يمتلكون رأس مال يبلغ نحو ١٥٠٠ ريال . وهذا المبلغ هو قيمة ما لديهم من السلع التي تنحصر في بعض مقاطع من الأنسجة القطنية والدامور وبعض زجاجات من المشروبات الروحية وكمية زهيدة من المواد الغذائية .

وكانت المواد الهامة المعدة للتصدير هي وحدها المحتكرة وترسل الى الخرطوم وهي العاج وریش النعام وجلود الثيران . فالعاج بلا امتراء من ممتلكات الحكومة ويجب على الأهالي جميعهم بدون استثناء توريده لمستودعات الحكومة حالا عقب صيد الفيلة بدون مقابل . ولربما سأل سائل لماذا يتكلف الزوج عناء اقتناصها ما داموا لا يستفيدون فائدة من وراء صيدها . والجواب على ذلك ان أولئك الزوج يصيدونها ابتغاء الحصول على لحومها وشحومها اكثر مما يرغبون الحصول على انيابها إذ أنهم يحصلون منها على مقادير وافرة من اللحوم والشحم للتغذية . وكانوا قبل احتكار العاج يبادلون عليه بالخرز أو بزجاجة من الخمر المغشوشة التي يجلبها التجار . هذا اذا لم يتخذ منها كثير من مشايخهم سياجات يفتشونها حول اكواخهم ويستثنى من ذلك سكان مملكتي الاونيورو والاوغندة إذ ان هؤلاء كان يوجد بينهم وبين الزنباريين علائق تجارية .

وفرضت الحكومة فيما بعد ذلك على الأهالي توريد العاج بصفة

جزية فاضطروا أن يقتنصوا الأفيال ليوردوا انياها سدادا لما هو مطلوب منهم لها .

وعاد الاحتكار على الأهالي بأضرار أقل كثيرا من التي وقعت على العرب لأن هؤلاء كانوا يجرون مغام كثيرة من وراء بيعهم العاج في الخرطوم .

وكان من المتعين أيضا تسليم ريش النعام في مستودعات الحكومة فتدفع هذه نصف الثمن والجزء الباقي يحجز سدادا لضريبة الحكومة .

وهذه هي القاعدة المتخذة أساسا للدفع :—

١٨ ريالاً ثمن رطل الريش الأبيض بضاعة عالية ويقال لهذا الصنف « العوام » .

١٢ ريالاً ثمن رطل الريش الأسود بضاعة متوسطة ويقال لهذا الصنف « الأسود » .

٣ ريالات ثمن رطل الريش الأشهب بضاعة عادية ويقال لهذا الصنف « ربدا » Rebeda .

وكانت هذه الأثمان لا تدفع نقدا بل غلة . وكانت السلع تقوم مقام النقود المتداولة في مديرية خط الاستواء فيدفع منها رواتب الموظفين والجند وكذلك الحال في باقي المعاملة التجارية .

وكانت البواخر التي تبحر الى الخرطوم تشحن بالعاج وريش النعام .

والجلود وغير ذلك من الأشياء الصغيرة ولدى عودتها توسق بالمظلات والاحذية والطرايش والمنسوجات القطنية الغليظة و الخرز و الصابون و السكر و البن و الشاي و المشروبات الروحية و سلع من المعدة للاستبدال من جميع الأنواع .

ولم ير فيتا حسان طول المدة التي أقامها إلا شحنة واحدة من النقود تحتوي على ٥٢٠٠٠ ريال بعث بها رءوف باشا من الخرطوم ليدفع منها المعاشات المتأخرة ومرتبات المستخدمين الملكيين والعسكريين لغاية آخر عام ١٨٧٩ م . وكون هذا المبلغ القيمة التي استعملت للمبادلة عينا في جميع أنحاء المديرية زهاء عشر سنوات وكانت كل باخرة تأتي من الخرطوم تجلب سلعا بنحو ٣٠٠٠٠ ريال .

ولدى الوصول كان يضاف الى ثمن الشراء الذي كان مرتفعا في الخرطوم رسوم قدرها ١٠ ٪ تقريبا علاوة على نفقات الشحن . وهذه النفقات كانت تحتسب بواقع ١٢٠٠ قرش يوميا عن ٩٠ يوما أى طيلة مدة الذهاب من الخرطوم والعودة اليها فيكون مجموع ذلك ١٠٨٠٠٠ من القروش . وعلى هذا يزيد ثمن السلع زهاء ٣٠ ٪ والموظف الذي يستولى على راتبه غلات أى من هذه السلع لا يصل الى يده إلا ثلثا استحقاقه .

والحاصلات التي كانت تجبي من الأهالي مثل الذرة والسهم والفول والشهد والزيت والأشياء الأخرى كانت تعطى للموظفين بمقتضى قواعد معينة وتخصم من أجورهم . واثانها الرسمية هي كالآتي :-

اليوزباشى حواش افندى منتصر الذى سيعهد اليه أمر قيادة هذه الحملة وتسلم المركز المذكور ، بالأشياء التى تلزمه . وأخبره فى الوقت ذاته أن وكيله لبثون بك عين حكمدارا لمديرية بحر الغزال بدلا من جيسى باشا الذى عزل من الخدمة وأدركته منيته فى السويس . وأخبره علاوة على ما ذكر أنه على وشك الحجز الى مكراكا ومن هذه يتوجه لتفقد مراكز أمادى ، و اجاك ، و روميك وغيرها من المراكز البحرية وأنه من المحتمل أن يذهب بعد شهرين للتفتيش على منطقة ممتو ويتمتع فيها بمشاهدته .

وبعد أن تسلم اليوزباشى حواش افندى منتصر قائد جنود مكراكا أمر تكليفه بإدارة مركز ممتو سافر على رأس ٥٠ جنديا لا غير لينضم الى حامية ذلك المركز المؤلفة من عساكر خطيرة .

ووجد فى قرية « أنزيا » Anzia وهى آخر محطات مكراكا اليوزباشى كازاتى الرحالة الايطالى مريضا . فاهتم بأمره طيلة يوم وسافر فى اليوم التالى الى « برنجى الصغير » وهى أول محطة من محطات مركز ممتو . وعلم وقت وصوله اليها ان الأهالى أبادوا الحامية الخطرية التى فى هذا المركز المؤلفة من ٨٠ جنديا .

ولم يدع هذا النبأ اليأس يتطرق الى قلبه وكتب الى الحكمدار يقول :
لقد قتلت حامية ممتو وسأنتقل الى هنالك لأعاقب الزوج على ما جنت أيديهم وأنتقم لسمعتك . فاذا سلمنى الله من هذه الواقعة وظلمت على قيد الحياة احطتكم علما بالنتيجة .

وانتقل حواش افندى منتصر الى قرية « الطويل » وفيها قام بعملية مبادلة الدم مع شيخها . وبعد مضي ١٢ يوما استطاع أن يجمع ٣٠٠ زنجي مسلحين يبنادق بقيت في حيازتهم من وقت أن كانت المتاجرة بالسلاح مباحة .

ومبادلة الدم بين شخصين هي عبارة عن اتحاد بينهما يحتم عليهما أن يتعاونوا في حالتي الهجوم والدفاع . وهذا الاتحاد المثبت بطابع من دمهما لا انفكاك له . وهذه هي طريقة مبادلة الدم عند رؤساء الزنوج :-

يحدث كل من المتبادلين الدم جرحا بسيطا في ذراع الآخر أو في جنبه بآلة حادة ويغمس في دم زميله حبة ما - ومن المعتاد أن تكون هذه الحبة من حب البن - ويتلعهما فورا . وبانتهاء هذه العملية يتم عقد مبادلة الدم . ومتى انتهى توقيع العهد بهذه الصيغة لا يخشى أى الفريقين خيانة أو غدرا من الجانب الآخر حتى ولو كانا قبل توقيع العهد عدوين لدودين بل يطرحان الماضى في زوايا النسيان ويلتزمان أن يشدا أزر بعضهما . ولم يحدث مطلقا في السودان ان أحدا من الموقعين عهد الدم نكث عهده ويصح أن يحتذى الرجال الذين يطلق عليهم كلمة متمدينين بتوحشى افريقية في المحافظة على العهود .

وسافر حواش افندى منتصر موليا وجهه شطر « بنجيدى » Bengedi الواقعة على نهر وليمه . وبعد أن علم شيخ هذه الناحية بما عقد عليه حواش افندى منتصر النية وقع معه معاهدة الدم وسمح أن يرافقه ١٨٠٠ رجل من رجاله مزودين بالحراش . ودفعه الى ذلك عامل الطمع في

الحصول على غنائم . وسافر حواش افندى منتصر مصحوبا بهذه الامدادات الى ممبتو .

وغادر بلد النيام نيام وولج في ممبتو متخذاً طريق بلدة « بمبا » Bamba التي يرأسها الشيخ أزنجبا Asanga أخو الشيخ چمبارى Jambari .

تأديب اليوزباشى حواش افندى لمامبانجا وأتباعه

وقام حواش افندى منتصر في بلدة بمبا بعدة مظاهرات بواسطة جنوده أطلق خلالها كثيراً من الطلقات النارية إرهاباً للاهالى . وعقد معاهدة الدم مع أزنجبا واصطحبه في مسيره مع ١٥٠٠ رجل آخرين تابعين له ودخل حواش افندى منتصر في أراضى « كوبي » Kobi التابعة لچمبارى أخى أزنجبا على رأس ٣٦٥٠ رجلاً . وكان چمبارى هذا أسيراً في مديرية بحر الغزال فأتى ابنه جمعة لمقابلته وعقد معه معاهدة الدم وطلب منه أن يتوسط لدى الحكومة لاطلاق سراح أبيه .

وعلم حواش افندى منتصر عند ذاك أن الحامية قتلها مامبانجا في تنجازى . ومامبانجا هذا هو رئيس ممبتو وأن القتل حصل بتحريض واغراء الرئيس الحاكم جنجارا Gangara . وأراضى مامبانجا واقعة خلف تنجازى . فزحف على هذه الناحية الأخيرة وقاتل جنجارا وأخذ أسيراً وأجرى تحقيقاً بشأن إهلاك الخطرية وسار من أجل هذا الغرض في طلب مامبانجا الذى كان نازلاً عند تخوم بلدة « ابرامو » Abramo وهاجمه على غرة منه واضطره أن يرحل الى داخلية البلد . فاقتفى أثره حواش افندى منتصر وطارده مدة سبعة عشر يوماً . ولما لم يستطع اللحاق به ألقى عصياً

تسياره في عاصمة مامبانجا القديمة على مسافة قريبة من قرية الشيخ مבורو Mboro وعقد مع هذا معاهدة مبادلة الدم وأقام في تلك الربوع محطة حصينة وعين فيها خمسين رجلا . وأرسل بقيادة الضابط محمد افندى عبده جنود الزوج ليقيم محطات ممبتو ويحصنها . وتربص حواش افندى منتصر لمامبانجا وشددت عزيمته في ذلك مخالفة مبادلة الدم التي عقدها مع مבורو . وعمل مامبانجا كل ما في وسعه بل بذل ما هو فوق ذلك لارهاب حواش افندى منتصر وحمله على الاقلاع عن مطاردته .

وقدم ذات يوم رسول وقدم الى حواش افندى منتصر الهدايا حسب المعتاد وأراه أربع سلال منعمة بالتبن المفتت وقال : « ان سيدى يخبرك ان لديه رجلا يضارع عددهم التبن الموضوع في هذه السلال التي أمامك . وهو يؤثر أن يكون صديقك على أن يكون خصمك وينصحك مراعيًا في ذلك مصلحتك أن تكف عن مطاردته » .

وما أتم الرسول كلامه حتى أخرج له حواش افندى منتصر من جيبه علبة صغيرة بها عيدان من الكبريت وبعد أن أعطاه هدايا لسيدة مامبانجا قال : « حال وصولك لسيدك افعل مثل ما أنا قادم على عملي تحت بصرك وجاوبه بالذى سأقوله لك » .

وقلب حواش افندى منتصر سلال التبن وأشعل ما كان فيها بعود من الشقاب وقال له : « بعد ما تكون قد قمت بعمل ما أريتك أمام سيدك قل له إنه وإن كانت جنودى ليست أكثر عددا من عيدان الكبريت التي في هذه العلبة إلا أن واحدا منهم يكفى للملاشاة وإفناء جيشه مثلما اكنتهى الحال بعود واحد من هذه العيدان لتحويل هذا

التبن رمادا » .

وقد يكون في هذا الزعم شيء من المغالاة ولكن يازم ألا يفوتنا أن حواش افندى منتصر كان يواجه اناسا تعمل فيهم الجرأة في القول والاقدام على العمل ما لا يعمل به التروى والتبصر في العواقب .

وبعد شهرين من ذلك عاد مامبانجا . وعلم حواش افندى منتصر وكان وقتها في « مבורو » Mboro ، أن ذلك الرجل أرسل في الطليعة جيوشه المساعدة . ولما كان لدى حواش افندى منتصر من الذخيرة ما يكفي رتب عساكره وسط المحطة خلف حصن مؤلف من حاجز من الأعمدة الخشبية كان قد أعده من قبل احتياطا للطوارئ وأحاط ذلك من جميع الجهات بزفوج مبورو .

وكان مامبانجا في أثناء هذه المدة قد جمع لفييف قبائل « الأبرامو » Abramamos ولم يتخلف عنه من جموعهم إلا قبيلة مبورو وشرع في الهجوم على المحطة . وكان ذلك قبيل الظهر . وأعطيت للزفوج الأوامر المشددة بأن لا يغادروا الحصن وأن يدعوا العدو يقترب متلاحم الصفوف . وهذا ما حصل فعلا . وعندئذ صوب عليهم حواش افندى منتصر نارا حامية متواصلة أخذت تحصد صفوفهم فكان يسقط عقب كل طلقة تصوب الى جموع الأعداء المحتشدة رجل بينما كانت عساكره مع حلفائهم متحصنين خلف المتاريس . وقيل الساعة الثامنة مساء انسحب العدو بعد أن خسر ٣٦٠ رجلا ونزل على بعد بعض مسافة .

وأضرم حواش افندى منتصر في أثناء الليل النار في جانب من

اكواخ القرية وأخفى رجاله خلف الأشجار وأمر بعدم إطلاق النار على العدو إلا بعد أن يعطى هو إشارة بطلقة نارية . وظنت رجال مامبانجا أن هذه النار شبت بالقضاء والقدر فانقضوا صوب هذه المنطقة المنفعة بالأخطار والأمل يساورهم بأنهم سيرجعون منها محملين بالغنائم . ولدى وصولهم الى مسافة مرمى البنادق أعطى حواش افندى منتصر الإشارة وفي الحال أحيط بالأعداء من كل صوب وناحية وهلك منهم عدد كبير . وقد وجد بعد انقضاء المعركة زهاء ٤٠٠ قتيل في ميدان الوغى .

وجمع مامبانجا رجاله وانسحب من الميدان ممتلئا خوفا ورهبة في اتجاه أبرامو . والرؤساء الذين كانوا ملتفين به لغاية تلك الساعة انقضوا هم وتوابعهم من حوله وقدموا الواحد تلو الآخر الطاعة للحكومة وعقدوا عهد الدم مع حواش افندى منتصر . وقد بلغه في هذه الآونة أن الطبيب جونكر وقع أسيرا في قبضة يد الماديين فأرسل خلفه في الحال من يقص أثره وأوصله الى ممبتو .

الانعام على اليوزباشى حواش افندى منتصر

وكتب الطبيب جونكر الى أمين بك كتابا لحنه وسداه الشناء المستطاب على حواش افندى منتصر لما اتخذ من الاجراءات في معاقبة الرئيس جنجارا ولما بذله في سبيل استرداد متاعه . ومن العجب العجائب ان اليوزباشى كازاتى الذى كان حينذاك فى ممبتو أيضا ورأى فيها الطبيب جونكر كتب خطابا الى أمين بك فى نفس ذات البريد الذى أرسل معه هذا الطبيب خطابه يتهم فيه حواش افندى منتصر بارتكاب سلسلة من الخطايا وبأنه هاجم جنجارا هجوما لا مبرر له سوى إرادة

السلب والنهب .

وبعث أمين بك بالخطابين السابقين الذكر الى رؤوف باشا حاكم دار
عموم السودان وهذا رفع حواش افندى منتصر الى رتبته صاغقول أغاسى
معمولا في ذلك على ما أبداه الطبيب جونكر الذى كان قد طلب لحواش
افندى منتصر مكافأة .

سفر الحكمدار مع فيتا حسان لتفقد الأحوال

وبعد أن أدمج أمين بك مركزى رول ، و ممبتو في مديرية خط
الاستواء عقد النية أن يتفقد أحوالهما بنفسه لكي يتمكن من تنظيم
إدارتهما فاستصحب فيتا حسان معه في هذه الرحلة . وعلى ذلك انتهز
هذا الفرصة لاستطلاع أحوال هذين المركزين ومركز مكرام أيضا الذى هو
أهم مناطق جميع المديرية وأكثرها ثراء وخصبا .

وفي ١٥ سبتمبر اتجهوا نحو الغرب ومعهم سكرتيره و رجال
حاشيته الثلاثة و خدمه و ١٤ جنديا . وفي ظرف ١٥ يوما أفضوا
الى زريبة « كانجو » Kango فى لادو فكانوا يسرون طيلة النهار
ويحطون رحالهم عند المساء فى أول قرية تصادفهم اذا وجدوا فيها
حاجاتهم وكانت أهاليها تقابلهم بالترحاب . وكانت زريبة كانجو مأهولة
بالدناقلة وقائدها رجل يقال له مولى افندى . وحال وصولهم الى هذه
الزريبة تقدمت امرأة زنجية الى أمين بك وشكت له سوء معاملة ربها
لها وهو شخص من أولئك الدناقلة . وكان أمين بك يعرف استبداد
هؤلاء فلم يتردد لحظة فى تصديق صحة دعواها وحقيقة شكواها فسامها

رخصة تحريرها من الرق وسمح لها بالعودة الى مسقط رأسها . وانتشر هذا الخبر في البلد بسرعة البرق وفي الحال انكشف الخبأ وظهر عدد كبير من الرجال والنساء الواقعين في الرق وحذوا حذو الزنجية السالف ذكرها وطلبوا مطالبها .

وجلس أمين بك يوما ليستمع شكاوى أولئك البائسين فخرر منهم زهاء أربعين نفسا ورجعوا الى أوطانهم .

وكان قد ألم من قبل بأحوال الدناقلة فكان اذا ذكرت سيرتهم لا يذكرهم بخير . وهؤلاء القوم يتمتعون بامتيازات تخول لهم ألا يدفعوا أية ضريبة للحكومة وكانوا يخلقون لها عناء ومشغل أكثر مما يوجد له الأهالي . وحدا هذا كله الحكمدار أمين بك الى أن يضع حدا لهذه الامتيازات وإبطال هذه الانعامات التي لا يستحقونها والتي لا يوجد لها أى مبرر . وعلى ذلك أصدر أمرا بدفع الضرائب أو النزوح عن الديار فاختاروا الرجوع الى الخرطوم . نعم إن الدناقلة لم تنشرح صدورهم لهذا الأمر إلا أن الزنوج بالعكس ارتاحوا له جد الارتياح .

وبعد أن أقام ثمانية أيام في زريبة كانجو غادرها هو وفيثا حسان ويما « بوفي » Buji وهي محطة من أعمال مركز رول ورئيسها شخص من الدناقلة يقال له عزب افندى .

وتفقد الحكمدار العام أمين بك إدارتها وخص دفاترها وزار مخازنها واستعرض حاميتها ولم يفتنه شاردة ولا واردة من الاشياء التي تهتم رئيسا من الرؤساء .

وانتقل الاثنان من بوفي الى أجاك فبلغاها في ظرف ثلاثة أيام وذلك بعد أن ألقيا رحالهما للاستراحة في بعض المحطات الصغيرة . وبلغ الحكمدار أممين بك قبل أن يصل الى القرية أن دناقلة هذه المحطة أصروا على قتله خلال عرضه لحايتها انتقاما لرفاقهم الذين كانوا في زريبة كنجو حتى لا يتعرضوا هم الآخرون لمثل ما وقع عليهم . ولم يثر هذا الخبر بلابل الحكمدار ودخل أجاك هادئا مطمئنا بدون أن يتخذ أقل حيلة . وهذه القرية هي أم قري مركز رول وكان قائدها وقتئذ رجلا من الجميلين يقال له ضيف الله ركاجا . وقد أعد له هذا بيتا نظيفا وقابله بمقابلة حماسية . وفي اليوم التالي انطلق الحكمدار يتفقد ويفتش مشاما عمل في المحطة السابقة وفي الوقت نفسه كان فيتا حسان يزور الجنود والمرضى . وعرض الحكمدار الجنود بدون أن يدع نفسه تخالجها عوامل الخوف والرغبة على أثر ابلاغه خبر المؤامرة التي عقدت لاغتياله . وفعلا ناقض قيام الجنود بالاستعراض بحمد خبر المؤامرة المزعج الذي اتصل به . وقد أقام في أجاك زهاء أسبوعين .

ولا بد لنا هنا من أن نخص بالذكر مجهودات المسيو ماركو جيسبارى Marco Gaspari التاجر اليونانى واهتمامه بتوسيع وسائل الزراعة وانتشارها . فقد غرس جيسبارى في جزء من قطعة أرض تبلغ مساحتها نحو ٢٠ فدانا ومحيط بها سياج كثيف من التين الشوكى اشجارا من اشجار الفاكهة المختلفة الانواع وزرع في جزء آخر منها خضرا والباقي منها خضه بزراعة الذرة والبطاطا والبقول والسمسم والبقول السودانى . ويوجد في بستان الفاكهة غير التين الشوكى الكثير العدد الذي يكتنف المزرعة من كل جانب أشجار من أشجار الموز المختلف الأنواع والتين والبلح والخوخ

والزمان والليمون . وهذا مما يبرهن على أن الأرض صالحة لكل أنواع المزروعات والمغروسات وأنه في حيز الاستطاعة تعويد مغروسات أوروبا على مناخها .

وزراعة الفول السوداني منتشرة في اجاك انتشارها في سائر انحاء بلاد الدنكاويين المقيمين في مركز رول . وتبلغ مساحة كثير من الحقول المزروعة هذا النوع بعض كيلومترات وتمتد من قرية الى أخرى . وعندما اجتاز الحكماء أميين بك تلك الحقول استدعى الأهالي واستعلم منهم عن سر عدم إقدامهم على استخراج الزيوت من هذا النبات . وحسبهم كثيرا على عصره وأكد لهم بأنهم يحصلون منه على زيت يفوق الشيرج كثيرا دسامة و طعما . وفرض على كبير الناحية توريد مقدار من زيت الفول السوداني بصفة جزية وهكذا أئزم الأهالي أن يشكبوا على هذه الصناعة جنوا منها فيما بعد أطيب الثمار وأجزل المنافع .

وبعد مسيرة يومين من مبارحة أجاك أفضوا الى روميك قاعدة مركز رول وكان معهودا بإدارتها الى شخص من الخطرية يقال له ابراهيم غطاس . وأقاموا في هذه الناحية مدة يومين تفقد الحكماء في خلالها الأحوال كالمعتاد بل بدقة تفوق الحد المعتاد في رحلات تفتيشه الماضية . وأمر بنوع أخص بالاعتناء بدفاتر الحساب وإصلاحها ابتداء من تاريخ تعديل إدارة هذا المركز . وأعطى تعليمات صارمة تتعلق بإدارته ونبهه مشددا على كبير الناحية بأن يخاطب في كل الأحوال حكومة لادو مباشرة .

العودة الى لادو عاصمة المديرية

وتلقى الحكمدار قبل مغادرته رومبيك خطابا من موسى بك شوقى (١) وكيل مديرية بحر الغزال يدعوه فيه للمجيء الى مديريته ليعينا بالاتفاق تخوم المديرتين . واجتاز أمين بك « خور التمساح » بعد أن مر بناحية « جوك مختار » Go'k Moukhtar وهى آخر محطة من محطات رول . وعلى بعد كيلومترين من عبور الخور المذكور قابل هو ومن معه موسى بك وكان قادمًا لمقابلتهم بالنيابة عن لبتون بك الذى كان قد توجه الى الخرطوم ليزور حكمدار السودان العام . وانتقل موسى بك وأمين بك معا الى « جوك حسن » حيث أقاما يومين وبعد أن عينا التخوم الفاصلة بين المديرتين قفلا راجعين .

وسلك الحكمدار أمين بك فى الاياب نفس الطريق التى سلكها فى الذهاب لغاية جوك مختار ومن هناك قرر السير فى طريق آخر ليمر بمحطات شتى ويستطلع أحوالها . فبدلا من أن يـمـروا برومبيك ولوا وجوهم شطر محطة « ليـجـى الصغيرة » Liggi الواقعة جنوب رومبيك . وأقاموا يومين فى ليـجـى ثم شخصوا منها الى « جـوزا » Goza التابعة لمركز مكرىكا . ومن جوزا اتجهوا الى « جندا » Ganda الواقعة ناحية الشرق . ولبت الحكمدار فيها ثمانية أيام لأنها وقعت من نفسه موقعا حسنا . وكانت هذه المحطة الصغيرة قائمة على مرتفع تصبو النفس كثيرا من أجله

(١) — أصله ضابط سوارى وأرسل الى السودان وتقلب فى عدة وظائف هناك ونال أخيرا رتبة الباشوية وكان فى الخرطوم مدة حصار المهديين لها وقتل عند سقوطها .

للاقامة فيها لاعتدال مناخها وطيّب نباتها وعذوبة ماء جدولها وصفائه .
ومن تلك المحطة انتقلوا الى « واندى » فبلغوها فى ظرف خمسة أيام ونزلوا
فيها فى اكواخ من اكواخ الزوج . ورحلوا بعد ذلك الى « أمادى »
Amadi وهى محطة تابعة للادو وأقامو فيها يومين . وفى هذه المحطة ورد
الى الحكمدار أمين بك خطاب من لبتون بك يخبره فيه بوصوله الى
بحر الغزال وتعيين مركوبولو أخى مركوبولو بك سكرتير رءوف باشا
وكيلا لمديرية خط الاستواء . وأطنب فى الشاء على هذا الوكيل .
ومما قاله فى هذا الخطاب ان شخصا يقال له محمد احمد هذا يسكن جزيرة
ونشر راية العصيان فى وجه الحكومة وان محمد احمد هذا يسكن جزيرة
أبا من اعمال مركز « كوى » Kawa ولديه عدد كبير من الأتباع
يأتّمرون بأمره .

وفى المساء قبل سفرهم من أمادى حدث خسوف جزئى للقمر وقبل
دخول لادو بزمن يسير وردت له الانباء بوصول الباخرة « بردين »
وعلى ظهرها مركوبولو وكيل المديرية الجديد . وقد أتى لمقابلة امين بك
الذى كان قد قدم فى ١٩ ديسمبر . وعند وصوله قدمت له الجنود التحية
العسكرية المعتادة .

وبعد أن استقر به المكان اطلع على المراسلات الواردة بالبريد
فوجد بينها خطابا من رءوف باشا يدعو فيه للحضور الى الخرطوم .
هذا ، ولما كان الحكمدار امين بك ليس لديه شىء يحمله على الاسراع
فى السفر ظل زهاء شهر فى لادو مشغلا بتوزيع السلع التى وردت مع
الباخرة « بردين » الى مختلف المراكز وتأدية الاعمال المعتادة فى

أنحاء المديرية .

وفي ٢٥ ديسمبر كتب أمين بك رسالة الى الطيب جونكر أحاطه فيها بوصوله الى لادو وبلغه ايضا الاخبار التي وردت له مع الباخرة « بردين » وأخبره ايضا بوصول وكيل المديرية الجديد وذكر ان هذا الوكيل غير متحل كليّة بشيء من الأهلية والجدارة وانه لم ينل مركزه إلا بسبب منصب أخيه الذي كان فيما سلف أميناً لمخازن حملة سير صمويل بيكر . وطلب أيضا الحكمدار أمين بك من جونكر أن يتكرم بمراقبة بخيت بك بتراكي وقال انه غير مرتاح لأعمال هذا الرجل وأنه لم يبعث به الى ممبتو إلا لأنه لم يجد لديه شخصا أكثر منه كفاءة . وسأله عن ال ٤٠٠ رقيق الذين استولوا على أوراق عتقهم في ممبتو وكانوا ضمن الزنوج الذين في زريبة مولى افندى في « كانجو » Cango هل رجعوا الى أوطانهم أم لا .

تقسيم الادارة والاراضى في مديرية خط الاستواء

وذكر فيتا حسان في الفصل الخامس والسابع من كتابه الآنف الذكر التقسيم الادارى في هذه المديرية وكذلك تقسيم أراضيها وترتيب قواتها العسكرية وسكانها وحالتها المالية . وهذه ترجمة ما قاله في هذا الصدد :-

كانت مديرية خط الاستواء مقسمة في عام ١٨٨١ م الى ١٠ مراكز أو إدارات وكل إدارة منها تحتوى على جملة محطات . وهذه الادارات كانت تسمى مديريات من عهد حكمدارية غوردون باشا وكانت

قاعدتها العمومية لادو . وكان الرئيس يلقب بمدير عموم خط الاستواء .
وكان عدد المحطات يبلغ ١٧٠ محطة . وهذا عدا القرى التي ليست بها حامية
والقبائل التابعة للمديريات وكذلك القبائل المفروض عليها جزية .

وهذه هي إداراتها العشر :—

بور وهي قائمة على ضفة النيل الأبيض الشرقية .

لا دو ، و كرى ، و دوفيليه وكلها قائمة على ضفة النيل الأبيض الغربية .

فويرا ، و لاتوكا ، و فاديبيك وكلها قائمة في شرق النيل الأبيض .

رول ، و مكراكا ، و ممبتو أو جرجورو وهي واقعة غرب النيل
الأبيض .

ويقع الحد الشمالى للمديرية عند محطة السوبات المسماة بالتوفيقية من عهد
حكم سير صمويل ييكر . ولم تنشأ هذه المحطة إلا ابتغاء توريد الاحطاب
التي تلزم لوقود مراحل البواخر . وانفصلت هذه المحطة فيما بعد هي و محطة
ناصر من مديرية خط الاستواء وألحقها بمديرية فاشودة .

والمركز الأول ^(١) « بور » قاعدته في القرية المسماة بهذا الاسم
وموقعه شرق النيل الأبيض . وأرضه تحتوى على غابات فسيحة الأرجاء

(١) — ويعلم من هذا التقسيم ان المركز كان يسمى ادارة وان هذه المديرية كانت
تسمى مديريات خط الاستواء .

مترامية الأطراف من خشب الابنوس وهى عامرة بسائر أنواع الحيوانات البرية . وهذا المركز ممتد كثيرا ويتصل بمركز لاتوكا غير ان سكانه قليلو العدد . وفيما عدا بور لا يوجد به أى محطة عسكرية أخرى . ويسمى سكانه « البوريين » Bòrs وهذا هو اسم نفس ذات البلاد . إذ ان المادة المتبعة على وجه العموم فى السودان هى تسمية كل بلد باسم القبيلة التى تسكنه .

والبوريون هم فرع من الدنكاويين Dinks بخلاف جيرانهم التويتشين Tuitchs وهم أصحاب بطش وبأس فى الحرب والمجادة . ويشغلون بحراة الأرض للزراعة وعلى الأخص زراعة الذرة والسمسم والتبغ والقمرع . ويميلون ميلا خاصا الى تربية المواشى لاسيما البقر ولهم قطعان كبيرة جملها يلفت الانظار . أما عاداتهم واخلاقهم فهى مثل عادات الدنكاويين واخلاقهم .

والمركز الثانى هو « لادو » وموقعه فى جنوب المركز الأول . و لادو هذه هى فى الوقت ذاته قاعدة الحكمدارية برمتها . وتتألف أرض هذا المركز بنوع أخص من سهل رملى قائم عليه جبلان أحدهما على مرحلة ٢٥ كيلومترا شمال غربى المدينة ويقطنه قبائل مستقلة . والثانى قرب محطة الرجاف ويقال له جبل الرجاف . وتبتدىء قرب محطة بيدن سلسلة جبال صغيرة تنتهى عند دوفيليه . وسكان هذا المركز هم من الباريين ويتعاطون من الأعمال الزراعة وتربية الحيوانات على الأخص . وشأنهم فى ذلك شأن قبائل البور . وأنواع زرعهم هى الذرة الحمراء والسمسم والبقول والفول السودانى ونوع من القرع يسمونه « اورچور » Urdjour . وعلاوة على

ما ذكر يقتنون قطعانا كثيرة من الضأن والثيران والماعز . ويقطن الباريون ضفتي النهر ابتداء من لادو لغاية محطة « خور ايو » Khor Ayu أى مدى ١٤٠ كيلومترا . والوان بشرتهم أقل سوادا من بشرة الدنكاويين . ومن عاداتهم اقتلاع الاربع الثنايا كالدنكاويين وأهالى مكرىكا و مادي و شولى و ماجونجو و اللانجوس .

ورجال الباري الماديون لا يتزوجون إلا بامرأة واحدة أما كبراؤهم فيتزوجون بعدة نساء . وعندما ينوى احد منهم المبيت عند احدها يغرس حربته امام بابها فتفهم المرأة وتستعد لمقابلة سيدها وربها . ويعقد عندهم الزواج بدون حضور موظف أو رجل من رجال الدين بل مثل جميع الزوج بواسطة شبكة زواج وهذه الشبكة عبارة عن ماشية من مواشى الانعام عددها يزيد أو ينقص بحسب ثروة الاسرتين . وهذه الشبكة يقدمها الرجل لوالد الخطيبة . ويجب على هذا الاخير ان يرد هذه الشبكة الى صهره أو قيمتها اذا ماتت الزوجة بدون اولاد ولم يكن لديه ابنة أخرى يقدمها لصهره بدلا من المتوفاة . ولا تتألف شبكة المخطوبة من ماشية فحسب بل كثيرا ما تشتمل على بعض حراب وسهام حسب نص الشروط التى يكون قد اتفق عليها الطرفان . وتعتبر الذرية من البنات عند الباريين اعظم من البنين خلافا لعادة الشرقيين لأن البنت عند زواجها تجر لأهلها مغنما وعلى النقيض من ذلك الذكر فان أهله لا يرغبون من ورائه شيئا .

ولا بد من ذكر ملح الطعام بين حاصلات مركز لادو فهو يوجد في « أونجاتى » Unjati الواقعة قرب لادو . ولا يوجد فى سائر اراضى

خط الاستواء إلا ثلاث ملاحات هي : « أونجاني » وهي في المديرية المصرية ، و « كيبيرو » Kibiro ، و « أوزونجورا » Usongora وهما في بلاد الأونيورو .

ويستخرج من ملاحه أونجاني مقادير وافرة من الملح تفي بحاجات جميع سكان مديرتي بحر الغزال وخط الاستواء . ويستبدل الأهالي بسائر الحاصلات وجميع أنواع الماشية الملح وهو مصدر إيراد هام للحكومة .

ويوجد كذلك بكثرة في محطات كري الشجر الذي يستخرج منه الشحم النباتي . وأهم محطات مركز لادو العسكرية هي : غندوكورو ، و الرجاف ، و بيدن .

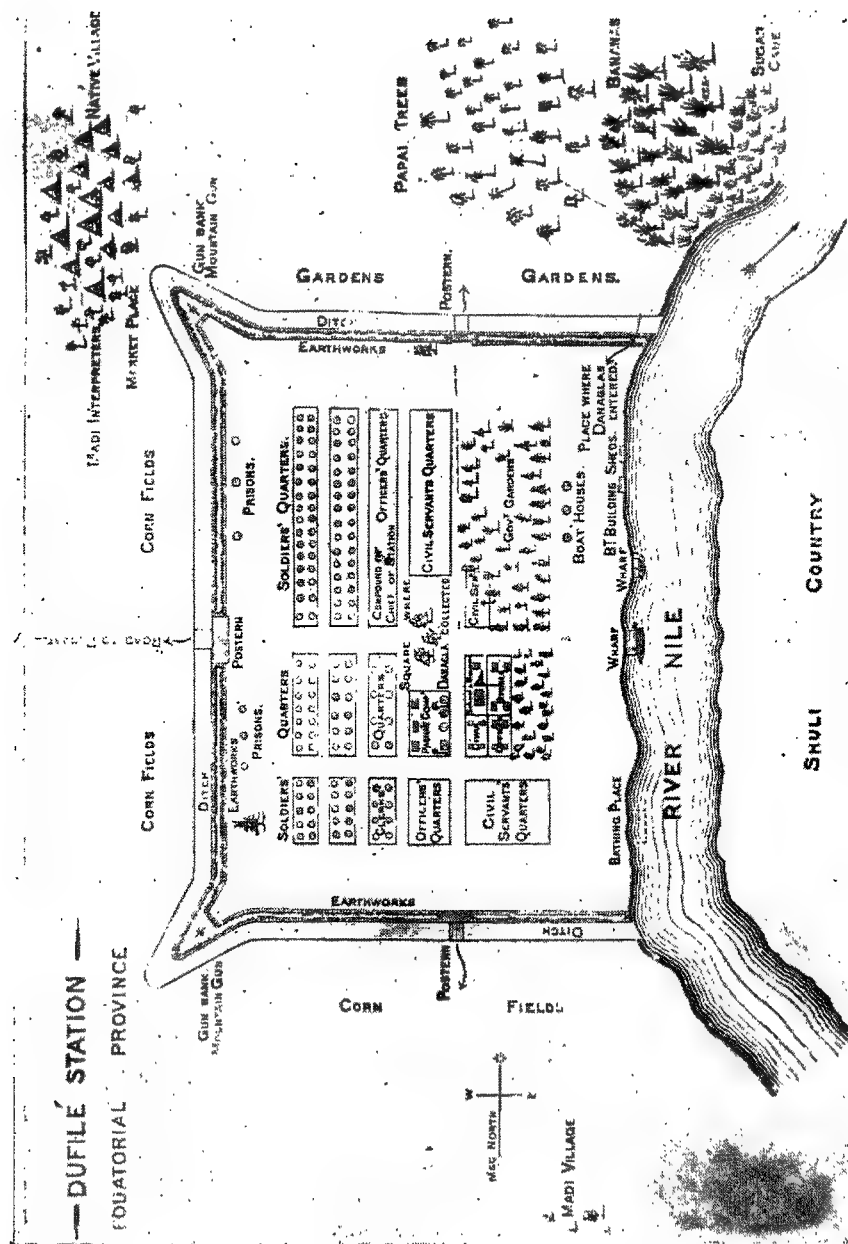
والمركز الثالث كرى وموقعه شرق النهر بين لادو و دوفيليه وهو عبارة عن سلسلة جبال متصلة تقريبا ببعضها ويقطنه الباريون السود . ويعمل هؤلاء نفس الأعمال التي يشتغل بها سكان لادو . ولا بد أيضا من التنويه بذكر الزيت النباتي ثم الذرة والسمسم والفول بين مختلف حاصلات هذا المركز .

ويلحق بالمركز السالف الذكر ثلاث محطات عسكرية كبرى وهي : خور أيو ، و لا بوريه ، و موجي .

والمركز الرابع وهو دوفيليه واقع شرق النهر في جنوب المركز السابق الذكر . وقرية دوفيليه التي بها قاعدة المركز هي أهم سائر محطات مديرية خط الاستواء بعد لادو وهي النقطة التي يتبدى منها البحار

لغاية بحيرة البرت نيانزا . وتينار شلالات فولوا السريع يحول دون نزول المراكب أبعد من هذه النقطة ويوجد في دوفيليه ترسانة للباخرتين النهريتين « الخديو » و « نيانزا » وهذه الترسانة معدة أيضا لتصليح الباقي من المراكب . وأراضى هذا المركز بنوع أخص جبلية ويتألف سكانه من الشوليين ومقرهم شرق النهر ومن الماديين والكوتوين والكوكوين ومقرهم في الغرب . ويشغلون على الأخص بزراعة الذرة والسسم والتبغ . والماشية في هذا البلد قليلة . وتضم أراضيه في شرق النيل كل بلاد الماديين وقسما من أراضى الشوليين . وفي غرب النهر يقوم جبلا ميتو Mitu و كوكو Kuku .

وأولئك الأقوام الرحل وإن كانوا يختلفون اختلافا بينا في الجنس واللغة فهم يتباينون تباينا قليلا في الشكل . فصورة المادى تشبه صورة البارى إلا أنه أضخم منه جسما ولا يستعمل الخلاقة وهو أيضا مكسال ومتواكل . ومحصوله من الزراعة تافه قليل لا يكاد يفى بحاجته بل لا يمكنه من سداد الجزية المضروبة عليه للحكومة والماديون لا يميلون للحروب إلا قليلا . وهم في ذلك على النقيض من جيرانهم الماتوين ذوى البسالة والاقدام ولا بد من ملاحظة بون شاسع بين هؤلاء ورجال الكوكو مع ان المسافة الفاصلة بين هاتين القبيلتين تكاد تنحصر في بعض كيلومترات قليلة . فصورة الرجل الكوكو أحسن في الظاهر من صورة الرجل الميتو وهى تذكّر المرء الذى يقع بصره عليها بصورة الدنكاوى غير ان طباعه توافق طباع القبائل الاخرى وفي الحروب لا يمتاز عن هذه القبائل ويتفق الجميع في الاخلاق والعادات . وكانت هذه الأقوام الرحل مياسير ولديهم من قطعان الأنعام الشىء الوافر الجزيل وذلك قبل



خريطة محطة دوفيليه العسكرية

أن يظهر في بلادهم التجار الذين قدموا إليها قبل احتلال المصريين للمديرية .

وكانت الثيران تعد عندهم بالالوف في أصغر قرية . وفي أول عهد الفتح كانت الجنود تعود من غزواتها للقبائل المتمردة ومعها من الاسلاب ١٠٠٠٠ ثور تحصل عليها بلا غناء . إلا أنه من وقتما عملت في تلك الأقصاع يد التاجر سلبا ونهبيا متواصلا وقعت في أياب الفقر والمترية . ويمر رجال الطبقة الفقيرة خطيباتهم بشيء من السمك اذا لم يكن لديهم ماشية ولا سلاح . وعندئذ يتعهد الخاطب بخدمة حميه ويشغل في صيد الأسماك زمنا ما لسداد ما عليه من المهر .

وتنحصر صناعة أهالى مركز دوفيليه في استخراج المعادن وتنقيتها ومع ذلك لم يصلوا الى درجة الباريين أو سكان ممبتو في المهارة . ولم تعد مصانعهم دور الطفولة . ويشغل الصانع تحت سقف تحمله أربع قوائم . ويحمى الحديد في نار وقودها الخشب وتظل هذه النار موقدة على الدوام ويخرجونه منها بواسطة كمشات مصنوعة من الخشب الأخضر ويطرقونه بين أحجار ضخمة يستعمل واحد منها سندانا وآخر مطرقة . وصبر الزنجي وأناته حلا محل نقص الآلات ومكناته من انجاز اشغال كان يقدر استحالة انجازها بالآلات بسيطة كهذه . وتوصل السودانى الى اتقان كثير من الادوات مثل السلاح ومواعين الطبخ اتقاننا لا بأس به .

والمحطات العسكرية الأكثر أهمية التابعة لمركز دوفيليه هي : فابو ، وفاتيكو ، و وادلاى . ويعمر هذه المحطة الأخيرة قوم يقال

لهم اللوريون .

والمركز الخامس فويرا وهو واقع شرق دوفيليه وأعلى منها مسافة قليلة ويكون تخوم مديرية خط الاستواء الجنوبية . وفيما وراء هذه التخوم يوجد بلد الأونيورو ومملكه كباريجا . وقاعدة هذا المركز فويرا . والمحطة الحربية الوحيدة الملحقة به هي فودا . وكان هذا المركز في الزمن الذي سلف أكثر امتدادا نحو الجنوب وكان ملحقا به بصفة محطات عسكرية مرولى ، و مازندى ، و اوروندوجانى ، و ماجونجو ، و كيروتو ، و فاكوفيا ، و كييرو إلا أن هذه المحطات صار اخلاؤها بأمر غوردون باشا ولم يعد احتلالها بعد ذلك مرة أخرى .

وأكثر أراضى فويرا جبلية ويعمرها قبائل الماجونجو و العاميرا . أما مزروعاتها فهي التبغ بكميات وافرة والفول والعدس والذرة . وهذا النوع الأخير هو أهم الحاصلات للأراضى فى كل ناحية . وتقتنى هذه القبائل كثيرا من الثيران ويربون النحل . وشرعوا فى زراعة الموز فى أراضى فويرا وهذا النوع لا يعد نعمة جزيلة تعم الأهالى فحسب بل فائدته تعود أكثر على عابري السبيل .

والمركز السادس لاتوكا . وهذا المركز تفقد أمين بك حالته فى خلال هذا العام . ويكفى هنا القول إن لاتوكا بلا مرأه جنة افريقية . وأراضها أكثرها جبلية إلا أنه إنما ذهب الانسان لا تقع عينه فيها تقريبا إلا على ترب مجلل بالنبت الوافر . وأهم المحطات العسكرية التابعة لهذا المركز هي : أوكلو Okello ، و ترانجول ، و ابوريه Oburè ، و عبو .

والمركز السابع هو فاديبيك وموقعه بين لآتوكا و فويرا . وراضى هذا المركز جبلية ويسكنها قبيلة الشولى . وحاصلاته هى تقريباً نفس حاصلات المراكز الأخرى . ويمتاز سكانه الشوليون بالجرأة والاقداء فى الحروب والفنص والمهارة فى الزراعة . ويزرعون الأرض بعناية خاصة فتدر عليهم الخيرات الوفيرة . وتعوض عليهم جزاء مجهوداتهم ثماراً لا يتوصل الى جنى نظيرها أية أمة أخرى . وقد يخصصون فى بعض المرات محصولاً كبيراً فيزيد عن حاجاتهم وينصد فى البيادر فيضطرون الى رميه . ولا يقتنى الشوليون كثيراً من الحيوانات الأليفة إذ انهم يمتارون باللحوم التى تسد حاجاتهم من قطعان الأرأف والجاموس البرى والغزلان والأفيال والأوعال التى تعيش فى الغابات وذلك باقتناصها وتقديد لحومها وحفظها .

ولازم الشوليون على الدوام الاخلاص للحكومة من وقتما احتلت جنودها بلادهم وقلما كانت ترى نفسها فى حاجة الى اخاد ثورة فيها . وهذا على النقيض من جيرانهم اللانجويين الذين التزموا خطة العصيان ولم تتمكن الحكومة من اخضاعهم . وكانت تحمل عليهم من وقت الى آخر بجنودها بدون أن تجنى من وراء ذلك ثمرة اللهم إلا الاستيلاء على بعض الحمير من مراعيها . وتنحصر انعام اللانجويين فى قطعان هائلة من هذه الحمير ولون هذا الضرب من الحمير أشهب ويمتد على طول ظهورها خط اسود . وتحمل عندهم محل البقر الذى يوشك أن يكون معدوما فى بلادهم . ويتخذ اللانجويون حاجاتهم من اللحوم والألبان من تلك الحمير . ومن غير المستطاع ركوب هذه الحيوانات وذلك لعدم تعويدها على هذا الأمر .

ولقد أمكن استعمال الحمز الصغيرة السن فقط من بين الحمز التي غنمتها الجنود في غزواتها فأنت بخدمات جليالة بعد تدريبها . أما جميع المحاولات التي بذلت في سبيل ركوب المتقدم منها في السن فقد ذهبت هباء منثورا ولم تأت بفائدة ما . فلا المهاز ولا العصا استطاعا أن يجعلها تخطو خطوة حتى لكأنها كانت تفضل الموت وهي واقفة في أماكنها على أن تنزح .

واللانجويون هم قوم ينجحون للحرب والكفاح الى أبعد حد . ورغمما عن الغارات المتعددة التي قامت بها جنود الحكومة لقصاصهم لم تتوصل قط الى اعتقال واحد من محاربيهم . ومع انه كان يوجد في صفوف جنود الحكومة زنوج من سائر القبائل فما كان يرى حتى ولا واحد من اللانجويين بين الجنود أو الأسرى .

ولا يلحق بمركز فاديبك هذا من المحطات العسكرية إلا محطتان اثنتان هما « لاور » و « جاللي » Galli .

والمركز الثامن وهو رول يشتمل على الأراضي الواقعة غرب النيل الأبيض لغاية مديرية بحر الغزال . وهذا المركز أهم مركز في المديرية وهو حافل بعدد كبير جدا من السكان . أما العشائر الضاربة في وديانه فهي قبائل الاجارية Les Agars ، و الجوكية Les Goks ، و الاتووية Les Atwots ، و البيلوية Les Belus ، و النتوية Les Netus وكل هذه القبائل تابعة لقبيلة الدنكا أو جانجيه Jangés الكبيرة .

والسلالة الدنكاوية هي أجمل سائر سلالات الزنوج ذاتا واشرفها حسبا . وتنقسم هذه القبيلة الى قسمين . الدنكة أو الجانجيه وهؤلاء نازلون

في شمال مديرية خط الاستواء وفي مديرية بحر الغزال . والدنيكة السجيحة Sagiha ويسكنون مع النوير و الشلوك في مديرية فاشودة .

والدنيكة قوم أصحاب حرب وجلاد وهم نوابغ في الصيد والقتل ولهم ولع بالأعمال الزراعية ومن مزروعاتهم الفول السوداني وأنواع متنوعة من الذرة والفول . ويتألق الدنكاويون في ملبسهم وطعامهم وهم في ذلك على نقيض جيرانهم . وأخص غذائهم اللبن والشهد والدقيق والذرة والفول والزيت المستخرج من الفول السوداني وقليل ما يتناولون اللحوم . وتراعى النساء في طهي الطعام النظافة والترتيب .

وذكر فينا حسان انه كان لا يخشى أن يقيم بمنزل رجل من رجال هذه القبيلة بل كان لا يهاب من أن يتناول الطعام مع أحدهم . وتتشح النساء المتزوجات بجلد مدبوغ من جلود الأغنام فيوارين به سواتهن . أما قبل الزواج فتعيش الفتاة عارية . وإذا خانت زوجة بعلمها فهذا يقتل الذي انتهك حرمة ويرد زوجه الى أهلها بدون أن يلحق بها أى أذى حتى ولو كانت شريكة الجاني في الجريمة لأنه يعتبرها مخلوقا ضعيفا قد يستسلم أمام القوة أو يسقط أمام نزغات النفس وعلى ذلك يعدها أهلا للمعذرة .

وقد صيرت المزارع الشاسعة المتنوعة المحصول والقطعان الكثيرة التي لا عدد لها وحاصلات العاج الجسمية مركز رول من مراكز خط الاستواء الكثيرة الاهمية . وأراضى هذا المركز هي عبارة عن سهل فسيح الارعاء تقطعه جداول عديدة مأوها رائق سائق الشراب . ويشغل الأهالى بالزراعة وتربية الماشية واقتناص الفيلة .

ومحطات هذا المركز العسكرية المهمة هي : اجاك وهذه قاعدة المركز وشمبي ، ورومييك ، وبوفى Bufi ، وصيادين Sayadin ، وليسى Lessi ، و أفارد Affard ، و الجوك مختار El Gök Moukhtar .

والمركز التاسع وهو مكراكا يشمل جميع البقعة الواقعة جنوب مركز رول لغاية ممبتو (جورجورو) . وهذا المركز كثير الجبال غزير الماء وافرها لدرجة خارقة للعادة . واسم الأهالى كاسم الناحية . وهم منقسمون الى قبائل صغيرة كثيرة العدد ولا يشبه رجال قبيلة منهم رجال القبيلة الاخرى . وتنحصر أعمال أهالى مكراكا تقريبا فى الزراعة ولا يميلون الى القنص إلا قليلا . أما الأنعام فليس لديهم منها إلا الشئ التافه . ويتغذون بأقل من القليل حتى أنهم ليقنعون بقبضة من الذرة . وهم قوم لطاف دمثو الاخلاق يجنحون الى الطاعة .

وذكر فيتا حسّان انه لم يطرق مسامعه طيلة المدة التى أقامها وهى عشر سنوات ان أهالى مكراكا كدروا مرة صفو الحكومة أو جروا عليها متاعب . والمكراكاويون يمتنون فى الجنسية الى النيام نيام جيرانهم ، واجسامهم وطبائعهم تعيد الى الذاكرة ذكرى هؤلاء . والمكراكاويون هم ايضا من آكلى لحوم البشر مثل النيام نيام إلا أنهم يقولون عنهم فى ذلك درجة لتدخل الحكومة واستعمالها الشدة مع آكلى لحوم الانسان . وتلتزم النساء بحراسة اولادهن ورعايتهم بعين ساهرة عندما يسلم حملو مكراكا حبوبا أو عاجا الى محطة من المحطات حتى انهن ليتركهن رهن أكواخن الى ان يسافر أولئك المحالون . وكان يلاحظ اختفاء أولاد فى كل مرة يقدم فيها حملو مكراكا رغما عن السهر الشديد على أولئك الاولاد

ولا تتمكن الحكومة من العثور على الجناة . وكان يعثر في بعض الاوقات على نخد أو ذراع في جراب رجل من المكاركة . وكان كثيرا ما ترى عظام بشرية معروقة في المحال التي كان ينزل فيها هؤلاء . ولما كانت الحكومة تجند منهم عسكريا كان اقبالهم على التغذية بلحوم البشر يقل بسبب وفرة اللحوم من جهة وصعوبة الحصول على اللحم البشري في محطة من محطات الحكومة من جهة أخرى . ورغمما عن ان المكاركة هم من آكلى لحوم البشر يوجد فيهم الحياء أكثر من الزوج الآخرين ولهذا يبذلون كل ما في وسعهم للحصول على بعض أطمار يسترون بها عوراتهم . وعندما يأتون الى محطة من محطات الحكومة لدفع الجزية المضروبة عليهم يجعلون قبلة انظارهم الحصول على شيء يمكنهم استبدال قطعة من النسيج به يوارون بها سواآتهم في الحال . وهم لا يميلون لتكبد متاعب الاشغال ولا لأخطار القنص غير أنهم مع ذلك لم يكونوا معدودين من سقط الجند . نعم ليس لهم ذلك النشاط الذي يمتاز به الزوج الآخرون إلا أنهم لم يكونوا أقل من هؤلاء حركة وهم يكلفون أنفسهم بأي عمل كان . ولهذا الأسباب كون أمين بك جنود الحكمدارية من المكراكاويين دون سواهم تقريبا .

وأهم محطات هذا المركز العسكرية هي : كايابندي وهذه عاصمة المركز ، و واندی ، و كودورما Kudurma ، و مديرفي Mdirfi ، و ريمو Rimo ، و مكراكا الصغيرة ، و جوزا Gosa ، و كاليكا Kalika ، و واتاكو Watako ، و كوروييك Korobek ، و جاندا Ganda ، و أومبimba Ombimba ، و نوجوما Muguma ، و دانجو Dango ، و دانجو الكبير .

والمركز العاشر وهو ممبتو أو جورجورو واسع ممتد الأطراف
يتصل تقريبا ببلاد نهر الكونجو ولا يفصله عنها سوى لسان تعلوه
الغابات عرضه عشرون كيلومترا . وتمتلك الحكومة المصرية فوق ذلك جزءا
من هذا اللسان ، وأخضع حواش افندى منتصر أقزام أككا Akka
لغاية مسيرة خمسة عشر يوما في الغابة . وهذا المركز هو الوحيد في
خط الاستواء الذي لم تطأه أقدام فيتا حسان . أما ما رواه عنه فاستقاه
من صديقه ورفيقه حواش افندى منتصر الذي أقام فيه ثلاث سنوات متوليا
رياسته واستفاد الطيب جونكر من رياسته حواش افندى لهذا المركز
أكبر فائدة .

ويعمر هذا المركز النيام نيام و الممبتو وهم من آكل لحوم البشر .
فالأولون ضاربون في القسم الشمالى وفي جنوب مديرية بحر الغزال . أما
الممبتو فيشغلون جميع جنوب المركز لغاية حدود الغابة . وهذه هي الغابة
الكبيرة التي سيجتاز أرضها استانلى عند توجهه لخراج أمين باشا من
المديرية كما سيمر ذكره فيما بعد . وتنقسم هاتان القبيلتان الى فصائل شتى
كل طائفة منها تسمى باسم كبيرها . وأهم طعامهم الموز ولديهم منه غابات
ويزرعون أيضا الذرة الصفراء والبيضاء غير أنهم لا يزرعون منها إلا قليلا
بحيث ان ما يحصلون عليه من محصولها يكاد لا يكفى إلا ما يلزم
لصنع المريسة . وتستدعى زراعة الذرة البيضاء قليلا من العناية ومع هذا
تأتى بمحصول يزيد عشر مرات على محصول الذرة الصفراء . ويرجع الفضل
في استيراد ذلك النوع الى البلاد الى نشاط حواش افندى منتصر المتواصل
وتوقد ذكائه وأصالة رأيه وهو الذى أدخل كذلك اليها زراعة أشجار

البرتقال والليمون ومختلف أنواع الخضر والتبغ الذى استحضر بذوره من القضايف من أعمال مديرية كسلا .

ونوع الثيران ليس له شبح فى هذا المركز وسكانه لا يعرفون له شكلا ويتخذون طعامهم من اللحوم مما يذبحونه من الضأن والماعز . ونوع هذا الحيوان الأخير هو غير النوع الموجود فى باقى أراضى خط الاستواء ويمتاز على الخصوص بطول شعره .

ومع ان الحيوانات نادرة الوجود فى هذا المركز فان الاهالى لا يتنعون عن الاستمتاع باكل لحومها . ورغمما عن الصرامة والشدة التى تستعملها الحكومة فان أولئك المخلوقات لا يقلعون عن أكل لحوم الانسان .

ولا يقتلع اناس النيام نيام وممبتو ثنائهم مثلما يفعل أغلب زنوج السودان بل يبقونها ويبردونها ويتركون لها رؤوسا مديبة حاده . وهكذا يفعل أيضا بعض المكاركة .

وأهم محطات هذا المركز العسكرية هى : تنجازى ، و كوبي و أونيبورون Uniboron ، و ميريا Mperia ، و جانجا Ganga ، و رينسى Rensi ، و مسوه Maswa .

القوات العسكرية

كان يوجد على رأس كل مركز من مراكز مديرية خط الاستواء رئيس ملكي أو عسكري يلقب بمأمور الإدارة وله حامية يختلف عددها باختلاف أهميته أو مقدرة سكانه في الحروب . وتتألف هذه الحامية من ثلاثة عناصر وهي :-

١ - جنود نظامية من السودانيين .

٢ - الخطرية (المتطوعون) .

٣ - التراجة وكان هؤلاء في الأصل زنوجا يقومون بوظيفة الترجمة أو يتخذون وسطاء فيما بين الحكومة والاهالي وآل الأمر فيما بعد الى أن يؤلف منهم جنود منظمة .

وكان عدد القوات العسكرية في المراكز عام ١٨٨١ م وتوزيعها كالاتي :

جنود نظامية	خطرية	تراجة	
١٢٠	٠٠٠	٤٠	بور
٣٠٠	٠٠٠	٧٠	لادو
٧٠	٠٠٠	١٠	كري
١٧٠	٠٠٠	٣٠	دوفيليه
٦٦٠	٠٠٠	١٥٠	

— ٦٩ —

تراجمة	خطرية	جنود نظامية	
١٥٠	٠٠٠	٦٦٠	ماقبله
٢٠	٠٠٠	٦٠	فـوـرـا
٢٠	٢٠٠	٠٠٠	لاتوكا
٤٠	١٧٠	٠٠٠	فاديبيك
١٠٠	١٠٠	٦٠	مكراكا
٤٠	٠٠٠	١٣٠	رول
٣٠	٧٠	٨٠	مـمـبـتـو
٤٠٠	٥٤٠	٩٩٠	

وتجنّد العساكر النظامية من بين الأهالي ويتلقون دروسا في النظام العسكري وأصول الحرب وكسوتهم ومؤناتهم على نفقة الحكومة ويصرف لكل منهم غير ما ذكر ٢٠ قرشا شهريا .

أما الخطرية فهم من متطوعي العرب ويقال لهم أيضا الدناقلة لأن أغلبهم من رجال مديرية دنقلة . وهؤلاء مسلحون ببنادق بكبسول تصرف لهم من الحكومة وراتبهم الشهري ١٠٠ قرش غير أنهم لا يأخذون جراية ولا كسوة .

والترجمة هم من متطوعي الزنوج . وسلاحهم كسلاح الخطرية ولا يصرف لهم من المؤسسة إلا اللحم والذرة ويستولون كذلك على مرتب قدره ٢٠ قرشا شهريا . ويوكل الى هؤلاء على الأخص حراسة البريد والمواصلات بين مختلف المراكز والادارة العمومية في لادو . وفي حالة

حدوث خطر تنضم جنود التراجمة الى العساكر النظامية فيمتازون بالبلاء الحسن والشجاعة العظيمة . ولما أغار الدراويش بعد بقيادة الأمير كرم الله دعت الحالة للانسحاب نحو الجنوب وتجمعت الجنود في بعض المواقع وزيد عدد النظامية فبلغ ١٦٠٠ وقسم هذا العدد الى أورطتين .

وكانت هذه الجنود تكفى لحفظ النظام واستتباب الأمن بين سكان مديرية خط الاستواء الذين يقدر عددهم ب ١٥٠٠٠٠٠ نسمة - وكان من بين هؤلاء ٥٠٠٠٠٠ خاضعين لسيطرة الحكومة . وهذا أمر يمكن ادراكه بسهولة اذا علمنا ان الأهالي منقسمون الى عدد عديد من القبائل المختلفة الأجناس وان الحروب لا تنقطع بينها .

إلى _____

بيان موجز باحصاء الزوج الخاضعين لسلطة الحكومة وكل عشيرة وبلد فيه على حدة وذلك بوجه التقريب :-

المشاء	البلد	العدد
الذنكا أو الجانجيه	رول ، و بـ	١٠٠٠٠٠
المكـراكا	المكـراكا	٥٠٠٠٠
الممبتـو	ممبتـو	١٠٠٠٠٠
بـور	بـور	٢٠٠٠٠
بـارى	لادو ، و كرى ، و مكراكا	١٠٠٠٠٠
مادى ، و شولى	دوفيليه ، و فادييك ، و فاتيكو	٤٠٠٠٠
ماجونجـو	فوراً ، و وادلای ، و فودا	٣٠٠٠٠
لـور	وادلای	٤٠٠٠٠
اللاتـوكا	لاتوكا	٢٠٠٠٠
		٥٠٠٠٠٠

الحالة المالية

أما حالة الحكمدارية المالية فكانت ميزانية المصروفات كالآتي :-

راتب الحكمدار	٦٠٠	جنيه مصرى
» وكيل الحكمدار	٣٦٠	»
» قائد الجنود	٣٦٠	»
» القضاة	١٢٠	»
رواتب موظفين ملكيين	٤٣٠٠	»
» موظفى الأمور الصحية	٢٠٠	»
» الجنود	٥١٠٠	»
	<u>١١٠٤٠</u>	

وهذه القيمة البالغة ١١٠٤٠ جنيها مصريا تنزل فى الواقع ونفس الأمر الى ٨٠٠٠ جنيه اذا أؤخذنا كينمية احتسابها بل فى الاستطاعة اعتبار كل هذه المصروفات صفرا إذ أن اللوازم الأكثر أهمية وكذلك وسائل المعيشة كانت ملقاة على كاهل الحكمدارية بصفة جزية أى تؤخذ مجانا وكأنها مبيعة من الحكومة للموظفين ورجال العسكرية . حتى لو قدرنا ان هذه الاحد عشر ألف جنيه منصرفه حقا وصدقا فان الإيرادات تغطيها وتريد عنها زيادة كبيرة وأيضا لأنها كانت تأتى من كل جانب والفضل يرجع فى ذلك الى التنسيقات الجديدة التى أجراها الحكمدار أمين بك .

وميزانية إيرادات كل مركز من صنف العاج كانت كالآتي :—

المقادير بالقنطار	اسماء المراكز
١٠٠	بور
٦٠	لادو
٢٠	كوري
١٥٠	دوفيليه
٢٠	فورا
٢٠٠	لاتوكا
٥٠	فاديبيك
٥٠٠	مكراكا
٢٠٠	رول
٤٠٠	ممتو
١٧٠٠	

وتمن ال ١٧٠٠ قنطار هذه بواقع ثمن القنطار الواحد ٣٠ جنيهًا يبلغ ٥١٠٠٠ جنيه مصري وبطرح مبلغ ١٠٠٠ جنيه منه وهو ثمن بضع هدايا للزئوج يكون الصافي مبلغ ٥٠٠٠٠ جنيه مصري .

ويجبى من مراكز بور ، و دوفيليه ، و فورا ، و لاتوكا ، و فاديبيك بصفة جزية المبالغ الآتية على وجه التقريب :—

ثمن ٤٠٠ رطل من ريش النعام بواقع ثمن الرطل

الواحد ٢ ج. م ٨٠٠ جنيه مصري

ما قبله ٨٠٠ جنيه مصرى

ثمان ٥٠٠٠ جلد من جلود الثيران بواقع ثمن

٢٠٠

الجبد الواحد ٤ قروش

الجملة ١٠٠٠

وهذه الأثمان حددتها حكومة لادو . وقد يجوز لدى بيع هذه السلع سواء كان ذلك فى الخرطوم أم فى ديار مصر أن يحصل من بيعها على اثمان تزيد على هذه الأثمان .

ويمكن إضافة المطاط وزيت النخل الى حاصلات هذه المنطقة . ويرد هذان الصنفان من ممبتو . وعندما سافر أمين بك فى مايو سنة ١٨٨٢ هـ الى الخرطوم عرض عليه المستر ماركيث ٤ ج . م ثمننا للقنطار من المطاط و ١/٤ ج . م ثمننا للقنطار من زيت النخل . وكان قصده من شرائها تصديرها الى بلاد الانكاز لصناعة الصابون المعطر الجيد من الصنف الأخير . ولم يحصل من المطاط إلا على ٤٠٠ قنطار غير أنه كان فى حيز الاستطاعة الحصول على أزيد من ١٠٠٠ قنطار سنويا لو لم تكن التجارة قد اعتراها الكساد لانقطاع المراسلات مع الخرطوم بسبب الثورة المهدية .

وكانت الذرة قبل تعيين أمين بك حكمدارا عاما توردها لموظفى الحكمدارية حكومة الخرطوم فرفع هذا مقدار الجزية النوعية وعلى وجه أخص ما كان يورد من الذرة . وعلى ذلك لم تكن الحكمدارية فى غير حاجة الى الحصول على ما كان يرسل اليها منه من الخرطوم فحسب أن أصبح فى استطاعتها أن تصدر حبوبا اذا لم تكن تكاليف النقل باهظة

لدرجة قصوى .

ومما تقدم يتضح أن الحكمدارية كانت تحصل من باب الجزية علاوة على العاج وریش النعام على جزية نوعية من الفول والسسم والشهد والزيت النباتي والفول السوداني والتبغ وبوجه أخص على قدر كبير من الذرة .

وهذا بيان موجز للحاصلات النوعية التي ترد لها من كل مركز :-

المركز	الحاصلات			
	ذرة	فول سوداني	سسم	فول
بور	١٢٠٠	اردب	اردب	اردب
لادو	٣٥٠٠	١٠٠	١٥٠	١٠٠
كري	٥٠٠	٤٠٠	٣٠٠	٥٠٠
دوفيليه	٤٥٠٠		٣٠٠	٣٠٠
فويرا	٤٠٠		٥٠	
لاتوكا	١٠٠			
فادييك	١٠٠٠		١٠٠	١٠٠
مكراكا	٧٠٠٠		٧٠٠	٣٠٠
رول	٤٠٠٠	٢٠٠	١٠٠	٢٠٠
ممتو	٢٠٠			
الجملة	٢٢٤٠٠	٧٠٠	١٧٠٠	١٧٠٠

(تابع) الحاصلات النوعية

المركز	الحاصلات			تبغ
	شهد	زيت	زيت نباتي	
بور	٦٠٠	٦٠٠	رطل	٢٠
لادو	١٢٠٠	٦٠٠	١٢٠٠	
كري	٦٠٠	٩٠٠		
دوفيليه	١٨٠٠	٢٤٠٠	٦٠٠	
فويرا				
لاتوكا				
فاديك	١٢٠٠	١٢٠٠	٦٠٠	
مكراكا	١٢٠٠	٢٤٠٠		
رول	١٨٠٠	١٨٠٠		
مبتو			٢٤٠٠	
الجملة	٨٤٠٠	٩٩٠٠	٤٨٠٠	٢٠

وتمن هذه الحاصلات كالاتى :-

الصفة	المقدار	السعر	جملة الثمن بالقروش
ذرة	٢٢٤٠٠ اردب	٣٠ قرش الاردب	٦٧٢ ٠٠٠
فول سودانى	٧٠٠ »	٣٠ »	٢١ ٠٠٠
سمسم	١٧٠٠ »	٦٠ »	١٠٢ ٠٠٠
فول	١٧٠٠ »	٢٥ »	٤٢ ٥٠٠
شهد	٨٤٠٠ رطل	١١/٤ قرش الرطل	١٢٦ ٠٠
زيت	٩٩٠٠ »	١١/٤ »	١٢٣٧٥
زيت نباتى	٤٨٠٠ »	١١/٤ »	٦ ٠٠٠
تبغ	٢٠ قنطارا	٣٢٥ قرش القنطار	٦ ٥٠٠
		الجملة	٨٧٤ ٩٧٥

وعلى هذا يكون اجمال ايرادات الحكمدارية كالاتى :-

جنيه مصرى	
٥٠ ٠٠٠	عاج
٨٠٠	ريش النعام
٢٠٠	جلود ثيران
٨٧٥٠	حاصلات نوعية
٥٩٧٥٠	الجملة

وقد كان اجمال ايرادات ومصروفات الحكمدارية عام ١٨٨١ م كالآتى :-

جنيه مصرى	
ايرادات	٥٩٧٥٢
مصروفات	١١٠٤٠
صافى الدخل	<u>٤٨٧١٢</u>

وهذه المبالغ خاصة بالزمن الذى كانت فيه العلائق مع الخرطوم لم تزل منتظمة . ولقد كان فى حيز الامكان مضاعفتها بدون مغالاة اذا كانت هذه العلاقات لم تنقطع وتمكن الحكمدار أمين بك من تحقيق مشروعه الذى يرمى الى امتداد أطراف مديريته .

ويستطيع المرء لدى فحص هذه الارقام أن يدرك بسهولة السر فى كيفية تمكن هذه الحكمدارية من سد حاجاتها من نفس حاصلاتها زهاء ست سنوات عند انقطاع المواصلات مع باقى العالم . والارقام المذكورة آنفا تبين المقادير المفروضة على الاهالى بصفة جزية . وبهذه المقادير وبما يتسلمه الموظفون من الحاصلات الزراعية فى مختلف المحطات تسد الحكمدارية حاجاتها على ما يرام . وعلاوة على ما ذكر فانه لو فرض على الاهالى جزية تربو على التى فرضت عليهم لاستطاعوا أن يؤدوا أربعة أمثالها بسهولة .

والمقادير التى سلف ذكرها هى التى كان رؤساء القبائل يوردونها جهارا الى إدارة المركز الذى هم تابعون له .

والارقام التى سبق تدوينها برهان ساطع على الرخاء والعمار
الضارب اطنابه فى أرجاء مديرية خط الاستواء . ويستطيع المرء أن
يذكر علاوة على ما سبق أنه لو كانت حكومة أمين بك قد وجدت
الوقت الكافى لتنفيذ مشاريع الإصلاح والتحسين الخاص بانتشار الزراعة
واحياء الصناعة لاستطاعت هذه الحكمدارية على كل حال تموين سكان يزيدون
عن الموجودين بها ثلاث أو أربع مرات لمن لم نقل انه قد يكون فى
استطاعتها امداد أسواق اخرى بخاصاتها . ويتكون نصف هذه المديرية
المتسعة الأرجاء المترامية الأطراف الذى يبلغ مسطحه تقريبا مساحة القطر
المصرى برمته . من أراض صالحة للزراعة والفلاحة بل يزرع فى جبال
لاتوكا و بارى ذات الأراضى الصخرية أجود انواع الذرة والدخن .

وأيضا سرت فى أرجاء هذه المديرية تجدد الماء وعلاوة على
روافد النيل الأبيض المتعددة يوجد عند الحفر تحت سطح الأرض فى
بعض المواضع ماء عذب فرات رائق غزير على عمق مترين أو ثلاثة .
وعلى هذا لا يستلزم الحال أكثر من إيجاد الأيدى العاملة والادارة الحكيمة
لتعمير هذا البلد بالزراعة وتحويل أراضى خط الاستواء الى أراض غنية
فى الخصب .

ومن الاجحاف والظلم عدم الاعتراف بالمجهودات التى بذلها أمين بك
فى سبيل تحسين حالة حكمداريته فقد كان يجلب من سائر نواحي
العالم انواعا متنوعة من الفسائل والبذور ويحاول تعويد جملة أصناف من
الخضر وأشجار الفاكهة على مناخ الاقليم فتكلت مساعيه بالنجاح .
وأنتع وأفيد النباتات التى أدخل زراعتها القطن والأرز . ويرجع الفضل فى

نجاح زراعتها نجاحا باهرا الى ما بذله حواش افندى منتصر من عظيم المساعدة والهمة التي لا تعرف الكلال أو الملل ، كما نجحت زراعة الذرة والفضل في نجاحها يعود على أمين بك . وقد أفاد القطن افادة عظيمة جدا فيما بعد وذلك عندما استدعت الاحوال أن يزاول رجال الحكومة وجنودها هم أنفسهم صنع ملابسهم عقب انقطاع المواصلات مع الخرطوم .

ولم تنتشر زراعة الأرز بهذه الدرجة مع ان زراعتها نجحت . وما ذلك إلا لأن هذه الزراعة تستوجب اشغالا كثيرة بينما الجبوب الأخرى كالذرة والدخن والفول والسمسم التي يمكن ان تقوم مقامه كانت توجد بكثرة متناهية فتستدعى الحالة رميها تخلصا من تعفنها في المخازن . ومع ان ضواحي شبي و لادو التي تعمها الغدران والبقاع التي تغمرها المياه في زمن الامطار هي من الاراضي الأكثر صلاحية لزراعة الارز مما عداها وكان في الامكان جنى محصول جسيم منها إلا أنه كان يلزم للقيام بجميع هذه التحسينات والاصلاحات أوقات يسود فيها السكون واليسار . وهذه احوال كانت معدومة مع أشد الأسف في سنة ١٨٨١ م في ديار مصر والسودان في آن واحد نظرا للانقلاب الذي أحدثه بهما العراييون والمهديون وبسبب عسر الحالة المالية التي وقعت فيها مصر في ذلك العصر .

وقد جابوب الجنرال استون باشا على آخر رسالة من أمين بك ان الخديو يقدر مشروعاته حق قدرها غير ان الحوادث تضطره أن يؤجل تنفيذها الى وقت أكثر ملاءمة وهذا الوقت لسوء الطالع لم يحن بعد ابدا .

١ — ملحق سنة ١٨٨١ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم الثالث

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى محطة حواش افندى منتصر

غادر جونكر مدوروما Mdoruma في أوائل شهر يناير سنة ١٨٨١ م وقضى النصف الأول من هذا العام في القيام بریادات خارج حدود أراضي خط الاستواء . وعلم في ٢٣ يوليو لدى اقترابه من بلدة ممبتسو ان الحكومة المصرية أعلنت الحرب على رئيسها مامبانجا Mambanga وان ضابطا مصرياً يقال له حواش افندى منتصر وهو قائد الحملة أسس هو وجنوده النظامية محطة لدى الرئيس ابرامو في « مبورو » Mboro . وكانت الحرب الى هذا الوقت لم تضع أوزارها . وكان حواش افندى منتصر على بينة من رابطة الصداقة التي تجمع بين الطبيب جونكر ومامبانجا فأرسل رسولا الى الأول يرجوه القدوم لكي يستعمل نفوذه لدى الثاني لإنهاء الحرب ووضع حد لها . وكان رسول حواش افندى منتصر ضابطا

(١) — راجع كتاب « رحلات في افريقية » للطبيب جونكر .

يقال له تنظيم افندى وكان رفيقه ٤٠ جنديا نظاميا و ١٢ مترجما وجميعهم مسلحون .

وكان جونكر يريد أن يلبي طلب حواش افندى منتصر ويجيبه الى مرغوبه غير انه كان يوجد لديه بعض موانع تحول دون القيام بذلك في الحال فأرسل اليه الرد يقول له فيه انه سوف يأتي لزيارته في الأيام القادمة . وبلغ جونكر أيضا ان رائدا ايطاليا اسمه كازاتي قدم الى بلدة ممبتسو . وبعد ذلك ببضعة أيام جاءه خطاب من هذا الرائد مؤرخ من « تنجازى » Tangasi أعرب له فيه عن رغبته في أن يراه في محطة حواش افندى منتصر وأخبره حامل هذه الرسالة علاوة على ما ذكر ان رحى الحرب ما زالت دائرة مع مامبانجا .

وفي ٢٨ اغسطس وجه الطبيب جونكر وجهه شطر محطة حواش افندى منتصر . وفي خلال سفره اتصل به خبر غارة قام بها مامبانجا على المحطة وارتد بخسائر فادحة . وربما كانت هذه الغارة هي التي أشار اليها فيتا حسّان . واستحث هذا الخبر الطبيب على الأسراع في السير غير أن تهطل الامطار وشدتها منعه عن المسير بالسرعة التي كان يريدتها وفي نهاية الأمر وصل الى المحطة المذكورة في ١٠ سبتمبر .

وتم استقبال جونكر بحفاوة كبرى وحيته الجنود مصطفة خارج المحطة وأطلقت عند قدومه المدافع وأدخل حال وصوله في قاعة الاستقبال وقدمت له المرطبات . وشعر الطبيب بانسراح زائد من المقابلة التي قوبل بها ومن نظافة المحطة ونظامها وترنحت اعطافه سرورا لوجوده مرة أخرى بين عالم متمدين يتكلم معه بدون واسطة تراجمة .

الحوادث التي جرت في أثناء غيبته

وقد حدثت حوادث ذات شأن خلال غيابه . وها هو ما اتصل به
بصدد هذه الحوادث :-

بعد أن بارح جوناكر ناحية تنجازى هاجم رجال السلطة الذين كانوا
مقيمين في ممبتو مامبانجا وطرده من زريته وأقام بها المأموران عبد المعين
و عبد الله . وغرتما لذة النصر فواصلوا هجومهما مندفعين الى الامام فلاقاهما
مامبانجا وأتباعه وذبحوهما كما ذبحوا معظم جنودهما واستولوا على ٤٠ بندقية .
ومن نجا منهم احتسب في الزريبة ورجع الى تنجازى تحت جنح ظلام الليل
بقيادة نظم افندى الذى كان قد ذهب لمقابلة جوناكر عندما كان في الريادة .

وهذا هو سر المسألة التي رواها فيتا حسّان عن مذبحه الخطرية
الذين كانوا معينين بصفة حامية في بلدة ممبتو والذين أرسل اليهم أمين
بك - وكانت هذه الناحية قد ألحقت بحكمدايته - حواش افندى منتصر
ليقتص من الأهالى ويسترد منهم البنادق .

وقصة هذا القتال الذى لم يحضره جوناكر بصفة شاهد عيان سبق
ذكرها فلا حاجة لاعادتها بل نقف عند ذكر الحوادث التي حضرها ورآها بعيني
رأسه والحوادث التي تدخل فيها بصفة واسطة .

توسطه للصلح بين مامبانجا وحواش افندى منتصر

ورأى جوناكر عند قدومه الى المحطة أن الاصوب أن يتوسط بين
الفريقين ابتغاء الوصول الى نشر راية السلام وعقد الصلح بينهما . وكان

مركزه بالطبع لما بينه وبين مامبانجا من الصداقة والولاء أحسن من مركز أى انسان آخر يؤدي هذه المهمة . وأحاط حواش افندى منتصر علما بما جال بخاطره فوافق عليه تمام الموافقة لاسيما أنه لم يبق لديه من الذخيرة التى أخذت فى النفاد إلا ثلاثة آلاف ظرف من طراز رمنجتون .

وأرسل الطيب ساعيا الى مامبانجا ليخبره بما اعتزمه ووقر فى نفسه وليقول له انه اذا قبل أتى جونكر لمقابلته فى منتصف الطريق ومعه خادم ومترجم لاغير . واتخذ جونكر هذا الاحتياط حتى لا يثير فى نفس مامبانجا عوامل الخوف وليمحو من رأسه كل مظنة سوء .

ورجع الساعى فى غد يوم سفره أى فى ١٢ سبتمبر ومعه بعض رجال مامبانجا وقال ان هذا قبل الشروط . وأرجع جونكر هؤلاء الرجال وقال انه سيسافر فى اليوم التالى وعين موصفا فى منتصف الطريق ليتقابل فيه الفريقان .

وذهب جونكر الى ذلك الموضع وأتى اليه مامبانجا حسب الاتفاق إلا أن جونكر رأى هذا مكتسبا حزينا متخيلا أن شركا قد نصب تحت اقدامه . ولما كانت الشمس قد قاربت على الغروب وأخذ ضوء النهار يتقلص عرض عليه جونكر تمضية الليلة فى الموضع الذى هما فيه فامتنع مامبانجا أولا ثم انتهى بالقبول وأخذ رجاله يشتغلون فى اقامة الاكواخ التى استلزمت الظروف عملها .

وتحدث جونكر أثناء الليل معه طويلا وبين له الفوائد التى يجنيها من وراء تحالفه مع الحكومة . وبعد جدال استطال آل الامر الى قبول

مامبانجا ارجاع البنادق التى استولى عليها وزيارة المحطة . ومع ارتياب جونكر فى قيام مامبانجا بوفاء وعده عقد معه معاهدة تبادل الدم ليث فى روعه روح الطائفة .

وعاد جونكر بعد ذلك الى المحطة ليحيط حواش افندى منتصر بنتيجة مأموريته . ثم انقلب راجعا الى مامبانجا ليحمله على نجاح وعده . فوجده على غير متركه فقد انقلبت افكاره بطنا لظهر وأخذت تساوره الشكوك من كل صوب وناحية وأبدى مخاوفه من وقوعه فى الهلاك . وأكد له جونكر أنه ليس هنالك شئ يستوجب هذا الارتياب وانه هو نفسه يكفل سلامته ولكن ذهبت كل محاولاته عبثا ولم تغن فتىلا واضطر أن يطرح كل أمل فى الوصول الى أى وفاق معه . وفى أثناء اقامة جونكر لدى مامبانجا قدم اليوزباشى كازاتى الرحالة الايطالى ليزوره . وبعد أن لبثا اسبوعا وليا وجيها فى ٢٢ سبتمبر شطر محطة حواش افندى منتصر وذلك بعد أن نبأ مامبانجا بسوء مصيره والمصائب التى ستحل به فى القريب العاجل .

وقوبلا لدى وصولهما الى المحطة بأكبر مظاهر التجلة والتكريم ومزيد الارتياح إذ ان القوم كانوا يتوجسون خيفة على حياتهما بسبب طول غيابهما .

وسر جونكر سرورا لا مزيد عليه إذ وجد رسالة من الحكمدار أمين بك يخبره بها انه من المحتمل ان يزور نواحى ممبتو التى ألحقت بحكمداريته . وأحاطه أيضا بوفاة جيسى باشا فى ثغر السويس وبمسا حاق به بسبب ذلك من الأسى والأسف .

وقضى جونكر مع كازاتى فى المحطة المذكورة اسبوعا فى رغد من العيش .

إخفاقه فى عقد الصلح وتفاقم الحالة

وفى ٢٩ سبتمبر سافر كازاتى . وكان جونكر يريد أن يسافر هو كذلك غير أن الجنود استعطفوه وطلبوا منه البقاء لأنه لم يبق لديهم إلا شيء يسير من الذخيرة وكانوا يخافون ان تنقض عليهم الأهالى واستشفوا من خلال ذهاب جونكر وإيابه من و الى مامبانجا ان للأول بعض النفوذ على الثانى وان هذا الأخير لا يهاجم المحطة طالما يكون جونكر مقبلا بها . وشكوا له أيضا من حواش افندى منتصر وقالوا ان المذكور وان كان جنديا محنكا وله المام تام بمسالك البلد إلا انه شديد صارم لا يغتفر تواتر الزلل . وكان لهم شكاية أخرى موضوعها انهم يرغبون الرجوع الى مكرىكا حيث وسائل المعيشة متوفرة وبذا يتخلصون مما يقاسونه فى محطته من عذاب الحرمان على تعدد ألوانه . فوبخهم جونكر توبيخا شديدا وقال لهم : إنكم لو كنتم جنود أمة أخرى لأعدم منكم واحد من كل عشرة وان أحسن ما يمكنكم عمله هو الصبر على الشدائد التى انتم فيها واحتمال ما تكابدونه من المشاق كما هو الواجب على كل جندي . وقرر جونكر تجاه هذه الظروف أن يظل بالمحطة وكتب الى الحكمدار أمين بك ليحيطه علما بالموقف .

وفى هذه الاثناء راجت اشاعة فى المحطة مصدرها تنجazy فخواها ان القائم مقام بنيت بتراكى بك قادم فى الطريق من مكرىكا ومعه جنود تجارية مامبانجا وحسم المشاكل معه حسما نهائيا .

وفي ٢٢ أكتوبر ورد خطاب من بجيت بك مثبت لتلك الاشاعة المذكور فيه انه قادم ومعه جيش عرمرم وبرفقته عبد الله أفندي أبو زيد مأمور بربو التابعة لمركز مكركا . وفيه يطلب استحضار اكبر عدد يمكن الحصول عليه من المراكب ليعبر عليها نهير كبالي Kibbali . وما انتشر هذا الخبر في المحطة حتى راجت اشاعة فخواها ان مامبانجا يتأهب للهرب .

وجال في خاطر جونكر في تلك الساعة الرهيبه التي فيها حياة مامبانجا معرضة لأشد الاخطار أن من واجباته ان يحاول لآخر مرة حملة على ان يسلك مسلك التعقل والتبصر فأرسل اليه بموافقة حواش افندي منتصر مندوبا يخبره بما يحق به من الاخطار ويدعوه للمجيء الى المحطة ليسلم البنادق ويقول له ان جونكر كفيل بأن لا يصينه شيء من الاذى ، وإنه سيأتى لمقابلته في منتصف الطريق اذا قبل هذه الشروط .

وفي اليوم التالي ٢٣ أكتوبر عاد المندوب يحمل جوابا سلبيا ويعتذر بالحكاية التي طالما ردها وهي مسألة الخوف على حياته . وهمس الرسول في اذن جونكر بأن مامبانجا يريد الشر والعدوان ويقول ان في حيازته عددا كبيرا من رجال الحرب والطعان ويمكنه أن يناصب الحكومة العداوة سنينا طويلة .

وأرسل جونكر يقول له آخر مرة انه بذل أقصى مجهوده لينجيه من هلاك محتم ونبأه بما سيحل به من البلايا والرزايا قائلا انه سيصبح بلا مأوى ولا وطن وانه سيطارد في الغابات كما تطارد الظباء والأيتل وانه لن

يجد من يلومه على ما يحتاجه من البلايا والرزايا إلا نفسه .

وفي ٢٦ أكتوبر دوى صوت النقارية على مسافة بعيدة . وهذه لا تدق إلا لإيدانا بالشروع فى الحرب ومباشرة القتال . ولما كان الصوت آتيا من صوب معسكر مامبانجا تصور الناس أن الهجوم على المحطة أضخى قريبا فضوعف الحرس واشتدت المراقبة طول الليل غير انه لم يحدث أى شىء ولم تكن هذه الاصوات إلا بقصد الارهاب .

ووقع عيد الاضحى فى أول نوفمبر فاحتفل به كل من بالمحطة احتفالا عظيما وفرح الناس بمقدمه فرحا كبيرا وتسربلوا بأنخر ملابسهم والذين استطاعوا الاحتفال به ذبح كل منهم خروفا أو عنزة كما هى العادة .

وارتقب الناس يوما بعد يوم قدوم بخيت بك وحملته بلا جدوى . وعلم فى نهاية الأمر انه ذهب اولا الى تنجازى .

ولم يكن حواش افندى منتصر راضيا عن قدوم بخيت بك وذلك لأن هذا تقضى عليه رفعة رتبته عن الأول بتسلم زمام قيادة المحطة وبهذه الكيفية تذهب أتعاب حواش افندى منتصر مع الرياح وتسمى نسيا منسيا . وحمل هذا السبب حواش افندى منتصر على مفاخرة مامبانجا وحاول الدخول معه فى مفاوضة ليتنعه بالجنوح للسلم ونبذ الحروب ولكن محاولته هذه لم تأت بفائدة ما واستمرأ كبير الزنوج مرعى عناده وجعل اصابعه فى آذانه وأصر على عدم استماع أى كلام . وحاول كذلك بخيت بك من تنجازى أن يرده الى الصواب ويهديه الى الصراط المستقيم وذلك بأن رد اليه واحدا من ابنائه الذين كان اسرهم العرب فكان جوابه على ذلك

أن أرجع اليه بعض البنادق ولم يزد على ذلك خطوة الى الامام بل وقف عند هذا الحد . ونقل من جهة اخرى الى حواش افندى منتصر جواسيسه ان مامبانجا أرسل نساءه ومتاعه الى مسافات قصية ليكن في مأمن من كل اعتداء وانه يتأهب للقتال .

الحملة على مامبانجا

وفي نهاية الأمر وردت في ١٥ نوفمبر أنباء الحملة وعلم منها انها انقسمت في تنجazy الى ثلاثة أقسام لتحاصر مامبانجا من ثلاثة طرق متباينة . القسم الأول بقيادة عبد الله أبو زيد أفندى وعليه أن يسلك الطريق الممتدة الى جهة اليمين . والقسم الثاني بقيادة الترجمان محبوب وعليه أن يسلك الطريق الممتدة شمالا . أما القسم الثالث وهو الأخير فيسير مباشرة الى مامبانجا بقيادة بخيت بك نفسه .

وبما ان مامبانجا كان على بينة من حركات وسكنات جيوش الحكومة التي كانت تنقلها اليه جواسيسه تعلق بأذيال الفرار وتخلص من حركة الاكتناف التي كانت على وشك أن تحدث به وذلك رغما من مسير فرق بخيت بك الثلاث السريع التي وصل رسالها الى المحطة في ١٧ نوفمبر حاملين خبر احتلال أراضي مملكة مامبانجا وفرار هذا واستيلاء الجيوش على أكواخه وخبر آخر من بخيت بك انه ستنشأ هناك عما قريب محطة مستديمة ويترك بها حامية مؤلفة من ٦٠ جنديا وان مقتنيات كبير الزوج صودرت وأنه خلع من عرشه ونصب بدلا منه رئيس آخر وبذلك تمت نبوة جونكر وصبت على رأس مامبانجا كل الملهمات والكوارث التي كان تنبأ له بها .

وقبل أن يشرع بنحيت بك في مطاردة الهارب قدم بمفرده الى المحطة .
وانشرح صدر جونكر وفرح فرحا لا مزيد عليه لرؤيته لانه من أعز أصدقائه
الذين تعرف بهم في رحلته السابقة وقطع معه مرارا الرحلة الواقعة بين
لادو و مكرাকা . وكان لدى كل منهما أشياء كثيرة عليه أن يبثها للآخر .

وكانت مقابلة الضابطين بنحيت بك وحواش افندى تقل كثيرا في
الصفاء والمودة عن مقابلة جونكر وبنحيت بك لأنه كان لدى هذا وحواش
افندى ما يستوجب المؤاخذه ولذلك قامت بينهما مشاحنات تجحف بالأعمال التي
هما قادمان على إنجازها معا . وشاهد جونكر البعض من اجتماعاتها إلا انه
عمل على أن لا يحضر هذه الاجتماعات إلا نادرا ومع ذلك ذكر أن
تصرفات بنحيت بك كانت أقرب للصواب من أعمال زميله . ومن الأشياء
التي وافق عليها موافقة تامة توبيخ بنحيت بك للجنود توبيخا شديدا على سلوكهم
الشائن وطلباتهم النافية للمنطق .

وفي ٢١ نوفمبر وصلت جنود الحملة فتجمع مئات من الأهالي ليشاهدوا
أولئك الجنود المجندة التي لم يروا لها من قبل مثيلا . وكان يمشى في مقدمة
الفرقة الجنود السودانيون النظاميون مسلحين بسلاح رمنجتون بقيادة ضباط
من جنسهم . ثم حامية محطة ريمو التابعة لمكرাকা المؤلفة من عسكري
خطيرة تحت إمرة عبد الله افندى أبي زيد مأمور هذه المحطة . وعبد الله
افندى هذا هو أيضا من أصدقاء جونكر القدماء . ويأتي بعد هؤلاء
المساعدون وهؤلاء من رجال القبائل الزنجية الخاضعة لسيطرة الحكومة
ويعدون بالبنات ويسرون بقيادة كبارهم كل منهم على رأس قبيلته .
وينبغي أن يضاف الى أولئك المساعدين عدد كبير من الحمالين الذين يستخدمون

في نقل متاع كل هذه القوة المتنوعة الوحدات .

وتأثر الأهالي كثيرا من هذا المنظر الذي لم يسبق لهم قبل رؤية نظيره وقد أثر فيهم أكثر وأكثر وأكثر منظر الكساي الجديدة التي وردت من ديار مصر ولبستها العساكر النظامية .

ولم تف الأكواخ التي نصبت للجنود التي وصلت أخيرا بحاجاتها ودعت الحالة الى عمل أكواخ اخرى . وتناول جونكر من أمين بك خطابا يخبره فيه انه ما زال عاقدا النية على الحضور الى ممبوتو بعد زمن قليل وبعث اليه صندوقا مملوءا بالاشياء المفيدة النافعة بصفة هدية . وأولم حواش افندى في تلك الليلة وليمة حضرها جونكر والضباط والرؤوس الذين قدموا مع الجيش .

وعقد الضباط عدة جلسات لاختيار الخطة التي يسرون عليها في الحرب القادمة لأن فصل الامطار كان قد انتهى وأضحى المناخ صالحا للأعمال الحربية التي هم قادمون على مباشرتها فتقرر السفر مع ترك حامية في المحطة مؤلفة من ٧٥ جنديا .

مسير الحملة لمقاتلة مامبانجا

وتقديم رؤساء النواحي الطاعة

وفي ٢٥ نوفمبر تحركت الحملة للمسير بقيادة القائم مقام بنيت بك العليا والصاغ حواش افندى منتصر بصفة قائد ثان وكان الجيش مكونا من عدة آلاف وكان السير في اول الامر شاقا مضنيا لاختلال النظام الذي ساد الصفوف بسبب كثرة العساكر غير النظاميين والحمالين المرافقين

لهم . ولكن كان كلما تقدم في السير تعلم كل ما عليه من الواجبات وانتظمت الاحوال واستتب النظام .

وبعد أن قطع مرحلة يومين وردت الانباء على حين فجأة أن مامبانجا وأتباعه على مقربة من الحملة وان من اللازم الاسراع في السير وعلى ذلك تقرر ان ينطلق في الحال عبد الله افندى أبو زيد وبشير ومعهما ١٦٠ جنديا وثلة من المساعدين في سبيل البحث عن مامبانجا ويحاولا أخذه أسيرا . وظل جونكر في المعسكر مع بنخيت بك و حواش افندى وباقي الحملة والحمالين .

وفي خلال اقامتهم في المعسكر قدم رؤساء القبائل الضاربة في الجهات المجاورة ليقدموا الطاعة للحكومة وكانوا يحملون معهم جميع انواع المؤن ومن ضمنها الطيور الداجنة . وقدم بنخيت بك لكل منهم قميصا أحمر من نسيج القطن وأوصاهم أن ينهبوا على مرءوسيهم أن يرجعوا الى ديارهم ويتفرغوا لأعمالهم ويخلدوا الى الهدوء والسكينة ويخلصوا للحكومة .

وفي مساء ٢٩ نوفمبر وردت رسالة من سكرتير الحملة منبهة أنها شنت شمل الأعداء واستولت على كثير من المغنم إلا أن رئيسهم مامبانجا تمكن من الفرار وان الحملة سترجع بعد قليل .

وفي ٤ ديسمبر عادت الحملة الى المعسكر . واتضح ان العدو بوغت بالهجوم مباغتة تامة إذ أن الجيش المساعد لما كان في المقدمة حسبه إتباع مامبانجا من غير المعادين لاسيما أن افراده من الاهالي مثلهم ولم يدركوا ان هذا الجيش المساعد يجد في طلبهم إلا عندما وقع

نظرهم على العساكر النظامية وعندئذ حدث دعر عام في صفوفهم وأخذ كل منهم يعمل في سبيل نجاته وأخذ الجيش المساعد يطاردهم زمنا الى أن تشتتوا وذهبوا شذر مذر . واستوى عبد الله افندى أبو زيد وبشير في معسكرهم واستوليا على جميع موجوداته وهي زهاء المائة من نساء مامبانجا وولدان من أولاده وابنته وكثير من الاشياء التي تخصه هو نفسه وأسرا خلقا كثيرا . وقد أتى في اليوم التالي عدد كبير من الأهالي وقدموا الطاعة .

وبما أن رجال قبيلة الإبرامو Les Abramos أتوا وقدموا الخضوع صار في حيز الامكان القيام بتقديم آخر ولهذا عقد حواش افندى النية على أن يحتل بمعاونة جنود الحكومة جميع أراضيهم بالتدريج ليضربها الى مصر . ويقول جونكر إنه وافق على هذا الترتيب لأن من شأنه أن يلم شمل جميع قبائل الإبرامو الصغيرة تحت إدارة حكومة واحدة .

احتلال حواش افندى أراضي الإبرامو وضمها الى الحكومة

وفي ٩ ديسمبر شرع حواش افندى في السير وبرفقته جونكر وبشير . ومشى معهم في الحملة بصفة مساعدين لها خلق كثير من قبائل الإبرامو الضارين في المراكز التي أضحي احتلالها وشيكا والذين قدموا الطاعة . وكانوا يسرون مع الاحتياط إذ أنه كان يوجد أمامهم جمع كبير من رجال قبائل الإبرامو الذين لم يقدموا بعد الطاعة وقيل انهم عقدوا الخناصر على الاغارة على الحملة غير أنه لدى الاقتراب منهم أخذوا يفرون .

وبلغت الحملة في ١١ منه الجهة المولية وجهها شطرها . وهي الجهة

لتي وقع الاختيار عليها لتدار منها موقتا حركات مفاوضات الصلح .
وروى جونكر أن جنود الحملة اقترفوا أعمالا من أعمال السلب والنهب
ونكته يقول علاوة على ما ذكر أن هذا العمل وإن كان في حد ذاته
لا يدل على الجنوح للسلم إلا أنه كان عملا لازما يستشعر الزنوج
منه أنهم يواجهون قوة دونها قواتهم فيخنعون وتلين قناتهم لقبول
ما يفرض عليهم من النظام الذي كانت الحكومة تنوى ادخاله في
بلادهم . ومع هذا وفي حواش افندى حقه إذ قال انه أعطى أوامر في
نهاية الصرامة لرجاله بالألا يمسوا الأهالي بسوء وألا يستعملوا معهم الشدة .

وعندما استقر بحواش افندى المكان بعث برسله الى رؤساء القبائل
ليدعهم للدخول في طاعة الحكومة فأتى كثير من الذين كانوا لم
يزالوا يناصبون الحكومة العداء وقدموا الطاعة وأحضروا معهم عاجا
وما ذلك إلا لأنهم أدركوا ان ليس هنالك أية فائدة من وراء الاستمرار في
عداوة قوة تفوق قوتهم .

وفي بدء السنة عندما قام جونكر برحلته في هذا القطر سرقت عدة
أشياء من متاعه وهذه الأشياء استرجعت في ذاك الوقت بنفوذ حواش افندى
وهمته ونال المجرمون عقابا جزاء ما كسبت أيديهم .

وفي هذه الآونة وردت الأوامر من بجيت بك بناء على ما تلقاه
من أمين بك برجوع حواش افندى الى مركزه السابق بمكراكا . وهذا
الأمر اعتبره جونكر خبرا مكذرا لأن العمل الذي بدى به لم ينته بعد
ولم يزل جزء من اراضى قبائل الأبرامو ناشرا الى ذلك الوقت راية العصيان .

وحضر في غضون هذه المدة رؤوس آخرون ومعهم عاج وقدموا الطاعة .
وعلى هذا تراجع حواش مسافة قليلة ووقف غير انه ورد له أمر ثان مع حرس
مؤلف من ٣٠ جنديا فتقوض مضاربه وسافر .

وقد غادر جوناكر الحملة في ذلك الوقت لارتياح أقطار أخرى .
ولهذه الرحلة تنمة نذكرها في الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨١ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء

القسم الثانى

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

استمر كازاتى فى ريادته فى بحر الغزال طول القسم الاكبر من عام ١٨٨١ م ووصل الى محطة تنجازى فى ٣ أغسطس . وتنجازى هذه تابعة لمديرية خط الاستواء . وأقام كازاتى فى هذه المحطة مدة . وفى ١٨ سبتمبر وردت له رسالة من الطيب جونكر يقول له فيها إنه وصل حديثا الى بلاد الابرامو وانه عقد العزم على الذهاب قريبا الى الرئيس مامبانجا الذى كان فى حرب مع الحكومة المصرية فسر سرورا عظيما لهذا النبأ وشحذ غرار العزم على السفر للقياء والتعرف به .

وسافر فى ٢٠ منه وبعد مرحلة يومين وصل الى مقر الرئيس السالف ذكره وهناك وجد جونكر وقضى معه ثلاثة ايام فى هناء وسرور ورغد من العيش ثم زاياله وقصد ناحية بحر الغزال للقيام بريادة فيها وقتل راجعا الى تنجازى فى ٢٠ ديسمبر سنة ١٨٨١ م .

وقابل كازاتى فى خلال هذه الرحلة مامبانجا وكان قد غلب وخذله

اتباعه ولم يبق معه منهم إلا عدد يعد على الاصابع وكان آخذاً في البحث عن مكان يأويه . وكان أمين بك قد أرسل عليه حواش افندى منتصر فقاتله ونجح في قتاله غير انه نظرا لمقاومة مامبانجا وتصلبه في المقاومة وجد الأول نفسه في مركز حرج امام الأخير فطير جونكر خبر هذه الضائقة الى أمين بك فبعث في الحال ببخيت بك ومعه مدد ذو بال فقام هذا بحركات سريعة وهجمات فتاة شتت سريعا شمل عصابات مامبانجا وفاز بجميع أنواع الظفر في حرب جرت الخراب والدمار على رأس هذا الرئيس .

وبعد ان استراح كازاتي بضعة أيام سافر مرة اخرى ليحضر حملة جديدة في بحر الغزال .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها في الملحق الثاني للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٢ م

من

حكمدارية أمين باشا

سفره الى الخرطوم لمقابلة رءوف باشا

قام أمين بك في خلال الشهرين الأولين من سنة ١٨٨٢ م ببعض جولات قصيرة حول لادو للتفتيش . ثم شرع بعد ذلك في القيام بتحضير معدات السفر الذي نوى ان ينهض به الى الخرطوم .

واستفهم من فيتا حسّان قبل رحلته عما اذا كان ينقص صيدليته بعض العقاقير . فأجابه انه ينقصه من الادوات الضرورية الشيء الكثير . وبناء على ذلك نبه عليه بأن يرافقه في رحلته الى الخرطوم ليتسلم من قاعدة الحكومة العقاقير التي تلزم ويتفرغ هو لمقابلة رءوف باشا .

وأقلعا قبيل أواخر شهر فبراير على ظهر الباخرة « بردين » ومعهما ٤٠٠ رجل من الدناقلة . وهؤلاء هم الذين كان الحكمدار أمين بك قد نبه عليهم بمبارحة خط الاستواء اذا لم يخضعوا لدفع الضرائب أسوة بالأهالي . وكان وجهة أولئك الدناقلة أيضا الخرطوم . وكانت الباخرة تحمل علاوة على ما ذكر ٥٠٠ قنطار من العاج وعرجت في طريقها على بور و شمبي لتمتار بالوقود . واضطرت للوقوف في مركز « قاوا »

Kawa لأن الأمر كان قد صدر بعدم السماح لأية باخرة بالمرور بدون رخصة خصوصية وذلك بسبب وجود المهدي في جزيرة « أبا » Abba . غير أنه رخص لها بالمرور لمغادرة المذكور للجزيرة وانسحابه هو واتباعه الى جبل قدير الواقع في مديرية فاشودة .

واتصل بهما وهما في قافوا ان الحكومة استدعت رعوف باشا وعينيت محله عبد القادر حلمي باشا وان الأول قد سافر فعلا فوصل الى بربر فبعث له الحكمдар أمين بك برسالة برقية يخبره بها أنه قد قدم لزيارته في الخرطوم وأنه يأسف لسفره فجأوبه رعوف باشا برسالة برقية كذلك يقول فيها انه يسوءه هو أيضا عدم استطاعته مقابلته قبل سفره ويؤكد له ما تكنه جوائحه نحوه من عاطفة الصداقة .

ووصلت الباخرة الى الخرطوم في ٧ مارس فاستقبله في الموردة كبار الموظفين وأعيان المدينة ومن بينهم جيكر باشا Giegler وكييل الحكمдар العام و بوساتي بك مدني Bussati Madani السكرتير القديم لغوردون باشا وكان وقتئذ مديرا للمالية و ماركوبولو بك Marcopolo سكرتير الحكمдар العام ثم قنصلا النمسا وإيطاليا .

مقابلته لحاكم السودان العام الجديد

وكانت الخرطوم حينئذ قد بلغ فيها القلق والاضطراب أشدهما وساد الكدر جميع النفوس من جراء ثورة المهدي التي كانت غير متوقعة ولا منتظرة وتواتر بصدها ورود اخبار غريبة في بابها متضاربة ومتباينة في مرماها ومغزاها . وكانت الحكومة تعد في ذلك الحين معدات حملة يوسف

باشا الشلالى التى باءت بالخيبة والخسران .

وتلقى جيكر باشا فى العشى مكتوبا من الحكمدار الجديد عبد القادر باشا ينبئه فيه بتعيينه مفتشا عاما للرقيق ويأمره فى الوقت نفسه بأن يستمر على القيام بشؤون مركزه بوصف أنه وكيل للحكمدارية الى ان يصل من يخلفه فى هذه الوظيفة .

ونزل الحكمدار أمين بك ثانى يوم قدومه فى دار جميلة أعدها له مكاتبه بطرس سركيس . واستغرقت مدة اقامته هو وفتيا حسان فى الخرطوم زهاء أربعة أشهر ترقبا فى الشهرين الأولين منها مجيء عبد القادر باشا وكان أمين بك قد طير له بريقة يطلب فيها منه امداده بما يلزم من التعليمات فورد له الرد بأن ينتظر الى حين قدومه الى الخرطوم .

وتراكت على الحكمدار العام الجديد عند قدومه الاشغال من كل صوب وحذب بسبب رفع المهدي راية العصيان واحتدام نار الثورة وبسبب تنظيم خطط الدفاع ايضا ونشأ من هذه المشاغل ان انقضى زمن قبل ان يتمكن من رؤية أمين بك .

وقبله هذا فى نهاية الأمر وفحص ميزانية دخل وخرج الحكمدارية وأنظمة قواتها الحربية وأشار على أمين بك - الامر الذى كان قد تم تنفيذه - ان يسرح جميع الخطرية الذين فى حكمداريته لعدم ثقته بهم ولانه يؤثر عليهم تنظيم هيئة نظامية من الجنود السودانية . وأمره كذلك بأن يبعث الى الخرطوم بالقائمقام نور بك محمد قائد جنود الحكمدارية وبخيت بك

بتراكى مأمور مركز مكرا كا .

عودته الى حكمداريته

وقدمت فى اللحظة التى ازمع أمين بك الرحيل فيها من الخرطوم
بأخرة تقل ٣٥ ضابطا مصريا من أولئك الذين اشتركوا فى الثورة
العرايية وجرى بهم ليندجوا فى جيوش السودان فاستدعى عبد القادر
باشا اليه مرة اخرى أمين بك وأراه الضباط وكانوا قد نزلوا توا من
البحارة وقال له :

« تخير من بين هؤلاء الضباط اثني عشر ضابطا وخذهم فى الحال
الى حكمداريتك » . فأجاب أمين بك قائلا . « يا صاحب السعادة ان هؤلاء
الضباط جاءوا فى التو والساعة فدعهم اذن قليلا يتعودون مناخ الاقليم قبل ان
يطوح بهم فى جهة أبعد من ههنا » .

فخدجه عبد القادر باشا بعينيه ولاحت عليه أمارات التأثر وقال :
« كفى كفى يا أمين بك ان الساعة ليست ساعة ابداء الشعور فساغر وخذ
العدد الذى ذكرته معك » .

وعلى ذلك اضطر أولئك المنكوبون الذين كانوا قد نزلوا توا من
البأخرة هم واسرهم وأنزلوا معهم متاعهم ان يلقموا فى الحال الى
جهات خط الاستواء .

وهؤلاء الضباط على حسب تعريف عبد الرحمن رحى (١) افندى نجل البكباشى عثمان لطيف افندى وكيل مديرية خط الاستواء الذى كان مع مديرها أمين باشا وكان فى هذه المديرية مع أولاده طول مدة العزلة وعاد الى مصر مع أمين باشا فى حملة استأنلى هم كما يأتى :-

١ — عبد الوهاب طلعت افندى ملازم ثان قتل فى واقعة الرجاف بين الجيش المصرى والدرائش فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو برتبة صاغ .

٢ — سالم افندى خلاف قتل فى واقعة الرجاف أيضا فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو برتبة يوزباشى ..

٣ — محمد افندى الفولى قتل فى واقعة الرجاف أيضا فى ١٠ نوفمبر سنة ١٨٨٨ م وهو برتبة يوزباشى ..

٤ — عبد الواحد افندى مقلد ترك بسبب مرضه فى الطريق بين مديرية خط الاستواء

(١) — بعد عودته الى مصر أدخله والده مدرسة الخرنفش وعند فتوح السودان فى سنة ١٨٩٨ م عين فى قلم الجبايات ثم نقل الى مصلحة البريد السودانى واحيل الى المعاش فى سنة ١٩٣٢ وكان وقتئذ على قيد الحياة فى أم درمان . أما والده البكباشى عثمان لطيف افندى فتوفى الى رحمة الله فى ٢٥ مارس سنة ١٩٠١ بجهة باب الوزير بالقاهرة .



البكباشى عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء

وزنبار بأمر أمين باشا لدى
المبشرين الانكليز بحجة كيتيجا
في جنوب بحيرة فيكتوريا
نيانزا عند المستر مكي وتوفي
الى رحمة الله وهو برتبة
يوزباشى .

- ٥ — ابراهيم افندى حليم ملازم ثان ترك أيضا فى الطريق
كسلفه بسبب مرضه بين
مديرية خط الاستواء وزنبار
بأمر أمين باشا لدى المبشرين
الانكليز . الخ . الخ .
- ٦ — احمد افندى سليمان » نقل الى الخرطوم قبل
سقوطها سنة ١٨٨٥ م .
- ٧ — حسن افندى سليمان » نقل الى الخرطوم قبل
سقوطها .
- ٨ — محمد افندى فوزى » نقل الى الخرطوم قبل
سقوطها .
- ٩ — عبد المين افندى شلى » ترك مع باقى القووة فى
مديرية خط الاستواء .

١٠ — على افندى شمروخ ملازم ثان ترك مع باقى القسوة فى مديرية خط الاستواء .

١١ — مصطفى افندى العجمى » وصل الى مصر مع حملة استانلى وهو برتبة يوزباشى .

١٢ — محمود افندى العجمى » قتل فى واقعة ريلى بين الجيش المصرى والدرأوىش وهو برتبة يوزباشى .

وأبجر أمين بك مع فيتا حسان فى يونيه على متن الباخرة « الاسماعيليه » صوب حكمداريته . وقال ثانيهما فى اثناء الطريق مخاطب الأول : « انك لتحسن صنعا اذا صرفت النظر عن ارسال نور بك وبخيت بك ذينك الضابطين العظيمين الوحيدين اللذين فى حكمداريتك الى الخرطوم إذ ان وجود هذين الرجلين اللذين حنكتهما التجارب من الضرورى ليعث فى نفوس الجنود المهابة ويحملهم على مراعاة النظام . فأجاب أمين بك قائلا . « انى أرى نفسى بالعكس حسن الحظ كثيرا إذ صار فى استطاعتى أن أصرح لهما بالسفر فاخفف بذلك النفقات عن كاهل حكمداريتى » .

ويقول فيتا حسان انه رغما عما أبداه من الحجج والبراهين المؤيدة لصحة نظريته وهى وجوب الاحتفاظ بهذين الضابطين ظل الحكمدار أمين بك ثابتا فى رأيه لا يتزحزح عنه قيد شعرة وذهبت براهين فيتا حسان وتحذيراته أدراج الرياح . وكان يبنى حججه وبراهينه على احتمال حدوث غارات من جانب الدراوىش ومسيس الحاجة لرجلين فى مقدرة هذين

الضابطين وهذا الاحتمال الذي كان يدلى به فيتا حسان أضحى فيما بعد أمرا واقعا .

والتسرع الذي أبداه أمين بك فى إبعادهما ما هو إلا نتيجة أخلاقه وطباعه . ولما كان فيتا حسان قد درس أحواله وما ظهر منها وما بطن أدرك أنه لن يستطيع إقناعه إلا بشق النفس وأشد المتاعب .

وكان أمين بك يخاف دائما أن يبقى خامل الذكر ويغير على سلطته غيرة ما عليها مزيد فلا يود أن يشاركه فيها انسان وكان شديد الريب فلا يسلم أحد من ريبه ولا يجنح لأن يرى تحت سيطرته إلا مروءسين لا يؤبه لهم إلا قليلا وإذا رفع أحدهم رأسه حتى لو كان ذلك خفية أضحى هذا موضع ريبته فلا يلبث أن يسعى فى إبعاده وإذا تعذر عليه أمر التخلص منه خلق له وقتئذ المشاكل ودس له الدسائس ليوقعه مع الموظفين الآخرين حتى يهبط الى مستوى لا يخافه فيه أحد بعد .

ولدى وصولهم الى قاوا وجدوا على غير المعتاد استعراضا للقوات الحربية . وهذه القوات كانت الحامية التى أقامها هناك حاكم دار السودان الجديد العام عبد القادر باشا حامى . ولم يلبث وقوفهم فى هذه الناحية اكثر من الوقت اللازم لشحن الوقود .

واتصل بهم عندما أفضوا الى شمبى أنه فى فترة غيبتهم أغارت قبائل الآميروس Amirus بقيادة كبيرهم محمد على على حامية فاديبك فأبادوها على بكرة أبيها . وانه عندما ورد هذا النبأ لوكيل المديرية الميسو ماركوبولو

بعث بحملة مؤلفة من ٢٥٠٠ زنجي من زنوج مكررا كما ومعهم ٢٠٠ جندي بقيادة بنحيت بك ليقتص من المغيرين ويحتل ثانية فاديبك . وقيل علاوة على ما ذكر ان القبائل المتعدية انهزمت انهزاما تاما وان بنحيت بك في طريق الرجوع هو وحملته الظافرة الى لادو . وقد تأكدت لهم صحة هذه الأنباء عند وصولهم الى بور .

ووصلت الباخرة بهم الى لادو في ٣١ يوايه . وكان ماركوبولو وقتئذ طريق الفراش بسبب المرض . وبنحيت بك لم يرجع بعد . ومن اليوم التالي لوصولهم كانت السنة الشر قد شحذت وأخذت تنقل الى أمين بك أحاديث قيل انها صدرت من ماركوبولو خلال غياب الحكمدار . وخفى هذه الأحاديث أن ماركوبولو يسعى بواسطة أخيه سكرتير حكمدار السودان العام ابتغاء نقل أمين بك وتعيينه هو مديرا لمديرية خط الاستواء وانه في سبيل إدراك هذا المأرب قد أخذ يدرس اللغة العربية وتقدم في دراستها تقدما لا بأس به . ومثل هذا القول جدير بأن يثير ريب أمين بك وظنونه ويتنزع منه الثقة بوكيله وعلى هذا أسرع ورسم في الحال خطة ونفذها بلا تردد . فأشار على ماركوبولو وقد كان كما سبق القول مريضا بأن يذهب الى الخرطوم لتغيير الهواء والاستشفاء . وان هو إلا أن قرر ماركوبولو الأخذ بهذا الرأي حتى أرسل الحكمدار أمين بك في نفس الباخرة التي سافر على ظهرها مكتوبا للحكمدار العام يقول له فيه ان خط الاستواء غير موافق لصحة ماركوبولو وان الحكمدارية علاوة على ما ذكر في غير حاجة الى وكيل مدير براتب قدره ٣٦٠ جنيا بل يكفي الحال بأن يبعث اليه اليوزباشي عثمان افندي

لطيف وكيل مأمور الخرطوم بماهية البالغة ٧٥٠ غرشا صاعا فيقوم بوظيفة وكيل مدير .

وأبحر ماركوبولو ونور بك محمد على ظهر الباخرة الاسماعينية التي أقلت أمين بك عند قدومه هو وفيتا حسن وشحن بها ٦٠٠ قنطار من العاج و ١٢٠٠ جلد من جلود الثيران و ٣٢ قنطار شحم من شحم البقر و ٤٠ قنطارا من الشهد . أما بنحيت بك فلم يتمكن من السفر لأنه لم يكن قد رجع الى لادو الى ذلك الوقت .

قيامه بجولة تفتيش في مكرراكا

ووجد أمين بك حال أوبته من الخرطوم ان لديه امحالا مكدسة ومتراكمة بسبب طول غيبته . وعندما قام بانجاز ما تجمع لديه منها وسافرت الباخرة قرر القيام بجولة للتفتيش في اتجاه مكرراكا وكلف اسماعيل افندي خطاب أن ينوب عنه . وعين ابراهيم جورجورو رئيسا لمكرراكا محل بنحيت بك . وسافر في ١٢ سبتمبر ومعه كمادته فيتا حسن .

ووصلوا الى « جاندا » Ganda بعد أن نزلوا وهم في طريقهم في عدة محطات عسكرية . وتناول أمين بك في هذه المحطة رسالة من لادو بها وشاية سخيفة . وكان بنحيت بك بمجرد وصوله الى لادو قد أقام اكواخا خارج هذه المحطة لاسكان عدد عديد من الجنود الذين لم يجدوا لهم مأوى داخلها ويقال انه أظهر عدم ارتياحه من جراء استدعائه الى الخرطوم . وبلغ هذان الامران مسامع أمين بك بكيفية يؤخذ منها ان بنحيت بك تمرد ورفع راية العصيان وبني مفسكره هو ورجاله في لادو .

وفي غد ذلك اليوم أتى رسول من كاباندى بخطاب من سليم افندى خلاّف مأمور قسم مكراكا مذكور فيه ان بنحيت بك وصل الى هذه الناحية ومعه جيش عرمرم من الزوج وأنه عقد النية على القاء القبض على أمين بك وطرحه في غيابة السجن هو وسكرتيه وابراهيم جورجورو فأمر أمين بك بدون أن يترث الزمن اللازم للتأكد من صحة تلك الأنباء ابراهيم جورجورو رئيس مكراكا الجديد أن يسافر مع مائة خطرى ويقبض على بنحيت بك سواء أكان حيا أم ميتا . فأراه فيمسا حسان أنه ليس من اللياقة ولا من السياسة أن يقبض رجل خطرى غير متحل بأى لقب من الألقاب على رئيس محبوب محترم وأنه من اللازم التحقق من صحة أخبار تلك الثورة أو كذبها . فأجاب الحكمدار امين بك بخشونة قائلاً : انى انا المدير وأنا على بينة مما أعمل ولا أسأل احدا مشورة . وكانت سداجته والسرعة التى يصدق بها ما يتصل به من الاخبار هما عدوه اللدود بل هما أخش عيب يتصف به رئيس من الرؤساء وكانتا مبنيتين على اعتقاده أنه لا يمكن التشنيع أو الوشاية في حق انسان برى .

وكان عدوان الخطرية والداقلة للجنود النظامية المؤلفة من الزوج مستمرا لا ينقطع . وكان ابراهيم جورجورو دنقلاويا وبنحيت بك زنجيا مسقط رأسه تاجالا Tagala وذا قريحة وقادة وشهامة فائقة . فملت العداوة الجنسية ابراهيم جورجورو على أن يتلقى أمر الحكمدار فرحا مسرورا ويتحرك في الحال لمباشرة تنفيذه . ولدى وصوله الى كاباندى دخل منزل بنحيت بك شامخ الأنف وكان قد بلغ بنحيت قبل ذلك أخبار الاجراآت التى اتخذت ضده . ومن الأمور المدهشة أن يرى الانسان الأخبار تنتشر بسرعة كبيرة هكذا في تلك الاصقاع . هذا اذا كان غير عالم بأن

الزئوج يتناقلون كل ما يطرق أسماعهم من الأنباء أو تقع عليه أعينهم من الحوادث بدقة عظيمة حتى لو كانوا لا يفهمون شيئاً مما سمعوا أو رأوا .

وتقدم بنحيت بك أمام ابراهيم جورجورو بلطف وأدب وقال : من أتى بك ههنا . أنتوى القبض على حيا كنت أم ميتا تنفيذا لأمر المـدير ؟ فأجاب ابراهيم جورجورو قائلاً : نعم . فقال له بنحيت بك : وما هو الموجب لمثل هذا العمل الصارم ، أهو الاشاعة التى اذاعها اناس بلهاء لا خلاق لهم ؟ واذا كنت أريد ان آتى بعمل كهذا فهل تظن أنك تخيفنى بلماثة الخطرى الذين معك ؟ ألا فاعلم أنى جندى من القدماء لم يواجباتى وبما أنا مكلف به وانى أعلم ان الخديو نصب أمين بك رئيساً لى ومن واجباتى طاعته . فاذا كان فى خاطرى القيام بمثل هذه الثورة التى قد اتهمت بالشروع بها فهل كان فى غير استطاعتى أن ألقى القبض عليك فى طرفة عين أنت نفسك والمـدير ومن معك من الخطرية واضع فى اعناقكم جميعاً السلاسل والاغلال ؟

ثم اصطحب بنحيت بك ابراهيم جورجورو الى خارج داره وقال له : ارجوك ان تحيل البصر فيما حولك لتستبين اذا كنت غير قادر على ان اسحقكم جميعاً وألاشيكم من الوجود بهذا الجيش الطائع لى طاعة عمياء .

وعند ذاك امر بنحيت بك بالنفخ فى البوق وإن هى إلا غمضة عين حتى كان يكتنفه من كل ناحية صف متراس من الزئوج ثم سيماهم على الاستعداد للقيام بأى عمل يؤمرون بعمله .

ثم واصل الحديث وقال : اذهب وطمئن أمين بك واذكر له اخلاصى

ونبئه بأنى ما أتيت الى ههنا حسب إرادته إلا لى أقابل أسرتى فى لادو وانتظر قدوم الباخرة التى ستقلى الى الخرطوم .

وعند وصول أمين بك ومن معه الى كاييندى فى طريق الرجوع كان بخيت بك قد سافر فى الواقع ونفس الأمر الى لادو هو وأسرتة الأمر الذى أحزن زفوج مكركا لشدة تعلقهم به وعظيم محبتهم له .

وسلم الحكمدار أمين بك بنفسه مقاليد الأعمال الى رئيس مكركا الجديد ابراهيم جورجورو وأمر جميع المشايخ بطاعته . وجورجورو هذا كان فى مقدمة أولئك الذين ولوا خدمة الحكومة عرض اكتافهم من فجر نشوب الثورة المهدية واشترك مع الثائرين .

ودعت الحالة الحكمدار عند أوبته أن يقيم بعض أيام فى واندى ليعالج نظره وكان قد أصابه رمد بسيط . وبعد أسبوع من وصوله الى هذه الناحية قدم الصاغ حواش افندى منتصر رئيس مركز ممتو ومعه ٥٠٠ حمل من العاج . وكان راجعا من حملته الأخيرة التى توجهت بالنصر وهى الحملة التى قام بها فى ذلك المركز ضد الرئيس ازانجا Azangs . وكان فيتا حسانا جالسا مع الحكمدار حينما ورد الخبر بفتة منبعا بقُدومه . وبعد وصول هذا الخبر ببرهة دوى صوت الطبول والزمور دويا يصم الآذان وكان هذا الصوت صوت آلات رجال حواش افندى منتصر الموسيقية المتباينة العدد . فقال الحكمدار : عليك اللعنة يا حواش !! هذا صاغ يتظاهر بمظهر ملك ويأتى بموسيقى كهذه التى نسمع دويها . وما نطق بهذه الكلمات حتى دخل حواش افندى القاعة التى كانوا جالسين فيها . وكان حواش افندى هذا رجلا نحيف الجسم طويل النجاد قد ازداد وجهه اسمرارا .

اما ملاحه فتم عن غلظة في أخلاقه . وكان يرتدى ملابس السفر المعتاد لبسها في السودان وهي جلباب احمر قصير من القطن يحيط به نطاق الجندية معلقا به سيف .

ووقف حواش افندى على قيد خطوتين من الحكمدار وحياه التحية العسكرية وأمسك أمين بلحيته كعادته وبعد برهة قصيرة قال . أقدمت ؟ فأجاب حواش افندى : نعم يا صاحب السعادة . فقال له الحكمدار : وما ذا أتيت به ؟ فأجاب حواش افندى : أتيت بعاج . فقال له : أكان هذا العاج في مستودعات ممبتو أم غنمته أنت نفسك ؟ فأجاب : غنمته أنا نفسى وما ذلك إلا بواسطة شمول الحكومة إياى بمجائتها وببركة عناية سعادتك . فقال : هل أتيت منه بالشئ الكثير ؟ فأجاب : لقد أحضرت معى ٥٠٠ حمل تقريبا وتبلغ زنة كل منها ٤٠ رطلا . فسأله : ومن أى نوع هو ، أمن النوع الأول الجيد أم من النوع الثانى ؟ فأجاب انه يحتوى على جميع الأنواع . فقال له : لقد أحسنت . تفضل فاجلس واشرب قدحا من القهوة .

واستدعى الحكمدار خادما ليحضر القهوة وأخذ يسأل حواش افندى بينما كان هذا يتناولها عن حوادث ممبتو وعن العلاقات التى مع رؤساء الزنوج وعن خواص الحروب ومميزاتها التى شنها ونجح فيها ذلك النجاح الباهر . ولما اراد حواش افندى أن يستأذن بالانصراف قال له الحكمدار : اذهب فاخلع ثياب السفر واسترح ثم زر أصدقاءك .

ثم التفت الحكمدار الى فيتا حسان وهو يضحك وقال : هيا اذهب رفقة حواش افندى إذ ربما يكون قد أحضر لك شيئا من الهدايا

كزوج ينفاء أو بعض شيء من الباتنجو^(١) . فخرج فيتا حسان
صحة حواش افندى .

وهاك مايقوله الأول بصدد الثانى : ان حواش افندى وان كانت هيئته
تتم عن النظرة وسوء الخلق فهو حليم الطبع انيس المعشر طيب النفس ذو نجدة
ومروءة . وسأل هذا فيتا حسان السؤال التالى :

خبرنى بربك ماذا أصاب صاحبك المدير ، وماذا انفعلى اذ رأى جنودى
الزفوج يعزفون بعض انغام موسيقية ، وهل انا امرتهم ان يهيشوا لى احتفال
من يدخل دخول الظافر ، الهذا يدعونى لعينا ؟

فأجاب فيتا حسان : وكيف كان ذلك ؟ !

فقال حواش افندى : ألم اسمعه باذنى حين دخولى . هيا بنا اذن ياها
الطيب . انى وان كنت قدمت اليك بطريقة استهتار وسخرية فهذا لم يحل
دون فرحى وابتهاجى بمعرفتك .

وسأل حواش افندى فيتا حسان وهما سائران عن تاريخ وجوده فى
الحكمداية وعن أشياء اخرى .

وسأله كذلك فيتا حسان عن تاريخ حياته والمركز التابعة له ادارته
وعن جونكر و كازاتى اللذين كانا فيما سلف فى مقاطعته . وبعد

(١) — الباتنجو مربى من موز يعطرونها بعيدان نوع من النبات الطيب الرائحة . وهذه
الغري تمك سنة فأكثر بدون ان يتطرق اليها الفساد .

مرور نصف ساعة من الزمن كان الاثنان على غاية ما يرام من الود والصفاء .
هـذا وقد نظر حواش افندى الى هزؤ وسخرية أمين بك بعين الجـد فـيا
فيتا حسـان بزواجى بـيغـاء من طيور ممبتو لونها رمادى يسر الناظرين ومنحه
كذلك قدرا من الباتنجو وبعض مزاريق وأسهم وبعضا من الاسلحة المهمة .

ولما كان حواش افندى عالما بمواطن الضعف من نفس المدير العام
أحضر له بعض الطيور والقردة والحيوانات ذوات الأربع وأسلحة وتحفـا
عجيبة . وهذه هى الاشياء الوحيدة التى كان أمين بك يهوى جمعها باسم العلوم
ولفائدها وذلك لـكى يرسلها فيما بعد الى متاحف أوروبا .

ونزاهة أمين بك ومبادئه القويمة الخاصة بالشرف كانت جديرة
بالاعجاب . وقليل من الموظفين حتى من أولئك الذين فى خدمة حكومة
السودان هم الذين يحذون حذوه وينسجون على منواله فى ذلك . فكان
عندما يبعث له مأمور من مأمورى المراكز بهدية من الهدايا يرى
فى ذلك محظورا تأباه استقامته الخارقة للعادة فيأمر مأمور المخازن بخطاب
رسمى بقيد ذلك الشئ فى الدفاتر وتقدير ما يساويه بالتدقيق ويحتسب
ثمـنه عليه . وكان يفعل هذا اجابة لداعى ضميره ونزاهته فلا يمكن أن يدخل شئ
فى بيته قبل وفاء ثمـنه .

وقبل أن يبلغ حواش افندى واندى ورد تقريران مذكور بهما
أمور غير مستحسنة فقرر المدير نقل حواش افندى من ممبتو وتعيينه قائدا فى
لادو ابتغاء تجنب وقوع مثل هذه الوشايات التى قد يمكن أن تجر وراءها
بسهولة حوادث كريهة .

وكان المدير يحب أن ينهج منهج المنتظمين في السلك السياسى ويتتبع خطاهم باتخاذ طرقهم العوجاء رغمًا عن أنه لو كان في جماعتهم لاحتسب من أحطهم مرتبة . وكان يهوى أن يتصرف في القضايا الهينة اللينة بطرق سرية وفي الخفاء . وهذا هو أكبر عيب فيه ومرجع هذا العيب كثرة طبيئته وشدة ضعفه . وكانت قواه تخونه دوما فلا يجرؤ أن يقول لأى انسان في وجهه ما لا يحسن لدى هذا الانسان حتى لو كانت المصلحة العامة تستدعى ذلك حتما ولا بد أن هذا النقل أزعج حواش افندى لأنه كان ذا شعف بمركزه في ممبتو التى كانت أسرته تقيم فيها .

وتحاشى المدير أمين بك أن يبلغه بنفسه هذا القرار فكتب الى فرج افندى أجوك الذى كان قد قدم ليدير أعمال ممبتو بعد حواش افندى مباشرة - بأن يحل موقتا محله . وكتب الى اسماعيل افندى خطاب رئيس كتبة الحكمدارية بأن يسلم الى حواش افندى حال وصوله الى لادو قيادة هذا المركز محل عبد الله افندى العبد الذى سينقل الى وظيفة معاون .

وكان حواش افندى قد غنم في حروبه مع الأهالى قبل أن يسافر من ممبتو ١٣٥ بندقية . وكان ينبغي قيد هذه الاسلحة في الحال في دفاتر الحكومة إلا أنه أغفل ذلك لحين سفره . ولكي يجعل هذا الخطأ راجعا الى مصلحته اتخذ وسيلة رديئة وذلك بأن أرسل كشفا أرخه بتاريخ سابق لتاريخ كتابته . وبما انه لم يحسن إلا قليلا تحرير هذا الكشف كشف أمين بك حيلته وقد كان من قبل متهيجا من هذه المسألة فأخلى سبيله وأحل محله ضابطا يقال له عبد الوهاب افندى طلعت وهو من الضباط العرايين الذين أعطاهم اياه

عبد القادر باشا .

وعند وصولهم الى لادو وجدوا بنحيت بك . وكان قدم قبل ذلك بايم
وأقام في الدار التي أعدها له اسماعيل افندى خطاب ريثما تصل الباخرة التي
ستقله الى الخرطوم . وكان بنحيت بك قد سئمت نفسه من دسائس ودسائس
الحكمدارية فأوصد بابه في وجه كل زائر اللهم إلا اسماعيل افندى خطاب فقد
ظل يزوره في أى وقت شاء . وحال وصول أمين بك تولى بنحيت بك وهو
ملازم جانب الحشمة واللياقة كجندى قيادة الجيوش ليقدم للمدير العام التشريفات
العسكرية وقابله باحترام كأنه لم يحدث حادث ما . غير أنه التمس منه ان يصدر
أمرا بمنع الزيارة كلية عنه مع استثناء فيتا حسن واسماعيل افندى خطاب من
هذا المنع .

١ — ملحق سنة ١٨٨٢ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء^(١)

القسم الرابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى تنجـازى

بعد أن بارح جونكر حواش افندى وجنوده فى أواخر السنة الماضية ذهب للريادة لغاية أوائل فبراير من السنة الحالية ورجع بعد هذا التاريخ الى بلدة ممبتو .

ووصل فى ١٠ فبراير الى محطة صغيرة أنشئت للاستطلاع وبها من الحراس ٨ نوبيين و ٣٠ جنديا سودانيا فتموبل فيها أحسن استقبال وزود بكل ما يحتاج اليه فى رحلته . وبعد أن مكث فيها يوما سافر الى تنجـازى فدخلها فى ١٦ من الشهر المذكور .

وكان منظر محطة تنجـازى قد تغير عن الحالة التى رآه عليها وقت زيارته الأخيرة لها لأن بنيت بك كان قد جدد بناءها . والنظام

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

الذى كان بها قد تحسن والاكوخ النظيفة التى فيها والتى وضعت تحت تصرف جونكر مباينة تماما للأماكن التى نزل بها فى رحلته السابقة .

وصارت محطة تنجازى هذه أهم محطة فى المركز واتخذت معسكرا لأغلب الجنود السودانيين النظاميين وفوض أمر قيادتهم لضابط يقال له فرج افندى وهو أيضا سودانى من جنسهم . أما باقى الجنود النظاميين فأتخذوا لهم محطى كوى و جانجو الشرقيتين للإقامة بهما وليكونوا حاميتين فيهما .

وكان بنيت بك قد رجع الى مكراكا وظل حواش افندى فى المركز خلافا للأوامر السابقة . ولكنه كان مقيما فى هذه الآونة فى محطة كوى . وطرد أغلب النوبيين من الناحية من وقت انشاء المحطات الجديدة فى بلد الابرامو Les Abramos وغيره .

وقوبل جونكر مقابلة ودية للغاية وانشرح صدره لوجود اليوزباشى كازاتى فى تنجازى وعقد النية هو والمذكور على أن يقيم به هذه المحطة مدة .

ووجد فيها أيضا صندوقا مرسلا من المدير أمين بك وبه كمية من الجرائد وجملة أشياء كان محتاجا لها . وعلم فى الوقت ذاته ان أميننا بك سافر الى الخرطوم فأسف لذلك أسفا عظيما لأنه فى رحلاته الأخيرة كان قد ألم بما فى الاماكن التى اجتازها وكان يرى ان ابلاغ ما علمه قد يفيد بلا ريب أميننا بك إلا أنه كان يستصوب ابلاغه ذلك شفويا لصعوبة

إبلاغه إليه كتابة .

وتلقى أيضا مكاتيب من الخرطوم من چيجلر باشا وكيل حاكم دار السودان وكذلك من لبتون بك مدير بحر الغزال . وكاننا قد علمنا ان بعض متاع جونكر قد سرق فعرضا عليه أن يمدها بما يلزم من الخدم . وكان خواش افندى قد رد اليه ذلك المتاع فأضحت خدمتها له غير لازمة . واقتصر على أن يطلب من لبتون بك ان يتكرم ويبعث له بحمار في « ديم سليمان » . وان يزود رفاعى افندى بمأمور مركز بحر الغزال الشرقى بالتعليمات اللازمة ليسهل عليه ما رتبته في الريادة التى أزمع على القيام بها في تلك المنطقة .

سفره من تنجازى الى ريادة ثم عودته اليها

وأقام جونكر ثمانية أيام في تنجازى قضاها في هناء وسرور مع كازانى وتبادلا مع بعضها مختلف خلاصات جولاتها . وسافر منها ثانية في ٢٥ فبراير ومر بقرب محطة لشيخ من معارفه يقال له « نيانجارا » Niangara قائمة على مرتفع فلم يجد أحدا مشرفا على حراستها أو حراسة ما بداخلها وكان جميع الأهالى قد هجروها وذهبوا للعمل في المزارع . ويقول جونكر ان ذلك دليل لا يرد على استتباب الأمن في تلك الربوع .

وفي ٢٧ فبراير وصل الى حى شيخ يقال له ماقاكا Makassa وهو من معارفه القدماء . وهذا الرجل يجيد التكلم باللغة العربية لأنه كان قد قضى مدة طويلة في خدمة العرب فأكرم مشواه . وتابع رحلته في اليوم التالى ومر بشيخ آخر يسمى جبارى Gambari وكان له به

معرفة سابقة فقراه . وكان منزل حواش افندى على مقربة من قرية هذا الشيخ فبادر وأرسل إليه من قبله رسولا يبلغه خبر قدوم جونكر ويرجوه الحضور . وأسرع حواش افندى بالقدوم حالما علم ذلك وبعد أن لبث هو وجونكر بعض ساعات في ضيافة جبارى سافر الجميع الى محطة كوبي محل اقامة حواش افندى وهى واقعة على بعد ٢٠ دقيقة .

وأقام جونكر فى كوبي لغاية ٣ مارس وتابع السفر فى التاريخ المذكور بعد أن أخذ كفايته من الحمالين . وكان حواش افندى قد سافر ايضا للقيام بجولة للتفتيش وكان الاثنان قد تواعدا على الالتقى فى محطة جانجو . وبلغ جونكر هذه الناحية فى ٨ منه ولما لم يجد بها حواش افندى استمر أخذاً فى طريقه ميمما وجهه شطر الشيخ كودابو Kodabo الواقع منزله على مسافة ساعة واحدة من المحطة . أما حواش افندى فوصل فى اليوم التالى ليسوى بعض المسائل عند الشيخ البادى ذكره .

وبارح جونكر منزل كودابو فى ١١ مارس وبعد ان ارتاد بعض الاقاليم رجع الى محطة كوبي بعد ان غاب عنها ٢٠ يوما . وزايل هذه المحطة فى ٦ أبريل ليقوم بجولة واسعة النطاق بلغ خلالها الغابة الكبرى التى يقيم بها مشاهير الاقزام . ثم عاد ولم يدخل فى تنجازى إلا فى ١١ يولييه وذلك بعد غياب أربعة أشهر ونصف شهر جاب فى غضونهما ٦٠٠ كيلومتر تقريبا .

وأقام فى تنجازى فى أكواخ حواش افندى وكان هذا عندئذ غائبا يتنقذ أحوال مراكز الغرب وتنفس الصعداء إذ وجد فيها كازاتى الذى كان قد قفل راجعا من ريادته .

سفره الى ريادة أخرى والى مديرية بحر الغزال

وكان جونكر قد أصابه الاعياء والتعب من جراء هذه الريادة الطويلة وحدث أيضا بجسمه جروح تستوجب العلاج فاضطر أن يطيل مدة اقامته في تنجازى لغاية ٨ أغسطس . وفي نفس هذا التاريخ استأذن من كازاتى وتركه في المحطة واتخذ سبيله ميمما شطر الشمال الغربى موليا ظهره لآخر مرة بلدة ممبتو التى يصف جنس سكانها بأنه أعرق الاجناس بين سكان أواسط افريقية فى المدينة .

ويجتاز الطريق الذى مر به جونكر مملكة مامبانجا القديمة لغاية محطة حواش افندى الأولى . وكبير هذه المملكة حالا امبيتيا Mbittima الذى خلف مامبانجا . وفى اليوم التالى لسفره قابل حواش افندى وقد كان ذاهبا ليقمع ثورة شبت نيرانها فى بلاد الابرامو . وعلم جونكر ان مامبانجا فتح باب الكلام طالبا معاونته لى يسترد مملكته القديمة .

ووصل جونكر بعد أن فارق حواش افندى بستة ايام الى المحطة الاولى من المحطات التابعة لهذا الاخير ورأى الخطى الواسعة التى خطتها هذه المحطة فى سبيل التقدم من بعد زيارته الاخيرة لها .

ورأى بها ذلك الشيخ الهرم مـبـوـرو ولم يزل هائما باشا كعده به فى المدة السابقة ولم يدعه إلا بعد ان عبر به نهر « وليّه » سليما طيبا فى ١٤ أغسطس .

. وفى ٢٨ أغسطس بلغ جونكر محطة صغيرة أنشئت حديثا فى بلاد المادى

بها ١٥ جنديا سودانيا بقيادة رجل يقال له سليم افندى . وأقام بهذه المحطة ثلاثة ايام وسافر منها فى اول سبتمبر ووصل عند شيخ يقال له ياپاتى فى ٧ منه . وفى هذه الجهة تلقى خطابا من كازاتى ينبئه فيه بعودة أمين بك من الخرطوم الى لادو واعتزامه زيارة بلاد ممبتو قريبا . وهذه الزيارة لم تحدث فى الواقع ونفس الأمر إلا فى العام التالى . وأخبره كذلك ان حواش افندى عين نهائيا مديرا لمديرية ممبتو .

وفى ١١ سبتمبر من عام ١٨٨٢ م فارق جونكر « ياپاتى » Yapati وقام بريادة فى مديرية بحر الغزال ولبت بها الى آخر هذا العام .

ولهذه الرحلة تنمة نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٢ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء

القسم الثالث

من أول يناير لغاية آخر ديسمبر

سافر كازاتى فى أواخر أيام العام السالف من تنجازى ليقوم بزيادة أخرى فى بحر الغزال . وبعد أن غاب ستة أشهر عاد ثانية الى تنجازى فى ٢٨ يونيه سنة ١٨٨٢ م .

وفى خلال غيابه هذا استجدت حوادث أخرى .

فقد سافر امين بك الى الخرطوم فى شهر مارس اجابة لدعوة رءوف باشا حاكم دار السودان العام الجديد . وكان حواش افندى قد دخل فى مفاوضة مع الرئيس جبارى اثناء هذه الغيبة وفكر فى أن يحاول بالتواطىء مع مامبانجا احتلال مملكة أزنجبا وسولت لمامبانجا نفسه الاستيلاء على عرش مملكة أزنجبا فوطىء بنعليه كل خلة حميدة وارتضى أن يذهب لقتال خاله وولى نعمته أزنجبا .

وبعد أن تم هذا الترتيب فى شهر أغسطس هاجم جيش المغيرين المؤلف من عرب وأتباع جبارى مملكة أزنجبا ولم يشترك فى هذا

القتال الجيوش النظامية .

وفوجىء أرنجا بهذه الغارة فلم ير مناصا من التسليم واخضوع وعلى ذلك قرر حواش افندى خلعه عن عرش ملكه وأحل محله مامبانجا .

ولما بلغ هذا الحادث أميين بك أمر باستدعاء حواش افندى واستدعاء كاتبه عمر افندى عارف وألغى هذا القرار .

وفى نوفمبر سنة ١٨٨٢ م اتخذ كازاتى سبيله فى السير من جديد قاصدا زيارة الاقطار التى لم يستطع ارتيادها فى رحلاته السالفة بسبب ممانعة أرنجا وقضى فيها بقية العام .

ولهذه الرحلة تمة نذكرها فى الملحق الثانى للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٣ م

من

حكمدارية أمين باشا

انقطاع المواصلات بسبب السدود

واجراء تغييرات بين الموظفين في مختلف المحطات

يلوح أنه لم تحدث حوادث ذات بال في الشهرين الأولين من هذا العام في حكمدارية أمين بك ويظهر أنه كان مقيماً في خلاهما في لادو .

وأول حادث هام حدث في السنة المذكورة هو وصول الباخرة تلحوين في ١٦ مارس من هذه السنة . ومن النادر جداً أن تصل باخرة من البواخر حتى أنه متى قدمت واحدة منها ينشأ من قدومها حركة غير عادية في لادو بسبب ما تجلبه من البضائع وتحمله من الأخبار .

وتتضح تلك الاهمية من البيان الآتي المدون به عدد البواخر التي قدمت في ظرف ٥ سنوات (١) ابتداء من عام ١٨٧٨ لغاية عام ١٨٨٤ م :—

(١) — يتضح من هذا البيان ان عدد السنين سبع لا خمس وقد أسقط من العدد عام ٧٩ و ٨٤ اللذان لم يرد فيهما بواخر .

في ٣ يونيه	سنة ١٨٧٨	وصلت الباخرة الصافية
» ٣ ابريل	» ١٨٨٠	» » » بردين
» ٥ اغسطس	» ١٨٨٠	» » » بردين
» ١٤ يناير	» ١٨٨١	» » » امبابه
» ١٩ »	» ١٨٨١	» » » بردين
» ٤ يوليه	» ١٨٨١	» » » الصافية
» ١٨ ديسمبر	» ١٨٨١	» » » بردين
» ١٣ يوليه	» ١٨٨٢	» » » الاسماعيليه
» ١٦ مارس	» ١٨٨٣	» » » تلحوين

والسبب في قطع هذه المواصلات مددا طويلة السدود التي تقف حجر عثرة في سبيل الملاحة الأمر الذي ينشأ منه وقوف حركة تقدم الحكمدارية وعماريتها .

وكانت الباخرة تلحوين تحمل على متنها عثمان افندى لطيف وكيل المدير الجديد المعين محل ماركو بولو واحمد افندى رائف وهو من معاوني الحكمدارية . وهذه الباخرة هي خاتمة البواخر التي قدمت من الخرطوم .

وفي ١٤ أبريل رجعت تلحوين وعلى ظهرها بنحيت بك بتراكي و اسماعيل افندى خطاب و ٥٠٠ قنطار من العاج . وفي هذا الوقت قدم اليوزباشي كازاني الى لادو . وراه فيتا حسان لأول مرة عند أمين بك وتعرف به . وبأشر أمين بك حينئذ القيام بتغييرات جمة بين المستخدمين في مختلف المحطات واستغنى الحال عن مرجان افندى الدناصوري قومندان محطة فويرا سابقا . وكانت هذه المحطة قد أخليت من الجنود . وعين

ابراهيم افندى حليم الذى كان فيما سلف قومندان فاديبك رئيسا لمحطة لا بوريه وعين على افندى جبور رئيس هذه المحطة الاخيرة قومنداناً جنودها .

تمرد الدنكاويين وكبح جماحهم

وقامت بذهن مرجان على افندى قومندان مركز رول وأحد اهالى بارى وكان فى بادئ الامر ترجاناً لا أكثر وعين مباشرة فى هذه الوظيفة ، فكرة مشثومة وهى الشروع فى القيام بغارة ضد بلدة طائفة دون أن يأخذ بذلك أمراً . وكانت النتيجة ان تألب عليه الدنكاويون برمتهم فانقلب عليه الآية والتوى عليه الأمر وأبىد هو ورجاله على بكرة أبيهم . وأرسل عندئذ محمد افندى الصياد قومندان دوفيليه الى رول ومعه فصيلة من الجند مؤلفة من حامية المحطات التى أخليت .

وفى أوائل مايو سافر أمين بك من لادو لتفقد مركز ممبتو الذى ألحق بحكمدايته وكان لم يره الى هذا الحين ورافقه فى رحلته هذه كازاتى . وبما ان عثمان افندى لطيف وكيل الحكمدار الجديد كان قد قدم الى الحكمداية من عهد قريب ، فقد قال أمين بك لفيتا حسان انه آسف لعدم أخذه معه لأنه يؤثر ان يتركه مع وكيله ليساعده فى إنجاز الأعمال بفضل خبرته .

وبعد سفره بأيام قليلة ورد الى لادو نبأ تمرد الدنكاويين واندلاع لهيب الثورة فى رول مرة ثانية وابادة حامية محطة جوك مختار برمتها واهلاك قسم من حاميات محطتى رومييك وأجراك والذين بقوا من حاميات هاتين

المحطتين الاخيرتين استطاعوا النجاة والانضمام تحت قيادة محمد افندى الصياد قومندان المركز .

وبلغت هذه الاخبار في الوقت نفسه أمينا بك . وفي الوقت الذي بارحت فيه لادو حملة مؤلفة من ٩٤٠ جنديا مسلحين بينادق ومنجوتون ومدفعين جبليين بقيادة اليوزباشى سليمان افندى السودانى وهو ضابط باسل شجاع بقصد معاونة جنود رول ، كان أمين بك من جهة أخرى قد بعث ابراهيم افندى جورجورو قومندان مكراكا ومعه ٦٠٠ رجل بعضهم العساكر غير النظاميين والبعض الآخر من السودانين .

وكانت جنود الحكمدارية في هذا الحين مؤلفة من ٢٠٠٠ رجل منهم ١٠٠٠ من العساكر النظامية و ٥٠٠ خطرى و ٥٠٠ من التراجمة . ومع ذلك لم تكن هذه هى القوات الوحيدة التى يمكن الحكمدارية أن تستند عليها بل عندما تشتبك في قتال مع قبيلة أظهرت العصيان وأبدت روح التمرد تنضم رجال قبيلة اخرى برضاها واختيارها الى رجال الحكومة وتحارب في صفوفها . ولأولئك الرجال في ذلك فائدة مزدوجة وهى الدفاع عن نفس اراضي مملكتهم لأنه لو انهزمت جيوش الحكومة التى تحميهم بمالها من الحول والطول فالظافرون يغزون بلدهم . أما اذا انتصرت الحكومة بهمة الزنوج فهؤلاء يشنون الغارات على البلد المقهور ويرجعون منه بالغنائم وخصوصا الانعام التى هى أجل مطلب تصبو اليه نفوسهم .

وطلب أمين بك عدا الستمائة الذين أرسلهم لمحاربة الدنكاويين الذين نشروا راية العصيان الى لبتون بك مدير بحر الفزال في الوقت نفسه

أن يبعث بنجديات الى ميدان القتال . ومما قاله له في خطابه ان جنود بحر الغزال تستطيع ان تنهز هذه الفرصة لتجلب لديريةكم قطعان الماشية التي تنقصها كل النقصان .

وعلى ذلك أرسل لبتون بك ٤٠٠ خطرى بقيادة مختار افندى وهؤلاء انضموا الى جيوش أمين بك وبانضمام هذين الجيشين الى ما تبقى من حامية رول بلغ عدد الجميع ١٢٠٠ رجل منهم ٧٠٠ جندى من الجنود النظامية والخطرية و ٥٠٠ مساعد من الزنوج .

وسارت الحملة من أجاك حيث كان قد تم انضمام هذه القوات جميعها وانتهت باخضاع الدنكاويين التام بعد محاربة استمرت ثلاثة شهور واستولى الجيش على مبلغ كبير من الغنائم وأرسل مقدارا كبيرا منها الى بحر الغزال مع جنود لبتون بك وكان هذا قد أرسل ايضا الى امين بك ١٧٠٠٠ ظرف جبخانة .

واستمر امين بك في سفره لتفقد الاحوال في مركز ممبتو اتبعا للخطة التي كان اختطها ووصل الى ذلك المركز في شهر يولييه . وفتش محطتى تنجازى و « بليما » Bellima وأمر باعدام الرئيس الزنجى الطائر الصيت مامبانجا . وبينما هو يتأهب لافتح طريق جديد من جانجو الى واندلاى Wandelai إذ جاءه نبأ قطع المواصلات مع محطة شمبي بفعل رجال الدنكا .

ولا يعلم بالتدقيق ماذا حل بحامية هذه المحطة ويروى بعضهم ان الدنكاويين دمروها تدميرا ولم يبقوا على أحد من رجالها . ويروى البعض الآخر

انه امكها الافلاع مع قائدها والتوجه الى الخرطوم طلبا للنجاة .

وتلقى أمين بك هذا الخبر وهو في تنجazy فمجل بالاياب الى لادو تاركا وراءه اليوزباشى كزاتى . ودفعت الوقاحة رئيسا من الرؤساء الزنوج الى قطع الطريق بين ممبتو ومكراكا على السابلة ونهبهم وسبي من قدر عليه من النساء حتى بلغ من أمره ان قبض على ضابط وحجزه اسبوعين .

ولعدم استطاعة امين بك احتمال مثل هذه الحالة انذره وشدد عليه بالثـول أمامه فأبى . فوجه عليه قوة حاصرته فى قريته وألقت القبض عليه واخذته أسيرا وغنمت عشرين بندقية من البنادق التى كانت فى حوزته وعددها خمس وثلاثون أما هذا الرئيس فأرسل الى احدى المحطات الشرقية حيث أودع غيابة السجن .

ولدى وصول امين بك الى لادو وجد التذمر باديا على وجوه جنود المحطة من قائدهم عبد الوهاب افندى طلعت لشده فأحل محله اليوزباشى على افندى سيد احمد وعين عبد الوهاب افندى معاونا اول للمديرية ثم أمر ابراهيم افندى جورجورو ان ييارح مركزه مع ثلة من جنوده ليفتح المواصلات مع شمبى لى يتحقق مما حل برؤعها لأنه لم يرد الى ذلك الوقت ما يثبت أو ينفى خبر تدمير حاميتها . ولم تتخذ هذه التدابير مراعاة لشدة ميس الحاجة الى تلك المحطة بل لمعاقبة الزنوج بنوع أخص حتى لا تظن البواخر القادمة من الخرطوم لدى رؤيتها مدمرة أن التمرد ضارب اطنابه فى ارجاء الحكمدارية .

وأصدر امين بك امرا الى عبد الوهاب افندى طلعت عندما كانت

حامية شبي وحدها محاطة باشوار وفرغت مؤونتها ، أن يدها بالؤونة من محطة بور .

ونظرا لعدم وجود باخرة أقلع عبد الوهاب افندى ومعه ١٢ جنديا على ظهر سفينتين لتتيم هذه المأمورية وتركها تنحدران مع التيار بدون أشرة . ومع أنه من أمد مديد لم ترد أية باخرة ولا أى خبر من الأخبار ومع الجهل التام بالمسائل المحزنة التي كانت تقع في أنحاء السودان كان لم يزل هناك أمل في قدوم باخرة .

مكاتبات من امين بك يصف فيها حالة الحكمدارية
بعد ثورة المهدي

وانتقل فيتا حسان الى الرجاف في شهر سبتمبر ليتفقد جنود هذه الخطة . وبعد ان قفل أمين بك راجعا ودخل لادو تلقى قبيل منتصف الشهر المذكور مكتوبا من جونكر صادرا من ممبتو يطلب فيه امداده بالأخبار فرد عليه بتاريخ ٢٠ منه يقول انه كان سافر الى ممبتو ومنها أعلم الاهالي طرا أن طريق لادو مفتوحة أمام كل من كان له شكاية ، وأن مامبانجا قضى نجه — والحقيقة ان امين بك أمر بقتله فقتل وسيرى القارىء في رحلة جونكر ان هذا يلومه على فعلته هذه — وان في انقضاء اجله خلاصا من مشاكله لأن في وجوده تهديدا مستمرا للبلد ، وان مامبانجا أقسم في الواقع ونفس الأمر ان يقتله هو و جونكر وكازاتي . وقال علاوة على ذلك انه لم يأت من زمن بعيد أخبار من الخرطوم وانه يخشى ان تكون الحوادث انتقلت من سىء الى أسوأ .

وبما ان السفر من طريق بحر الغزال قد يكون خطرا وجه امين بك الى جونكر النصح بأن يحضر رأسا الى لادو ومن هذه يمكنه الرجوع بسهولة الى أوربا عن طريق أوغندة . وقد شكره جونكر على نصيحته هذه وقال انه سيعمل بها .

وفي ١٩ أكتوبر كتب امين بك الى الطبيب شوينفورث Scheinifurth رسالة ينبئه فيها بعودته الى لادو التي وجدها مغمورة بماء النيل الذي ارتفع عن مستوى فيضان سنة ١٨٧٨ م الخارق للعادة . ويقول ان جنوده لم تزل للآن ضاربة في بلد الدنكاويين . أما هذا البلد ففي وداعة وهدوء ومثله بقية انحاء الحكمادية والكل يسير تدريجا في سبيل التقدم والرقى وانه يأمل أن يرى إيراداته تروى على زهاء ١٢٠٠٠ جنيهه مصرى على مصروفاته في هذا العام .

وفي ٢٩ نوفمبر كتب امين بك مرة أخرى الى الطبيب شوينفورث يخبره أن الأحوال سائرة سيرا رديئا في بحر الغزال حيث قسم المديرية الشمالى برمته قد نشبت فيه مخالب الثورة وانبث في أرجائه روح التمرد . وان لبتون بك فقد في الحرب التي أدار رحاها على الشوار العدد الأكبر من زهرة جنوده الذين لم يكن عددهم من قبل وافرا وفرة كبيرة . وأن الدناقلة ينشطون للاتصال بالمهدين في كردفان . وان الرقيق يباع بالآثمان الآتية وهى : الصبي الواحد يباع بـ ٣ دست ظروف جبخانة و الخمس البنات يبعن ببندقية واحدة من طراز رمنجتون .

تقرير بموارد مديرية خط الاستواء

وكتب أمين بك في هذا العام مذكرة عن موارد حكمداريته وهذه نسخة منها :

« لقد تحقق أن أهم موارد ميزانية السودان هو العاج . وأن الذى يرد منه من المنطقة الجافة والجبلية الواقعة شرقى النيل هو أصلب أنواعه ولذلك هو أغلاه ثمنا وأكثره طلبا . وفى عهد غوردون تقررت ملكية الحكومة لهذا الصنف بجملته مع أن تجارته ظلت حرة فى بلدى أوغندة و الاونيورو وغيرهما . ولهذا السبب بات وجود أى مشروع خاص يرمى الى استغلال هذه المادة مستحيلا . وبما أن هواة العاج من العرب والأوربيين لم يتعودوا الى الآن الحجب بأنفسهم ليمتاروا منه حاجاتهم من مصادره فقد انحصر انتاج السودان فيما يورده الاهالى من قناصى القبيلة ولذا ثمنا وكثر هذا الحيوان فى جميع أنحاء مديرية خط الاستواء بالذات بحيث اضحى فى كثير من الاماكن كارثة حقيقية . أما فى قسم بحر الغزال الشمالى فقليل الوجود .

« والسبب فى استمرار وفرة المروض من العاج للتجارة يرجع الى أن البلاد الممتدة لشرق الجنوب والغرب بعد الحدود المصرية بمسافة كبيرة ضرب عليها جزية توردها من هذا الصنف ومع هذا فقد لوحظ وجود نقص محسوس فى كميته منذ بضع سنوات .

« وتورد مديرية خط الاستواء سنويا زهاء ١٢٠٠ قنطار من العاج يبلغ ثمنها ٣٠٠٠٠ فرنك . ومن الصعب تحديد الكمية التى توردها مديرية

بحر الغزال وما ذلك إلا لأن العاج الذى يصدر الآن الى الخرطوم لا يحتوى على الانتاج الحقيقى فحسب بل يشمل المقادير المتكدسة منه من زمن مديد وهو العاج الذى كان أصحاب الزرابى قد جمعوه فى الزمن السابق مثل الزير باشا و على عمورى وغيرهما .

« ومع ذلك فقد يعرض المرء نفسه لخطر الوقوع فى الخطأ لو قصد الحكم على قوة انتاج البلد مرتكنا على محصول العاج دون سواه . أما مصروفات الادارة فبأهظة وستزداد مع توالى اتساع الأراضى . وطريقة الاحتكار الضارة التى يئن تحت أثقالها حوض البحر الأبيض بأكمله هى عقبة كأداء فى طريق الاستعمار وبالتالي فى سبيل زيادة الإيرادات من وراء الضرائب على التجارة أو الزراعة . وسيأتى بلا ريب يوم قريب لا يقوم فيه العاج بالمصروفات التى ستكون هى الأخرى قد اخذت دورها فى الازدياد .

« ويتكون من اسنان فرس البحر و الكركدن مادة لا تقدر لها قيمة كبيرة إلا أنه سيأتى يوم غير بعيد يزداد فيه ثمنها وفى استطاعة مديرية خط الاستواء أن تورد من تلك المادة مقادير كبيرة إذا وجد لها مشتر .

« وإذا كان النعام يندر وجوده غرب بحر الجبل لوجود الغابات ويوجد شرقه بأسراب عديدة ابتداء من لاوكا فقد لا يراه الانسان يتناسل بكثرة أكبر من التى يراه بها فى رمال سهول لانجو . ويبادل أهالى هذه المنطقة الأقوام الرحل الضارين بجوارهم ريشه بجديد . وكثيرا ما يرى الانسان فى القرى الكبيرة البعيدة الواقعة فى الجنوب الشرقى زرائب

للنعام يسرح فيها صباحا ليرعى ثم يرجع في العشى مع الحمير والثيران .

« ولا يقل ريش نعام تلك المنطقة عن أحسن ريش للنعام في كردفان بهاء وجمالا وقد يصح اتخاذه مصدرا لتجارة واسعة النطاق . وفي عام ١٨٨١ م أى منذ عامين جربت تربيته في المحطات غير ان هذه التربية لم تأت بثمره عظيمة الى الآن ويمكن أن يعزى السبب في ذلك الى صغر سن أفراخه الذى يحول دون استعمالها للتناسل وهذه التجارب تستوجب على كل حال لفت النظر لأن ثمن صغار النعام زهيد للغاية وتربيتها تدرك بسهولة كبرى بحيث أن استغلال مشروع من هذا النوع لا يستلزم رؤوس أموال طائلة ومن جهة أخرى يأتى بفوائد مرضية .

« ولا حاجة للكلام بصدد تشجيع تربية النحل فى المناطق المأهولة بالزنج لأن النحل يتربى هناك وحده بدون أية عناية . فالأهالى يكتفون بتعليق سلال فى الأشجار وهذه السلال إما أن تكون مجدولة كما يفعل الدنكاويون و المكراكاويون أو مصنوعة من قشور الأشجار كما يفعل سكان الجنوب . ومن المعتاد تعليق سلة واحدة فى كل شجرة وقد يعلقون مع ذلك فى بعض الأحيان عدة سلال . والمهم أن تكون السلال متفرقة عن بعضها فلا توضع الواحدة منها بجانب الأخرى . ويطيب النحل نفسا بالمأوى الذى عرض عليه ويأخذ على عاتقه تأدية وظيفته . وحالما تمتلئ سلة يطرد منها النحل باطلاق الدخان عليه ثم يجنى الشهد وتختلف أنواع هذا الشهد باختلاف النواحي التى يصدر منها واختلاف طرق تحضيره . فشهد دنكا ومكراكا قاتم اللون حتى يكاد يكون اسود والسبب فى ذلك انه يصفى بواسطة النار . وأجوده ما تصدره البلاد الجبلية فهذا يكون

طيب الرائحة كثيرا ورائقا كالماء .

« أما الشمع فلا يستعمل في شيء وكل ما في الأمر أنهم يتخذون منه مشاعل وهذا في القليل النادر . وبما تقع عيني على واحد من الأهل يأكل منه بل كل ما هناك أنه يلقي في الأرض بعد استخراج الشهد منه . وقد استودعت في ظروف كثيرة بالحاظن أكياس منه فتفتت واستحل نفعها وصيرتها الديدان غير صالحة لأي شيء ولو كان مسموحا للتجار شراء الشمع لكانت الحكومة هي أول من انتفع من هذا الشراء .

« وقد تكفى جلود الثيران التي ينجرها الجيش وحده تغذية سوق الخرطوم . وبضم جلود ما يستهلكه الأهالي من هذا الحيوان لها وكذلك جلود الضأن والمعز التي لا يستفاد منها شيء ، يتكون من مجموع ذلك كمية هائلة . على أن تكاليف النقل قد تزيد في ثمن الجلود الأصلي زيادة محسوسة غير أني أرى أنه في حيز الاستطاعة للتخص من جزء منها وذلك بدفع الجلود في أماكن تصديرها . وقام توجد بلاد تضارع افريقية الوسطى في غناها بمواد الدباغة . ولا شك أنه لو عملت تجارب لعادت من ورائها ارباح طائلة . وتستعمل أكثر الجلود في الوقت الحاضر لحزم البضائع بحجة ان هذا الصنف لا يجد تصريفا في الخرطوم .

« ولا شيء أسهل من الحصول على جلود الجاموس والأوعال والزرافى وحيث انه لا يوجد لها طالب بتاتا فتستعمل في نفس البلد لعمل الاحذية والقرب وغيرها وكذلك الحال في جلود الكركدن إذ تستعمل لصنع السيور والسياط « الكرايبيج » .

« أما الفراء فلا يخطر على بال انسان هنا أنه من المستطاع جنى أية فائدة منها . وبصرف النظر عن الكلام بصدد الحيوانات المفترسة الكبيرة كالأسد والنمر والسباع الأخرى فإنه يوجد في سائر المنطقة كميات لا عداد لها من الحيوانات الأقل من الأولى حجما مثل النمس والسنور وغيرهما من الحيوانات ذات الجلود الثمينة . ولا بد أن اذكر بنوع أخص ضربا من كلاب الماء يسمى لوتر Loutre وهو كثير الوجود في جميع مجارى المياه الكبيرة وجلده ينافس في النعومة والجمل جلد أحسن نوع من هذه الكلاب يسمى كاستر Castor . ولا يمكن غض النظر عن الكلام عن بعض أنواع القردة مثل كولوبوس كويريزا Le Colobus Quereza والأوعال المختلفة المبرقشة مثل تراجيلافوس اسكربتوس Le Tragelaphus Scriptus و السيلافوس بوباليس L'Alcelaphus Bubalis و الزرافة و حمار الوحش . وليكون بيكتوس Le Lycaon Pictus وكل هذه الجلود قد يبيعها الأهالى بثمان بخس ويوردون منها كميات لا عداد لها وأضف الى ما ذكر الخراف والماعز ذوات الشعر المستطيل التي ترد من نواحي امسوجا Msoga وبلاد اللوريين وهي تشبه معيز أنقرة .

« وقد تستطيع قطعان الشيران الهائلة التي ترعى في المناطق الجنوبية أن تغذى اسواقا واسعة للحيوانات المعدة للذبح اذا كانت الأهالى لا يبدون اشمزازا ظاهرا من بيع دوابهم . أما حالة مديرية بحر الغزال فقد يعد فيه المالك لبقرة واحدة من أسعد السعداء . والماعز والضأن في ذلك المركز قليل الانتاج . وقد أضحت الغارات منذ أربع سنوات مستحيلة الوقوع في خط الاستواء بالذات . ولقد يجنى المرء بلا جدال فوائد هجمة من

وراء تربية المواشى فى أرجائه اذا أحسن تربيتها .

« ومما يستحق الذكر الحمار والجمال . ويوجد هذان النوعان فى الشرق والجنوب الشرقى . وفى حيازة كل قرية من قرى عموم قسم اللانجو Lango الواسع الأرجاء والممتد من عكارا Accara الى طوركانى Tourcani قطعان كثيرة من الحمر لا ينتفع أربابها منها بغير لبن إنائها . ولم يخطر ببال انسان من سكان هذا القسم المفتحة سبله فى وجوهنا أن يستفيد من هذه الحمير بعمل ما . وحمير لادو متوسطة القدود وأرجلها بيضاء وبأكتافها شيات سوداء . وقد صار اختبارها فأسفرت التجربة عن صلابة عودها صلابة لا بأس بها وصبرها على المشاق متى كان هنالك اعتناء بها . ولقد بوشرت تربيتها فى مديرية خط الاستواء ابتغاء تصديرها الى بحر الغزال حيث تباع بأثمان بخسة .

« ويؤدى الجمال نفس عمل الحمير فى شمال هذه المنطقة عند أهالى الجالا Galla الغربيين . وليس من النادر ان تقع العين هناك على قطعان يحتوى القطيع منها على ٥٠٠ الى ٦٠٠ رأس من الجمال . والعبرة عند أولئك الأقوام بالالبان لا بنفس الحيوان . نعم ان الاراضى الرملية المترامية الاطراف ذات الاشجار الضئيلة والآبار المملحة الواقعة فى ذلك النيج صالحة صلاحا تاما لمعيشة الجمال إلا أن القليل النادر فقط من العدد الذى أحضرته منها الى الرجاف ظل محتفظا بخواصه .

« ولقد حاولت من زمن بعيد أن أدلل على المنافع التى ينتظر أن تجنى من وراء تعويد الجاموس الأليف مناخ البلد إلا أنى لم أتوصل الى الآن لأن اظفر بواحدة منه مع أن شوارع الخرطوم لا تخلو من وجوده .

ويوجد لدينا كل ما يلزم لفلاحة ونموه تحت سماء إقليمنا من حر وماء وطين ومراع أعشابها مرة المذاق . ومن جهة أخرى فإن هذا الحيوان المسخر لا تتطلب تربيته إلا الشيء التافه جدا ولا يستطيع المرء ان يتصور وجود حيوان مسخر للخدمة أوفى منه بحاجة اناس . ران على طبيعتهم الكسل وتأصل في نفوسهم كالأمة السودانية . وعلاوة على ذلك لو وجد الجاموس لكان للاهالى من ألبانه غذاء فاخر .

« ان تجارة الحيوانات البرية الحية قد انتشرت بسرعة على سواحل افريقية بواسطة سهولة النقل ومع هذا لا يخطر على بال بشر أن لدينا هنا من الحيوانات ثروة لا يستهان بها . وما علينا إلا أن ننظم الملاحة لغاية الخرطوم وهنالك لا تلبث الأسواق الخاصة بالحيوانات أن تجد من حيواناتنا الأهلية أنواعا عديدة مختلفة . وطلبت هذه الأسواق وحدها كافية لأن تبعث في هذه التجارة الخصوصية الروح والحركة .

« ومن الجبوب التي تزرع هنا بكميات كبيرة الذرة والطلابون والدخن والسمسم . ومن الصعب تحديد مقادير حاصلات هذه الأصناف في مديرية خط الاستواء بالأرقام حتى بوجه التقريب . غير انه لو أطلق الانسان لنفسه عنان التفكير في أمر هذه الجبوب التي هى أساس التغذية في منطقة تمتد لغاية الدرجة الثانية من خطوط العرض الشمالية بل وكثيرا جدا ما تقوم بجميع التغذية ورأى المقادير الكبيرة التي تؤخذ منها لعمل المريسة وهى الجمعة الأهلية وعين الأضرار الجملة التي تحدثها عشرات الالوف من العصافير والطيور والقطعان التي لا عداد لها ، لاقتنع بجسامتها .

« ومن رأيي ان تصديرها قد يعود بفوائد وإن كانت الأثمان التي تباع بها بخسة . ومن الممكن على كل حال استعمال الجبوب للتقطير في كل وقت وزمن . ولا بد من التصريح بأن الأهالي تلهم مع تمام الارتياح كميات الكحول الهائلة التي ترسلها مصر سنويا باسم عرقى ومشروبات روحية وغير ذلك .

« ولماذا لا تقطر الجبوب في محال مصادرها بالذات ؟

« ان بعض التجارب التي أقدمنا عليها لم تأت إلا بمحصول درجته منخفضة كثيرا . ومما لا ريب فيه اننا يمكننا الوصول الى انتاج أحسن إذا أحسنا وسائل التقطير . وتجود الذرة التي يستخرج منها الكحول الفاخر تحت سمائنا جودة عجيبة وتزداد المساحات التي تزرع فيها مع توالي السنين . ويزرع علاوة على هذا الحب أنواع متنوعة من الفاكهة والنباتات التي يجذورها غدد كالبطاطس .

« ولقد تيسر للسير صمويل بيكر استخراج الكحول من البطاطا ويتعاطى الزنباريون المقيمون في أوغندة بكثرة نوع العرقى المصنوع من الموز . وكل أنواع هذه المشروبات لها طعم يوافق أذواقهم وخدم وهو في الحقيقة طعم غير مقبول ويمكن أن يعزى ذلك الى عدم اتقان الطرق التي تستعمل في تقطيره .

« وظلت تجربة زراعة الحنطة للآن غير مجدية . أما الأرز فقد أتى على خلاف ذلك بمحصول عـوض على مزارعيه أتعابهم تعويضا كبيرا . وفي عام ١٨٧٨ م تلقيت من أحد العرب في أوغندة رسالة صغيرة من الأرز

فاستعملتها في الزراعة للتجربة فأنت بنوع لا بأس به إلا ان حبه صغيرة ولونه ضارب للحمرة . وجربت بعد ذلك بذرة وردت من ديار مصر والأرز الذي نحصد اليوم لا يقل عن الارز الذي يزرع في الوجه البحري في شيء . وتنحصر بالطبع الزراعة في حقول المحطات لأن الشعوب السوداء لا تصبو أنفسهم الى شيء من ذلك مطلقا . وترضى هذه الأمم التي لم تزل على الفطرة الأولية بما كان عليه آباؤها وينبغي على الولد أن يقتنع بالحالة التي وجد عليها أجداده . واذا كان من النادر أن يرى الانسان زنجيا يربي عصفورا أو حيوانا من الحيوانات ذات الضرع فمن الإندر أن يراه مشغلا بزراعة الأشجار أو الحدائق .

« وفي مقدمة المواد الدسمة التي تستخرج من النبات الشيرج لكثرة ما يستخرج منه ومع ذلك يضيع منه تماما الثلث لفساد الطريقة المتبعة في استخراجها وينتفع به انتفاعا كبيرا وهو جديد ومتى أزمّن ينعقد ويكتسب طعما خاصا يذكر متعاطيه بطعم الفاكة .

« ويأتي بعده زيت الفول السوداني وهو أفضل كثيرا من الأول رائق اللون صافي المادة ويبقى زمنا طويلا حافظا جدته بدون أن يتطرق اليه الفساد وليس له رائحة أصلا وهو أحسن الزيوت المعدة للطعام . وتنشر زراعة الفول السوداني انتشارا كبيرا في سهول بلاد الدنكا الرملية الفيحاء بالاختص . ويكثر أيضا من زرعه أهالي بلاد السنده Le Sandeh و ممبتو وتمتد زراعته بالتدرج في شرق دوفيليه حيث الارض تصلح لنموه صلاحا كبيرا . وبما ان استخراج هذا الزيت يلقى صعوبة أكثر مما يلاقيه استخراج زيت السمسم فقد أتى محصوله بكميات أقل كثيرا مما ينبغي ان

يكون بالقياس الى وفرة مادة الزيت التي في الفول السوداني .
وأذكر بصدد الفول السوداني أمرا فيه شيء كثير من الغرابة . ذلك ان هذا
النوع وان كان بوجه عام مطلوبا ومستعملا حتى ان الحيوانات نفسها
تبدش عليه وتستخرجه من بطن الأرض لتستلذ بمأكله إلا انه مشهور
في بعض النواحي بأنه ضار بالصحة ولذا لا يعتبرونه من المواد الصالحة
للتغذية .

« ويستخرج من النبات المعروف باسم « ايبتييس سينيجيرا »
Hyptis Spicigera زيت لا بأس به ولذلك يزرع في كثير من الجهات
وهكذا الشأن في نوع من القرع صغير يقال له أمبريكة *Ombreké* يزرع
في مكرাকা ويستخرج من بذوره زيت طيب للأكل .

« ولا ينبغي أن يفوتنا ذكر الشجر المسمى « الاليس جينييسيس »
Elais Guiheansis . وزراعة هذا الشجر عامة في الجنوب الغربي من أراضي
خط الاستواء . وثمره يستخرج منه زيت غزير . ويظهر انه يوجد شمالا
على مسافة أبعد في المناطق الغربية . وعثر لبتون بك على كميات كبيرة منه
عند الدرجة السادسة والدقيقة ٤٢ من خطوط العرض الشمالى والدرجة ٢٥
والدقيقة ٢٠ من خطوط الطول الشرقي من جرينوتش . وقد يمكن
الاستفادة من زراعة « الاليس » وهأنذا في انتظار البذور الموعود بها بفارغ
الصبر .

« فجميع هذه النباتات يستخرج منها زيوت سائلة . وهناك شجرتان
تأتيان بدهن متجمد عندما تكون حالة الجو معتدلة وهما : ستيريوسپرموم
Le Steroespermum و باسيا پاركي *Le Bassi Parkū* . ولا ينتفع الزوج

أنفسهم بدهن الشجرة الاولى إلا في التدليك وذلك بسبب رائحته . أما تمر الباسيا الذى هو أشبه الأشياء بأبى فروة فيصنع منه دهن مليح للأكل وان كان مذاقه يشم منه رائحة الدخان . وزراعته منتشرة لهذا السبب لدرجة هائلة وقد رأيت من هذه الشجرة غابات مترامية الأطراف في الجنوب الغربى .

« والعينة التى بعثت بها الى الخرطوم لتجربتها في صنع الصابون نجحت نجاحا مبينا ولذلك طلب منها مقادير كبيرة . وبما أن كميات الصابون التى تستهلك في السودان ترد جميعها من ديار مصر فأرى ان نشر صناعته هنا يأتى بفائدة . ونظرا لعدم الثور للآن على مورد للصودا في السودان فمن اللازم استيراد هذه المادة من مصر غير ان ثمن هذا الصنف زهيد لدرجة ان دفعه للخارج لا يكون مانعا ذا أهمية في سبيل هذه الصناعة .

« وفي الامكان جمع مقادير من الصمغ العربى من غابات شجر اللبخ غير انه يلزمنى بمناسبة ذكر هذا النوع من المحصول أن أجعل في المقدمة الكلام على المطاط وما ذلك إلا لأن النباتات التى ينتج منها وهى الكاربودينوس دوليسيس Le Carpodinos Dulcis و الكاربودينوس أسيدوس Le Carpodinos Acidus منتشرة في جميع الانحاء جنوب الدرجة الثامنة من العرض الشمالى وبالاخص بجوار مجارى المياه حيث تكسو احراش بأسرها التلاع . وقرر تجار الخرطوم الذين أرسلت اليهم عينات انها من النوع الجيد وذلك رغما عما بها من العيب لاحتوائها على جانب من الماء . وهذا أمر يسهل علاجه لأن ذلك العيب ناشئ من استعمال الماء الساخن ابتغاء سرعة

تجمد المادة ولا تتطلب المسألة شيئا أكثر من الالتجاء الى طريقة صنع أحسن من الأولى ويقبل الزوج على جمعه مع الارتياح عندما يوعدون بأجرة ضئيلة . وكثرة أشجار هذه المادة كثرة هائلة كفيلا بجنى محصول جيد مدى سنين عديدة . ولا بد أن تمس الحاجة بعد قليل الى تجديد الزراعة اذا امتدت تجارته وراجت . والمنطقة التي تورد المطاط في الوقت الحاضر بكثرة ممبتو على ان الصنف الذي يرد منها أوطى من الذي يأتي من مناطق الدنكا الجافة إذ ان هذا يكون تام النقاوة وليست له رائحة .

« ويوجد غير ذلك أنواع كثيرة من المواد اللزجة - البعض منها عطري الرائحة - والاستفادة منها ننتظر تحليلها تحليلا كيميائيا لتعيين استعمالها وقيمتها .

« ويكثر وجود التمرهندي وغلته جيدة وشحمه أقل حموضة من تمرهندي دارفور ومن ثم كان طعمه مقبولا أكثر منه . وقصب السكر يكثر وجوده جهة الجنوب في بلاد أوغندة ويزرع في سائر المحطات ويوجد في جميع الاماكن التي يجـد فيها ربا كافيا . ويوجد القطن في جهات متعددة بأشكال خاصة ففي بلاد الباريين مثلا يزرعون نوعا يقال له جوسيبيوم *Gossypium* وهذا تبقى بذرته خضراء عند النضج ويثمر قطنا فتلته طويلة ناعمة كالحرير . وبفضل بعض الدناقلة الذين صنعوا أنوالا يتعيش في الوقت الحاضر عدد كبير من الناس من نسج الدامور وهو نوع من الانسجة القطنية ملائم لمناخ اقليم السودان .

« ومما يستحق الذكر بطريقة أخص تبغ الاونيورو و لاتوكا . ومحصوله يرتبط طبعاً باستهلاكه غير انه لا شيء أسهل من توسعة زراعته وانتشارها

لدرجة عظيمة .

« ويوجد البن بمقادير وافرة في أوغندة حيث لا يخطر بـفكر انسان تصديره . وينبغي تجربة زراعته في مراكننا الجبلية . وزراعة جوز الطيب عامة في ناحية الجنوب وبالاخص في ممبتو . وقد يعثر عالم نباتى بسهولة على كثير من النباتات الاخرى لها قيمة تجارية . وهكذا يكون لدينا مجموعة كاملة من مواد النسيج ومجموعة من مواد التلوين وغير ذلك من مختلف المجاميع . فأماننا ميدان رحب فسيح مفتوح الابواب للتجارة والصناعة وبالاخص في الجنوب ومن المرغوب فيه مراعاة لمصلحة نفس البلد الاستفادة من مختلف الخيرات التى أودعها الله فيه بوفرة عظيمة .

« وأينما ذهب المرء يجد الكثير من الحديد الجيد . ومتى ذاب وسوته يد الصانع فى البلد نفسه انقلب أداة نافعة فيكثر طلبها خصوصا فى الشمال والغرب حيث أسنة الحراب والسهام الرديئة الصنع تقوم مقام الدراهم ويستعان بها مع الثيران فى مشترى النساء .

« ويقيم أمهر الحدادين فى ديار ممبتو ومكراكا والبعض منهم نال فى هذه الصناعة شهرة فائقة .

« ولا أعلم بوجود معادن اخرى لغاية الوقت الحاضر إلا ان هذا لا يفيد انه لا يوجد غير هذا المعدن . وأظن ان مديرية خط الاستواء تحمل فى بطنها من أنواع المعادن كنوزا خافية عن ابصار جميع العالم . » اه

١ — ملحق سنة ١٨٨٣ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء^(١)

القسم الخامس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

كان جونكر كما ذكرنا في الملحق الأول للسنة الماضية قد شخص الى مديرية بحر الغزال ليقوم بزيارات في بعض أقسامها وأقام بها لغاية شهر نوفمبر من العام الحالى . وبما انه قضى كل هذه المدة بعيدا عن مديرية خط الاستواء وهذا التاريخ خاص بمحادثات هذه المديرية الاخيرة فقط فقد ضربنا صفحا عن ذكر ما وقع في هذه الفترة .

وكان يبلغ جونكر وهو يؤدي زيارته تقدم ثورة المهدي المقلقة الرهيبة . ولما رأى ان المسألة قد دخلت في دور جدى وأمست مديرية بحر الغزال برمتها تتأجج فيها نيران الثورة جمع رأيه على أن ينقلب راجعا الى مديرية خط الاستواء حيث كانت الحالة اكثر سكونا وهدوءا وكانت الأميال أكثر جنوحا لفكرة بقاء سلطة الحكومة ثابتة للسبب الآتى وهو ان قوات الحكومة التى فى بحر الغزال كانت أغليتها العظمى مؤلفة من الدناقلة

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات فى افريقية » للطبيب جونكر .

والعرب وهؤلاء هم من نفس جنس الثوار المهديين ولذلك اشتركوا مع العصاة من وقت ما بزغ فجر الثورة وبدا روح التمرد . بينما قوة خط الاستواء كانت برمتها تقريبا مؤلفة من الجنود السودانية النظامية وهؤلاء لا يشعرون بعاطفة ميل للعصاة فحسب بل يشنّونهم لانه قد بلغهم ان المهديين عندما يأخذونهم أسارى يبيعون في أغلب الأحوال نساءهم وأولادهم بصفة أرقاء . ولهذا رأينا هذه الجنود ذاتها بعد سفر امين باشا برفقة استانلى يأتقون الانضمام الى المهديين وينسحبون الى قرب بحيرة البرت نيازا . وهناك ظلوا مقيمين إلى ان أتى اليوزباشى لوجارد Lugard وجندهم في خدمة الشركة الانكليزية الشرقية الافريقية British East African Company . وهذا هو السبب في ان مديرية خط الاستواء ظلت محافظة على سلطة الحكومة من بين سائر مديريات السودان الى النهاية وقاومت ثورة المهديين .

وفي ١٢ نوفمبر أخذ جونكر في السير وفي أثناء الطريق تلقى الاخبار الآتية عن الحوادث التي وقعت في بلدة ممبتو في ايام غيبته وهي :—

عندما انهزم مامبانجا وطرد من بلده اتخذ له مشوى بيلد رئيس آخر يقال له أنجبا . ومن هذه البلدة دخل في مفاوضة سرية مع حواش افندى بقصد تحريض هذا على أنجبا ليحل هو محله . ولما كان حواش افندى يريد ان يتخلص من جميع الرؤساء الذين كانوا يضايقونه اتفق مع مامبانجا وحمل على أنجبا وحليفه جبارى و نيانجارا فأسرهم وبعثهم الى تنجازى ونصب مامبانجا في مركزهم . وحالما بلغت أنباء هذه الحوادث مسامع امين بك استدعى حواش افندى ووظف عوضا عنه البكباشى ريجان افندى ، وهو ضابط سودانى لبث مدة طويلة مأمورا في مكراكا ، وأرجع

في الوقت ذاته أُنجا الى محله .

وكان امين بك قد رجع في ١٤ يولييه سنة ١٨٨٢ م من الخرطوم الى لادو بعد غياب أربعة أشهر . وفي ٦ مايو سنة ١٨٨٣ كتب الى جونكر بأنه أرجع أُنجا الذي انتزعه حواش افندى من مركزه حسبما سوت له نفسه لا لداع آخر وانه استدعى مامبانجا للحضور بطرفه في لادو وانه ينوى ارساله الى الخرطوم . وانه عين ابراهيم افندى جورجورو مأمورا في مكركا . وان بنيت بك أرسل الى الخرطوم مع آخر باخرة .

ويقول جونكر هنا انه دهش لما علم ان امين بك عين ابراهيم افندى جورجورو في ذلك المركز الهام لأن ابراهيم افندى هذا لم يكن إلا رجلا نوبيا منافقا يلعب لأمين بك وللمهدين على السواء . ولما أغار هؤلاء فيما بعد على مديرية خط الاستواء كان هو أول من انخرط في صفوفهم وانضم الى جموعهم . هذا فضلا عن ان تعيينه بعث استياء في نفوس الضباط .

وفي ٣ يولييه تلقى جونكر خطابا من امين بك صادرا من تنجازي حيث كان هذا الاخير قد انتقل يقول فيه ان مامبانجا قدم لزيارته وانه منحه شيئا من الهدايا ورجع الى اهله مسرورا . اما جبباري فيرى انه من المتآمرين على الحكومة وان دوره سوف يأتي .

وفي ٢٠ سبتمبر كتب له امين بك من لادو يقول انه لم يستطع لسوء الحظ ان يعامل اهالي ممبتو معاملة شفقة ورحمة وانه يظن ان جونكر علم بموت مامبانجا الذي كان يعتبره مصدر خطر على جميع الناحية وانه قد يحتمل أن

يأتى دور جبارى أيضا .

وعلم جونكر فيما بعد ان مامبانجا قتل فى الواقع ونفس الأمر بناء على أمر أمين بك فأسف لذلك أسفا شديدا لأنه كان يؤكد دوما لرؤساء الزنوج ان من صفات المدير العام الشفقة والرحمة . أما الآن فقد حل فى قلبه الندم وأخذت تساوره الظنون بأن أولئك الرؤساء ربما اتهموه بأنه عمل على خداعهم . وعزا جونكر كل هذه الامور الى تأثير ابراهيم افندى جورجورو المشئوم على أمين بك .

وفى ١٥ ديسمبر تناول وهو سائر فى الطريق حزمة كبيرة بها جرائد ومراسلات أتت الى لادو مع الباخرة الاسماعيلية فسر لذلك سرورا عظيما . ولم يصل جونكر الى حدود مديرية خط الاستواء إلا فى آخر السنة . ولهذا الرحلة تنمة نذكرها فى الملحق الأول للسنة القادمة .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٣ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء

القسم الرابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى لادو

انقضت أوائل عام ١٨٨٣ م فى الريادة . وفى ٢٠ مارس عاد كازاتى الى واندى واستقبله فيها المأمور ابراهيم افندى جورجورو وأبلغ خبر قدومه الى أمين بك . وبعد عدة أيام ورد من أميين بك كتاب الى كازاتى ينبئ فيه بوصول الباخرة تلخوين من الخرطوم ويدعوه للتقدم الى لادو . وفى الحال قام وولى وجهه شطرها فدخلها فى آخر الشهر .

وكانت الاخبار التى حملتها الباخرة غير سارة فهى جميعها تتعلق بالحوادث التى وقعت عام ١٨٨٢ م من ثورة عرابى فضرب مدينة الاسكندرية الى واقعة التل الكبير وما وليها مضافا الى جميع ذلك المسائل الجارية فى السودان فى الوقت الحاضر بسبب الثورة المهدية . وكل هذه الاحوال لا تدعو بطبيعة الحال الى جلب الطمأنينة الى النفوس ولا تدعو الى التفاؤل بحسن المستقبل .

سفره مع المدير العام الى نهير دونجو
وإقامة محطتين هناك

وفي ١٤ أبريل في الساعة العاشرة صباحا رفع العلم في لادو لإيدانا بسفر
الباخرة الى الخرطوم وسافرت بالفعل .

وفي ٢ مايو غادر كازاتي لادو وكان معه هذه المرة أمين بك . وكانت
وجهة الاخير ممبتو . واتخذوا سبيلهما في هذه الرحلة عن طريق واندی
ومدير في Mdirfi لبلوغ تانديا Tandia حيث ترك المدير العام حامية مؤلفة من
العساكر غير النظامية . وذهب فيما بعد الى نهير دونجو Doungou وهناك أقام
على ضفافه محطتين وأطلق على إحداهما اسم موندو Moundou وعلى الثانية
دوندو Doundou .

واقترقا في هذه المحطة الأخيرة فذهب أمين بك الى تنجازي حيث عاقب
الرئيسين مامانجا و باجوينديه Baguindé بالاعدام . وأخذ يستعد لارتياذ ناحية
أخرى في اتجاه وادلای وعندئذ علم بقيام ثورة بين زنوج رول فاضطر أن ينتقل
راجعا الى لادو عاصمة مديريته . أما كازاتي فذهب هو الآخر وقضى بقية عام
١٨٨٣ م في الارتياذ .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها في الملحق الثاني للعام القادم .

سنة ١٨٨٤ م

من

حكمدارية أمين باشا

اتحاده ثورتى رول و الماتويين

كان أمين بك قد دعا الطيب جونكر فى آخر عام ١٨٨٣ م للحضور الى لادو فأجاب الدعوة فرحاً مسروراً . ولما علم أنه قادم فى الطريق كتب له خطاباً بتاريخ ٥ يناير سنة ١٨٨٤ يعرب له فيه عما سيناله من الغبطة والابتهاج برؤيته ويخبره بأنه كتب الى سائر رؤساء المحطات ليمده رئيس كل محطة يمر منها بجميع لوازمه وأنه كتب كذلك الى سالم افندى بأن يقدم له بغلته عندما يصل الى واندى ليقطع على ظهرها المسافة إلى محطة لادو .

وفى ٢١ يناير وصل جونكر الى هذه المحطة . وذهب أمين بك لمقابلته فى « اونچاتى » Unjati الواقعة على مرحلة ساعتين منها وبمعيته فيتا حسان واحمد افندى محمود وسكرتيه وستة من الجنود . وبعد تقديم التحية المعتادة دخل الجميع الى لادو حيث أقام جونكر بصفة زيل المدير العام .

وعندما استقر بهم المقام فيها طلب أمين بك من جونكر ان

لا يقابل حواش افندى لأنه كان متأثراً منه . غير أن جونكر كانت راسخة بفكره الخدمات الجلّى التي أداها له حواش افندى في ممبتو ولذا لم يشارك أميناً بك في رأيه هذا بل بذل جهده في الدفاع عن حواش افندى بهمة لا تعرف الكلال وانتهى الأمر بأن رده أمين بك الى وظيفته .

وفي أبريل سافر فيتا حسان من لادو الى المحطات الجنوبية ليتفقد احوال المرضى . ومر بمحطة الرجاف ، وبيدن ، وكري ، وموجي ، وخور أجو Khôr Aju ، ولابوريه ، ودوفيليه ، ووادلاي وقضى شهراً تقريباً في هذه الرحلة . وعندما وصل الى دوفيليه وهو في طريق الرجوع الى لادو وجد حواش افندى وكان قد رجع الى وظيفته في مدة غيبته وأخذ في اخلاء المحطات التابعة لمركزى فادييك وفويرا . وهذان المركزان كانا بعيدين كثيراً عن قاعدة المديرية ولم يكن بهما سوى حاميات ضعيفة .

ولما كانت الحالة قد تفاقمت في السودان رأى أن من اللازم جمع شتيت الجنود المبعثرة في المراكز البعيدة عن قاعدة المديرية حتى يمكن تدارك ما قد يمكن أن تلده الأيام من الحوادث .

وما كادت الثورة التي شبت نيرانها في رول تنطفئ ويتقرر امداد شمبي حتى قامت ثورة قبيلة الماتويين Metus في مركز دوفيليه . وخوفاً من اضعاف قوات المديرية وتشيتها وقبل أن تمتد الثورة ويتصل لحيها بمكراكا استدعى أمين بك من الشمال حملة ابراهيم افندى جورجورو وأمره أن يبعث بخمسين رجلاً لنجدة دوفيليه . وكانت هذه المحطة محصنة

تحصينا قويا ولذا أخذت الثورة قبل أن يندلع لحيها وتنتشر وألقى القبض على واديترا Wad Tira شيخ الماتويين وأرسل الى لادو .

قيام الثورات في كثير من الجهات والعمل على إخمادها

ولدى إياب فيتا حسان الى لادو وجد الحالة تفاقمت تفاقما مدهشا . ولما كانت المواصلات مع الخرطوم قد انقطعت منذ أكثر من سنة والأخبار التي وردت مع آخر باخرة وصلت كانت سيئة جدا ابتداء القنوط واليأس يدب في نفوس الجنود وأخذ هؤلاء يتذمرون . وكان أمين بك في أثناء ذلك يشدد عزائمهم ويهدى روعهم . ومما زاد الحالة سوءا على سوء تمرد مادي فاتيكو و فالورو وقيامهم لمحاربة محطة فاتيكو وهذا بصرف النظر عن شمبي و بور اللتين لم يرد منهما خبر ما الى ذلك الوقت .

وبينما كانت الجنود مشغلة باخماد هذه الثورات إذ ورد لأمين بك قبيل منتصف شهر مايو نبأ من لبتون بك فخواه ان المهديين وعددهم زهاء ٣٠٠٠٠ رجل بقيادة « نور عنقره » وصلوا الى مسافة بعض مراحل من محل اقامته وانه يرى ان الموقف أصبح دقيقا للغاية . وقال علاوة على ما ذكر ان لديه نحو ١٢٠٠ رجل مسلحين بأسلحة رمنجتون وما يكفيه من المؤونة و ٤٠٠٠ اردب من الذرة . وان المحطة محصنة تحصينا شديدا وان الجنود أقسموا أن يقاتلوا الى أن تلفظ آخر نسمة . ومن ضمن ما قاله أيضا انه يضع نفسه تحت تصرف أمين بك إذا كلفه بأمر من الامور . وبين في خاتمة خطابه عنوان أسرته في لندرة وطالب منه أن يكتب لها بالعنوان المذكور اذا حانت منيته وخر صريعا .

وما كان أحد من الذين في لادو يشارك لبتون بك في غروره هذا . وفي الواقع كانت الجنود الذين يعتمد عليهم مؤلفين من الخطرية فقط أى من عرب يشتركون هم والمهديون في الجنس والدين شيمتهم نكث العهود وديدهم الخيانة والنهب . وكان لا يخامر أحدا الشك في أنه متى لاح لأعينهم شبح وكلاء المهدي ذهبوا وانضموا اليهم . وكان أمين بك قد أدرك من زمن بعيد المكار والمضار التي قد يمكن أن تلم به من وراء الاحتفاظ بالخطرية . وليس ذلك حذرا من قيام الثورة المهديّة التي ما كان يترقب انسان حدوثها بل بسبب سوء اخلاقهم واعوجاج سلوكهم الأمر الذي ما جنت منه الحكومة سوى انصراف قلوب السودانين عنها وبغضهم لها .

وشرع أولئك الخطرية في الواقع في نهب الزنوج في كل ناحية مما أبعد قلوب هؤلاء عن الحكومة التي كانت مصلحتها تقتضى جذب مودتهم وتوطيد دعائم صداقتهم . ولقد سعى أمين بك ابتغاء الوصول الى هذا الغرض بإبعادهم من مديريته وارسالهم بالتدريج الى الخرطوم والاستعاضة عنهم بعساكر نظامية سودانية . وقد كان يوجد في كل مركز حامية من هؤلاء العساكر أصلهم من منطقة اخرى غير المنطقة المعينين بها . والغرض من ذلك هو أنه اذا ثار أهالى مركز من المراكز يصير في حيز الامكان كبح جماحهم واتخاذ انفس تمردهم بدون خوف من أن يتآخوا مع الثائرين وينضموا الى صفوفهم .

وكان أمين بك قد أوصى لبتون بك العمل بهذه الطريقة فذهبت توصيته هباء غير أن الايام وبالإحسرة ما لبثت حتى أيدت امينا في رأيه .

ولم يكن في استطاعته رغم مخاوفه مما تخبئه الايلم للبتون بك في ثنائها ان يمدد بمدد ما . فقد كانت قوات مديرية خط الاستواء قليلة العدد للغاية ومبعثرة في مساحة من الارض متسعة اتساعا كبيرا . وفوق ذلك فانه كان عليه ان يترقب لمديريته حظا لا يقل سوءا عن حظ مديرية بحر الغزال نفسها إذ أنه كان في استطاعة اجلاف المهديين ان يغيروا عليه في كل ساعة ولحظة . وهذا ما حدث بالفعل . والحاصل انه ما كان ينبغي لانسان ان يتجاهل امارات تمرد قبيلة الباري الضخمة بقيادة كبيرها اللورون .

وانقضت على امين بك اخبار تمرد هذه القبيلة انقضاء الصاعقة لاسيما ان مجموع قوات مديريته لا يقدر ان يتغلب عليها اذا قاتلها في العراء بعيدا عن الحصون وذلك لجسامتها وكثرة عدد رجالها . وكان امين بك كذلك منشغل البال بسبب نشر اهالى بور راية العصيان وابادة حامية هذه المحطة وثورة زنوج فاتيكو و فالورو و ماجونجو أى سكان الجنوب التى كانت نيرانها ما زالت تتأجج . جرى كل ذلك قبيل وقوع حوادث بلغت من الجسامه مبلغا ما عليه مزيد . وجسامتها هذه تستلزم جميع قوات المديرية وقوات حكاهما المادية والعقلية .

وقبلا ترداد الميلة طينا قرر أمين بك ان يقوم بهجوم ابتغاء ملافاة اقرب الاخطار التى يرتقب حدوثها واخذ ثورة الباريين وهى فى المهد قبل ان تشتعل نارها ويمتد أوارها فاستدعى اليوزباشى على افندى سيد احمد قائد لادو وأمره بالقبض على رئيسهم اللورون واعدامه . وكان بالطبع لا بد من التكم الشديد فى تنفيذ هذا الامر الذى يتعلق كيان المديرية بنجاحه . ولكيلا يتسرب أى خبر الى الباريين فيجدون عندئذ

الوقت الكافي لتسلافي الضربة لم يستصحب على افندى سيد احمد سوى ١٢٠ جنديا وضابطين وهما ابراهيم افندى حمر قائد لاتوكا وكان قد قدم حديثا وضيا افندى محمد وكيل قومندان لادو . ورجاء عدم نكت الانظار أبلغ الضباط والمساكر أن الغرض من رحلتهم هذه هو القيام بغارة في البلد الواقع فيما وراء اراضى الباريين . وصدر أمر في نفس هذا الوقت الى عبد الواحد افندى مقلد وكيل قومندان الرجاف بالذهاب الى غندوكورو ومعه ٨٠ جنديا ليكون تحت قيادة على افندى سيد احمد الذى نيط به أمر هذه الحملة .

ووصلت الجنود التى سافرت من لادو و الرجاف الى غندوكورو ليلا في وقت واحد وساعة واحدة . واستدعى القائد فى الحال وبدون تضييع لحظة اللورون للحضور بقصد الشروع بغارة فى الجبال فأبى . ولمعل ذلك كان من باب الاحتراس بسبب سوء الظن . وعلى ذلك ما اشرقت شمس اليوم التالى إلا ومقر اللورون قد أحيط بالجنود ووقع هو فى قبضتهم . ولما رأى انه بوغت بهذه الكيفية امثل ولم يبد أية مقاومة ومد عنقه بشجاعة قائلا : « لقد وقعت فى قبضتكم وهذا حسن . وفى استطاعتكم اعدامى لأننى عشت الزمن الكافى وملت شرفا كثيرا بيث اليأس فى قلب ييكر كم العظيم - يريد ييكر باشا - الذى عجز عجزا تاما على أن يتغلب على » .

وأعدم اللورون فى قلب المحطة وجمعت كل أمواله ووجد من ضمن مقتنياته خمس وعشرون بندقية فصودرت كما صودرت قطعانه التى يبلغ عددها تسعمائة رأس من الثيران .

أن يبعث اليه بالأسلحة التي حالتها تستلزم تصليحا . واجرى تصليحها كلها .

وكانت الاخبار في هذه الفترة ترد بتواتر منبهة بذبح حامية بور . فلقد حدث ان أو شك زاد الحامية أن ينفذ وأبى ززوج الناحية أن يمدوها بمطوبها فاضطر قائد المحطة عبد الله افندى نمير أن يقوم بغارة . غير انه لدى اياه أحاط به البوريون وذبحوه هو ورجاله ذبح الشياه ولم يبقوا منهم على واحد وكانوا يصيحون في أثناء القتال قائلين : « في سبيل الله » . ومن المدهش أن يرى الانسان كم انتشر صياح الحرب هذا الذي هو صياح المهديين عند الأهالي حتى ان الوثنيين المتوحشين النازلين في أقاصى الجهات الأكثر تطرفا اتخذوه وهم يجهلون معناه . هذا وقد عجب الناس لسماحهم وقت الثورة التي حدثت قبل ذلك في الجنوب نفس هذا الصياح من أفواه الزنوج . ولعل هذا يرجع الى مقدرتهم المعلومة في التقليد والسرعة التي تنتشر بها الاخبار في بلادهم .

ومن وقت ما ورد خطاب لبتون بك السالف الذكر لم يصل أى نبأ من بحر الغزال . أما أمين بك فكان غارقا في الأعمال الخاصة بمديريته . ولأجل تحويل أنظار الجمهور عما آلت اليه الأحوال وعمما تتمخض عنه أحداث الدهر من الحوادث الجسام ، وربما أيضا لتسيير الامور وفقا لحركة الثورة الدينية التي كانت تمزق في تلك الآونة أحشاء السودان ، نقول انه من أجل ذلك كله قد بنى أمين بك مسجدا في قلب فناء ثكنة لادو . وقد يجوز أن يكون بناء هذا المسجد كان يقصد منه شيئا آخر وهو تهدئة خواطر طغام المهديين في حالة قيامهم بهجوم .

وقال فيتا حسان ان كفاية أمين بك وحكمته فيما يتخذه من الاحتياطات لما عسى أن تلده الأيام من الحوادث حتى ولو كانت تلك الحوادث من أبعد الأشياء حصولا وأقلها أهمية قد تبرر مثل هذا الافتراض . ومما يدعوا الى التمسك بهذا الافتراض ان أمين بك بعد بناء المسجد وقبل مجيء المهديين أخرج من مكتبته نسخة فاخرة من القرآن كانت باقية من إرسالية كتب كان غوردون باشا قد أرسلها الى متيسا ملك أوغندة ووضعها على مكتبه في محل ظاهر بجانب اسفاره التي كان يلزمها ملازمة ظله له .

ويقول فيتا حسان أيضا إن أمين بك ما كان ينتظر مطلقا أن تباغته الحوادث وتقع على غرة منه بل كان يبذل جهده ليستبقها . ولانقطاع اخبار الخرطوم جملة كافية الامر المثير للاشجان والموجب لاضطراب البال ، ولما رآه من خلال حجب المستقبل من وجوب تعويل مديريته على نفسها والاعتماد على قوتها دون غيرها ، نظم دفاعه وسعى في جذب قلوب الجنود اليه وكسب مودتهم وذلك بتخفيف وطأة النظام عندما يرى ان هذا التخفيف لا يتعارض مع مصلحة الجنود الحيوية . وعندما تستدعي الحالة قمع بعض رؤساء الأهالي بشدة عندئذ يتحالف معهم واذا رأى أنه من واجبه أن يظهر لهم بمظهر الصرامة ليرهبهم يعاملهم بلطف واحسان ليكفل لنفسه إخلاصهم .

وقد أمر أمين بك كذلك من باب الاحتياط للمستقبل بزراعة القطن بقصد ايجاد مادة للنسيج . وقد كان من قبل اصدر خمس أو ست مرات أوامر بهذا الصدد غير أن قواد المحطات طرحوها ظهريا . واشتغل هذه المرة

شغلا جديا بهذه المسألة وسعى فيها سعيًا متواصلًا خاصًا إذ أنه كان يستطيع أن يدعم أوامره بقطع المواصلات مع الخرطوم وبالاحتياج في مستقبل الأيام لصنع الملابس للجند .

وفي ١٥ مايو شب حريق في حى الجند فضاء في هلع الناس ودمر ٢٠٠ كوخ قبل التمكن من إطفائه .

ورود أخبار سيئة

وفي نهاية الأمر وصل في ٢٧ مايو من رول خطرى حاملًا خبرًا رهيبًا ألا وهو خبر استيلاء المهديين على مديرية بحر الغزال وثلاثة خطابات من الأمير كرم الله قائد المهدي واحدًا منها باسم أمين بك بصفته المدير العام والثاني باسم عثمان افندى لطيف وكيل المدير والثالث للطبيب جونكر . ويطلب بالخطابين الأولين تسليم المديرية وحضور المدير ووكيله ومشولهما بين يديه . أما الخطاب الثالث فيطلب فيه من جونكر القدوم لأخذ متاعه الذى تركه في بحر الغزال .

ووقتها وردت أخبار السوء هذه لم تكن الحملة التى أرسلت لتأديب الباريين السالف ذكرها رجعت بعد وكان النظام مختلاً معتلاً بسبب تمرد الزوج وعلى ذلك زادت أخبار الشؤم الأحوال اضطراباً .

وكان فيتا حسان فى مكتب الحكومة عندما دخل محمود افندى صبرى رئيس الكتبة يحمل الخطابات الثلاثة فى غلافات كبيرة معنونة باسم الأمير محمد أمين و عثمان شريف و الطبيب جونكر . ولقت شكل وعناوين هذه الخطابات نظر فيتا حسان فلقب « أمير » الذى أضيف الى اسم أمين بك

بدلاً من كلمة مدير واسم عثمان شريف عوضاً عن عثمان لطيف جعلاه يستشعر بمصادر هذه الخطابات ، ولم يكن من شأن انقباض نفس محمود افندى صبرى والتكتم البادى على محياه إلا أن يوطد مخاوفه .

كتاب من المهدي الى المدير أمين بك

وبينما كان محمود افندى صبرى فى حضرة أمين بك ظل فيتا حسان يترقب الأخبار وهمه فى ازدياد . وفى نهاية الأمر عاد محمود افندى شاحب الوجه وقال لعثمان أرباب السكرتير الثانى ان المدير يرغب مقابلته . وذهب عثمان ورجع بعد بضع دقائق وعلى شفثيه ابتسامة شيطانية الأمر الذى لا يبشر بطالع حسن إذ من العلوم ان المهدي هو عم المذكور. ودعا عثمان فيتا حسان لمقابلة أمين بك ولدى دخول فيتا عنده رأى وجهه باهت اللون . فقدم أمين بك له الكتاب وقال : انظر الكتاب الذى جاءنى ! فتناوله فيتا حسان بيده فوجده مسطراً على ورقة من الاوراق الرسمية وصفحة منه عليها الكتابة مذيلة بختم : « محمد احمد » . أما منطوق هذا الكتاب فكان بوجه التقريب هكذا :-

« من محمد احمد رسول الله المهدي الى الأمير محمد أمين أمير خط الاستواء . إني مرسل اليك الأمير كرم الله القأم مقامى فسلمه مديريتك وأت عندي فى البقعة الطاهرة لأضمك الى جماعتى . فاذا أطعنى كفلت حياتك وتحاشيت إهراق الدماء على غير طائل . أما اذا عصيت فعليك تقع جريمة ضياع رجالك وضياعك أنت نفسك . وما حصل لغيرك فيه عبرة لك وموعظة للآتروى والتبصر فى عملك . ولقد رأيت ان جميع المديريات حتى أقواها مثل كوردفان و سنار سقطت فى يدي . وأنت تعلم من غير

شك كيف كانت عاقبة راشد بك ويوسف باشا الشلالى وهيكس باشا . وهذا لا بد أن يقنعك أنه بفضل معونة الله العلى لا يقدر أحد أن يقاوم الأنصار . وأنت ليس لديك القوة الكافية لتستطيع مصادمة جيشى .

وكان هذا الكتاب محلى بعدة آيات مقتبسة من القرآن . وكان معه كتابان آخران أحدهما من الأمير كرم الله الى أمين بك يخبره فيه بفتح مديرية بحر الغزال ويعدد قوات المهدي ويقول إنها زهاء ٣٦.٠٠٠ مقاتل بقيادة نور عنقره . والثانى من لبتون بك باللغة العربية ينصح فيه أمينا بك بالتسليم لأن المهديين كما يقول قوم لا يقهرون .

وذكر لبتون بك أن المهديين سلكوا مسلكا محمودا عند فتح المديرية . وهذا شيء بعيد عن الحقيقة - وأن الأمير كرم الله أحسن مقابله وقال أيضا علاوة على ما ذكر أنه يأمل أن يراه فى أقرب وقت فى البلد المقدس أى أم درمان . وأمضاه باللغة العربية هكذا : « الأمير عبد الله ولبتون سابقا » . ولاحظ أمين بك أيضا تحت التوقيع سطرين بالانكليزية يقول فيهما : « اعمل ما تراه صالحا » .

وأراد لبتون بك بلا ريب أن يفهم أمينا بك أن لا يقف عند حد ما جاء بخطابه الذى لم يكتبه إلا تحت الضغط بل يتصرف بحسب ما يوحى به عقله .

عقد مجلس للنظر فيما تستوجبه الحال

واتفق أمين بك وفيتا حسان أن لا يستدعى إلا كبار الموظفين فى المديرية لأن أمينا بك يرغب أن يبقى الخبر مكتوما زمنا

طويلا على قدر الاستطاعة تفاديا مما عساه أن يحدث من الذعر واختلال النظام . وبعد ان اجتمع كبار الموظفين أمر الحاجب أن لا يدع أحدا بعد ذلك يدخل .

وتألف المجلس عدا أمين بك ، و الطبيب جونكر ، و فيتا حسان من الاشخاص الآتية أسماؤهم وهم : ضياء افندى احمد قائد لادو ، و ضياء افندى طنندا مأمور سلخانة لادو ، و عوض افندى عبد الله مأمور المخازن ، و عثمان افندى أرباب سكرتير المديرية الثانى ، و الحاج محمد عثمان معلم المدرسة ، و الحاج الشيخ عثمان حميد قاضى المديرية ، و باسيلي افندى بقطر رئيس قلم المستخدمين ، و ميخائيل افندى سعد رئيس كتبة المديرية ، و اسماعيل افندى خليفه رئيس الحسابات ، و أحمد افندى رائف معاون المديرية الأول ، و موسى افندى قندا ضابط سودانى ، و محمود افندى العجيمى وكيل قومندان لادو .

وشرع أمين بك يتكلم فقال : « لقد ورد لى هذا الكتاب من المهدي حديثا . ولهذا جمعكم فى الحال لأتلوه عليكم وأخذ رأيكم » .

وأخذ يتلو الكتاب بصوت جهورى إلا انه ما لبث ان وقف عن القراءة ، وما ذلك إلا لأن صوته خـانـه وفاضت عيناه بالدموع ، فنـاول الكتاب الى عثمان افندى ارباب وهذا تلاه بأكمـله . وأعقب ذلك سكوت طويل . واخيرا قطع امين بك هذا السكوت بوضع هذا السؤال لجميع الحاضرين :

ما قولكم ؟

فأجابوا بصوت واحد : « نحن خاضعون لأوامركم فلكم أنتم الأمر » .

وعندئذ نهض الطبيب جونكر وقال : « اذا كان امين بك هو الحاكم عليكم فأنتم أيضا مع ذلك موظفو الخديو ولكم الحق بأن تعربوا عن رأيكم . واذا كان امين بك يريد ان يبيت في الأمر من تلقاء نفسه فما كان هنالك حاجة لاستدعائكم » .

وأدار أمين بك وقتئذ وجهه شطر كل واحد منهم ليحصل منه على جواب . فجواب محمود افندى العجيمى ، وقد سئل عن القوات الحاضرة المعدة للقتال ، بأن هذه القوات ضعيفة للغاية فلا رجاء معها فى ابداء أية مقاومة امام جموع المهديين .

وسئل عوض افندى عبد الله عن المؤونة والذخيرة فيما لو حوصر الجيش فقال ان الذخيرة لا تكفى واقعة واحدة والمؤونة تكاد لا تكفى مدة اربعة عشر يوما (١) .

(١) — إن كلام هذين الرجلين فى غير محله وهو يعرب عن الجبن ويناقض ما قاله بعد الصاغان حواش افندى منتصر ومرجان افندى الدناورى حيث عارضا أمينا باشا فى تسليم المديرية وقالوا إن فيها الذخيرة الكافية ويمكن تجنيد ثلاثة آلاف جندى . ويؤيد صدق قولهما الحوادث التى حصلت فيما بعد إذ ظل جنود المديرية بعد سقوط قرية أمادى Amadi يقاومون الزنوج ويقاثلون الدراويش الى سنة ١٨٨٩ م عندما توجه أمين باشا مع استانلى الى زنجبار وبقوا محافظين على كيانهم فى شاطئ بحيرة البرت نازرا الى سنة ١٨٩٠ م عندما جاءهم الكابتن لوجارد وجندهم بأسلحتهم وذخيرتهم للخدمة فى الشركة البريطانية لشرق افريقية ظاهرا ولسياسة الاستعمار البريطانية فى الحقيقة واحتل بهم وبنذيرتهم الا اراضى المصرية وانزعها من ممتلكات مصر . فهذا كله يدل على أن الذخيرة فى هذه المديرية كانت كثيرة متوافرة وأنه من الميسور تجنيد الجنود اللازمين .

وصرح الحاج الشيخ عثمان حميد القاضى بأن التسليم أولى من سفك الدماء
بغير جدوى فان قوات المهديين عديدة الى حد ان جيوش المديرية لا تستطيع
مقاومتها .

ووافق عثمان افندى أرباب على ايضاحات من تقدموا وأشار بالتسليم .

ووافقت الاكثريه على هذا الاقتراح .

ولما طلب من فيتا حسان ابداء رأيه أجاب بأنه وهو طبيب لا يستطيع
ان يعرب عن رأيه فى مسألة خارجة عن اختصاصه .

ودعا الطبيب جونكر لتلاوة كتابه عثمان افندى ارباب وهو
الكتاب الذى بعث له به الأمير كرم الله وحاول فيه أن يجذبه اليه ليتسلم
السبعة والأربعين صندوقا المحتوية على مجاميعه والتي فى مشرع الرق بمديرية
بحر الغزال . وأكد له فى هذا الكتاب أيضا أنه لا يصاب بمكروه وأنه يوصله
بأمان وسلام الى الخرطوم .

وانكب جونكر على الضحك بعد تلاوة الخطاب وأشار باصبعه صوب
الجنوب وقال ان طريقه من هنالك .

وصرح أمين بك بأنه مستعد لأن يتوجه الى الأمير كرم الله ابتغاء
اجتناب إراقة الدماء وطالب معرفة من يريد ان يرافقه فسكت الجميع . ولما
وجه لكل منهم السؤال على انفراد أبى الكل السفر اللهم إلا ثلاثة اشخاص
وهم القاضى الحاج عثمان حميد ومعلم المدرسة الحاج محمد عثمان و عثمان افندى
ارباب . وعند ذاك التفت امين بك الى فيتا حسان وسأله عما اذا كان يريد

مصاحبته فرد عليه بالاجاب .

وقال له امين بك ردا على قبوله بالاطالية : « غير انه لا بد لك ان تعرف ان هذه الرحلة ليست كما مورياتنا السابقة » .

فأجابه فيتا قائلا . « اعرف ذلك . ولقد رضيت ان اشاركك فيما قدر لك وعليك » .

وقرر امين بك السفر يوم الاثنين القادم وصرف المجتمعين . وكان بتقريره الازعان والخضوع الى الأمير كرم الله لا ينبغي إلا إيجاد وسيلة وقتية للنجاة مع انه كان يتردد بفكره بلا ريب مشروع لم يحتمر بعد تماما . ذلك هو ان يسلك طريق أوغندة . فقد نبتت هذه الفكرة في رأسه تدريجا ولما اكتملت وأخذت شكلها النهائي صرح بعد عقد هذا المجلس بزمين يسير امام فيتا حسان وعوض افندى عبد الله و محمود افندى العجيمي بالكلمات المشهورة التي نقلها عنه عوض افندى وأساء تأويلها الكل ولا سيما الجنود فنشأ عن ذلك كثير من الضرر والأذى بسبب ما تواتر من الاشاعات التي لطمها وسداها البلاهة وسوء القصد .

وهذا نص تلك الكلمات بالحرف :-

« ان في استطاعتي بعون الله وحوله ان احافظ عليكم وأسير بكم عن طريق اوغندة . وأخذ على عاتقي ان اوصلكم الى القاهرة . هذا اذا أوليتموني الطاعة . وفي قدرتي ان اقود الكتبة والضباط وأسلك بهم من طريق اونيورو و اوغندة . اما الجنود فهؤلاء لا اظن ان كباريما يسمح لهم بالمرور من ارضه . والخديو ليس في حاجة الى بعض جنود سودانية

والى بضع بنادق رمنجتون عتيقة . والأفضل ان يظل السودانىون فى بلادهم . لقد يخالجنى الأمل بأنكم لو اطعنونى استطيع ان اوصلكم الى القاهرة سالمين » .

ونقل عوض افندى فى نفس هذا المساء هذه الكلمات فتلقفها الآذان وتداولتها الألسنة بالمغالاة والتحريف بطريقة لم تألفها الأسماع . فقالوا وأكدوا القول بأن المدير صرح أنه يرغب بيع جميع العساكر لكباريجا ليحصل على الترخيص بالمرور من أرضه .

والواقع أن أمين بك لم يفه بكلمات كهذه بل لم يخطر بباله مثل هذه النية . ويقول فيتا حسان ان اهتمام أمين بك بالجنود وحسن التفاته اليهم ينقض مثل هذه الفكرة من اساسها . غير انه وبالأأسف قد صادفت هذه الكلمات التى حرفت عن مواضعها آذانا مصغية لا سيما بين كثير من الجنود .

وفى كل مرة يراد فيها القيام بحركة نحو الجنوب تتمرد العساكر ويتعذر تسيرها الى الأمام خوفا من الغدر والخيانة . ولقد كان هؤلاء يفرعون من السير صوب الجنوب ولا يتقلون فى اتجاهه خطوة إلا وهم حذرون أشد الحذر ولا يدفعهم ان يولوا وجوههم شطره إلا الجوع . وهذا موقف يسترعى النظر لأنه يزيج الستار ويبين السبب فى ثورة الجنود التى حدثت فيما بعد .

وفى اليوم التالى لعقد الاجتماع ذهب فيتا حسان وقابل أمينا بك وأفهمه أنه يخطئ لو سافر مع الوفد المقتضى ذهابه الى الأمير كرم الله وأن

الأفضل والأصوب أن يبقى في لادو لأن سفره يكون مقدمة لانتشار
القوضى وانقضاء صرح النظام من أساسه وقيام المشاحنات والمنافسات
في كل صوب وناحية وظهور ذوى المطامع وتنصيب أنفسهم أسيادا .
ومن هنا تتولد العداوة والبغضاء وتسفك الدماء ويستمر ذلك الى ان يبيد
الناس بعضهم بعضا .

فالتصوب امين بك رأى فيتا حسان وقال له ان هذا هو رأى
ايضا وانه لم يسلك هذا المسلك إلا اكتسابا للوقت وليقف على رأى
كبار الموظفين .

ووصل على افندى سيد احمد من غندوكورو في خلال هذه الاثناء
وقدم لأمين بك رأس اللورون فعينه امين بك رئيسا لقلم سكرتارية
المديرية وكتب الى عثمان افندى لطيف وكيل المديرية وكان في رول يعلمه
بأنه سيذهب الى الأمير كرم الله ويأمره بالرجوع الى محل وظيفته . ولم يكن
لهذه التدابير غاية سوى أن يغرس في أفكار الناس انه حقيقة راغب في
الذهاب الى الأمير كرم الله .

وفي ٢٨ مايو علم من خطاب وارد من حواش افندى ان زنوج دوفيليه
نشروا مرة اخرى راية العصيان وطلب المومى اليه بخطابه المذكور ارسال
امداد على وجه السرعة .

وكان أمين بك لم يزل متأثرا بجواب الأمير كرم الله ومراعاة لعدم
استقرار مجرى الحوادث في المستقبل على وتيرة واحدة رأى أن الوقت
غير مناسب لتجريد لادو من العساكر التي بها ورفض طلب حواش افندى

وكتب اليه ما يأتي :-

« إني لا أستطيع أن أبعث لكم بامداد لعدم وجود جنود احتياطية تحت يدي . وإن لديكم الجنود الكافية . وإنكم علاوة على ما ذكر قد قستم في أصعب الظروف وأحرج المواقف بأعباء ما كلفتم به خير قيام . فيجب ان تدافعوا بنفس القوات التي تحت أمركم . ويدعوني الأمل الى الاعتقاد بأنكم في هذه المرة أيضا تستطيعون بما جبلتم عليه من علو الهمة وحسن التدبير أن تغلبوا على جميع ما يصادفكم من المصاعب . وإني فوق ذلك قد كتبت الى حامية لاتوكا باخلاء منطقها والذهاب لمعاونتكم والأخذ بناصركم . فيلزم أن تقاوموا الى أن تصل اليكم الحامية المذكورة ولا بد أن تغلبوا بما تسديه لكم من المساعدة على أولئك الزنوج » .

نبذ موظفي لادو احترام المدير

وحدث في نفس ذلك اليوم حادث زاد أفكار أمين بك اضطرابا وبلبلة والموقف حرجا وشدة . ذلك أنه رغما عن الاحتياطات التي اتخذت قد أذيع في لادو خبر كتاب الأمير كرم الله في نفس عشية يوم وروده .

وفي اليوم التالي شرع موظفو لادو وأغلبهم من المنفيين لسبب ما وليسوا بطبيعة الحال من الطبقة الراقية لا من جهة الطابع ولا من جهة الأخلاق ، يطوحون وراء ظهورهم بالاحترام المفروض عليهم لأمين بك .

فقد أرسلت محطة أمادى كمية من الزيت الى محطة لادو .
وبما ان بعض الموظفين طلب منها مقادير وافرة وأصر على الحصول على
المقادير التى طلبها بين لهم أمين المخازن استحالة إجابة طلباتهم فاستعملوا
معه الوقاحة وخش القول وعلى ذلك رفع شكواه الى أمين بك . فانتقل هو
نفسه الى المخازن رجاء ان يؤثر عليهم بوجوده ويراقب توزيع الزيت .
وطلب رجب افندى محمد كاتب الحسابات لنفسه وحده ٤٠ رطلا من الزيت
على حين ان جميع الكمية المخزونة لا تتجاوز ٣٠٠ رطل . ولما أعلمه بذلك المدير
جاوبه بوقاحة الجواب الآتى :

« لقد مضى وانقضى زمانك ، وأتى زمان الأمير كرم الله ، وليس لك
أن تعطى أوامر هنا بعد اليوم !! » .

ولما كان أمين بك لا يريد ان يتفاهم الخطر الذى يهدده من الخارج
بأحداث ثورة بين الموظفين لا سيما أنهم كانوا فى ذلك الوقت موقنين
بسقوط حكومة السودان ويرون أنفسهم مطلقى الارادة لا رقابة عليهم
فقد كظم غيظه وأمر باعطاء ذلك الافندى الكمية التى طلبها بدون ان ينبس
ببنت شفة .

وأخذ فيتا حسان يسائل نفسه عما اذا كان يوجد مسوغ يبرر الحكمة
التى لجأ اليها أمين بك فى مثل هذه الحالة وعما اذا لم يكن الأفضل
رفض مثل هذا الطلب بتاتا ليكون هذا الرفض درساً زاجراً وعبرة
للآخرين .

ويرى فيتا حسان وقد أصاب محجة الصواب ان تصرف أمين بك هذا

لم يكن في هذه الحالة إلا نوعاً من الضعف كما هو شأنه في احوال كثيرة غيرها مماثلة لها . ويقول المذكور ان كل مرة استعمل فيها أمين بك السماح والحلم عوضاً عن العقاب والقصاص بينما كانت الحالة تستوجب الصرامة والشدة لم يجن من ذلك غير ازدياد جرأة مرؤوسيه ووقاحتهم . ولم يجد ضعفه تجاه رجب افندى محمد سوى التهادى في الفطسة وعدم الانقياد وكان سبباً في كل الحوادث المذلّمة التي نزلت في ساحة البلاد .

وعندئذ تهاطلت الطلبات من جميع الاصناف والانواع على مخزن المديرية واخذ امين بك في ارفاقها جميعها بأذونات الصرف حتى بدون ان يراجعها لانشغاله في مسائل اخرى من جهة وخوفاً من ان يشخذ لسانا آخر عليه من جهة ثانية .

وأدرك فيتا حسان من أول وهلة ان هذا الاغضاء ستكون عاقبته بلا جدال حدوث مجاعة وقرر وضع حد باحدى الوسائل لنهب المخازن وعلى ذلك توجه الى القاضى وافهمه ان المديرية خضعت للمهدى وان كل ما فى المخازن امسى ملكاً لبيت المال وان من واجباته بصفته اكبر مرجع دينى ان يراقب كل ما يصرف من الآن الى ان يصل وكيل المهدى وهو الأمير كرم الله . لأنه اذا استمرت الحالة جارية على هذا المنوال لا نلث إلا ان نرى فى المخازن شيئاً لا يذكر . ولا يجد المهديون عند مجيئهم قطيراً فيعزّون اليك هذا التبذير والاسراف . والمهم هو صدور أمر كتابى فى الحال الى المدير بعدم صرف أى شئ من المخازن بدون أمرك .

وكان القاضى يخشى رغما عن تحمسه للحكومة التى ستمخض عنها الأيام أن يمس احساس أمين بك بالقيام بعمل ما أشار به فيتا حسان غير ان هذا طمأنه وقال له انه يتكفل فوق ذلك بان يسوى المسألة وان كل ما عليه كتابة الأمر وتوصيله الى أمين بك .

وذهب فيتا حسان الى أمين بك ليحيطه علما بما اتخذ من التدبير وليرجوه القبول مراعاة للمصلحة العامة . وبعد برهات قدم القاضى وسلم الأمر للمدير وهذا استدعى عثمان ارباب وكلفه تبليغه لجميع الموظفين واخبارهم انه يجب عليهم من الآن فصاعدا تقديم طلبات الصرف من المخازن الى القاضى . ولما انصرف هذا الأخير أفهم أمين بك فيتا حسان أن هذه المسألة لم تنل استحسانا فأجابه فيتا حسان ان ذلك من مصلحة الجميع وبغير هذا العمل لا يكون سوى القحط والمجاعة .

عقد اجتماع للنظر فى سفر
المدير العام للأمير كرم الله واصدار قرار

بينما كان فيتا حسان عند أمين بك قبيل أول يونيه إذا بالقاضى دخل عليهما ونصح المدير بالعدول عن الذهاب الى الأمير كرم الله لأن سفره يلقي المديرية فى احضان الحيرة والنوضى وعرض ان يسافر هو عوضا عنه على ان يبقى أمين بك ويستمر فى تصريف الأعمال . وهذا أمر كان لا يمكن الا ان يسر له أمين بك . فعقد اجتماعا جديدا طرحت فيه هذه المسألة فصودق عليها كما صودق على القرار الآتى :

أولاً — بقاء الحالة على ما هي عليه في المديرية الى ان ترسل بواخـر
ومراكب للسفر عليها الى الخرطوم .

ثانياً — اعفاء المديرية من كل غارة .

ثالثاً — عدم السماح باستعمال أى شطط قبل الجنود السودانية .

تتابع الحوادث وتأليف وفد لمقابلة الأمير كرم الله

وشب في لادو حريق في اليوم التالى ٢ يونيه قبيل الساعة ٨ صباحا
تدفعه ريح شديدة من الشمال وأخذ يهدد جميع انحاء المحطة واستحال
القيام بمساعدات ودعت الحالة الى الاكتفاء بهدم بعض الاكواخ لتهدئة سير
النيران وذهب تقريبا نصف لادو كما ذهبت جميع الحواجز الخشبية
والاكواخ المكونة من القش طعمة للنار التي لم تتمد انفسها الا قبيل
منتصف النهار .

وتوات ضربات يد القضاء بسرعة مدهشة .

فبينما كان الدخان لم يزل يتصاعد من اكواخ لادو إذا بخطاب أتى
من سليمان افندى عبد الرحيم ضابط حامية مكراكا منبثا ان ابراهيم
افندى جورجورو رئيس هذا المركز ترك محله وسار الى بحر الغزال هو
وجميع من معه من الخطرية الذين يكونون القسم الأكبر من الحامية
وأخذوا ما كان معهم من الأسلحة والذخيرة لينضموا الى الأمير
كرم الله . وكاتب المركز ابراهيم افندى تراس وهو الخطرى الوحيد
الذى ظل محله جلد ٥٠٠ جلد وترك في موضعه بظن انه ميت .

وطلب سليمان افندى بالحساح ارسال امداد لانه لم يبق لديه إلا زهاء ١٢ جنديا سودانيا . وبالطبع يخشى عودة الخطرية أو قيام أهالى المركز لان هؤلاء لا يقيمون على الولاء إلا مع وجود حامية قوية .

وانتهز القاضى الذى كان حاضرا هناك وقت مجيء الخبر هذه الفرصة ليحث أمين بك مرة أخرى على البقاء لأن المديرية كما قال مشرفة على أوقات تردد شدة مع توالى الأيام وتستدعى حتما وجود المدير .

وتقرر مرة أخرى تأييدا لما سبق تقريره فى الاجتماع الأخير ان يبقى أمين بك ويسافر القاضى عوضا عنه بصفة رئيس للوفد ويكون فى معيته عثمان ارباب ، و ابراهيم افندى حمر قائد لاتوكا سابقا ، و محمد بابا ، و محمد افندى عثمان الكاتب ، و موسى افندى قندا ليلفوا الأمير كرم الله خبر خضوع المديرية .

وما كان أحد يدرى غير أمين بك وفيتا حسان ان الخضوع لم يكن إلا ظاهريا وان الغرض والقصد من إرسال هذا الوفد هو فقط إيقاف تقدم الدراويش ابتغاء ايجاد الوقت الكافى لاتخاذ قرار نهائى وجمع قوات المديرية المبعثرة .

وفى ٤ يونيه ورد خبر مكدر آخر ذلك ان دنكاوي رول تمردوا مرة اخرى وان مأمور القسم محمد افندى الصياد يطلب امدادا .

وكان امين بك قد قرر اخلاء المراكز البعيدة لكى يجمع كافة قوة المديرية المسلحة فى بعض نقط الا انه كان لا يود القيام بتنفيذ مشروعه هذا قبل سفر الوفد حتى لا ينكشف الغطاء عن خططه . وعلى هذا أهمل

الرد على خطاب محمد افندى الصياد الى ان سافر القاضى ورفاقه .

وسافر الوفد فى ٧ يونيه وسافر معه من لادو ١٢ جنديا بقيادة الضابط موسى افندى قنـدا . وأخذ معه كمية من الأشياء التى بالمخزن وصندوقا به ١٠٥ دست مظاريـف رمنجتون وهذا الصندوق حتم أخذه عثمان ارباب . وأعطى أمين بك القاضى ٥٠ ريالاً من ماله هدية واعطى عثمان ارباب مثلها .

وفى اليوم التالى رحل أيضا جونـكر الى دوفيليه ومعه ٦٠ حمالا ليحاول بلوغ زنبار وسلمه أمين بك خطابا برسم حواش افندى أوصاه فيه بأن يضع نفسه تحت كامل تصرفه فى رحلته .

إعادة النظر فى الحالة وتقرير خطط المقاومة

والآن وقد شعر أمين بك بشيء من الطمأنينة ورأى نفسه مطلق اليدين بعد سفر هذا الوفد أخذ يواصل العمل ليلا ونهارا فى سبيل جمع شتات الجيوش وتنظيم معدات الدفاع .

واستدعى الصاغين حواش افندى ومرجان افندى الدناصورى وتباحث معهما بصدد القرار اللازم اتخاذه . وكان هذان الضابطان لا يريان بتاتا الخضوع والتسليم وصرحا ان بالمديرية الزاد والذخيرة والمدافع والأسلحة بالمقادير الكافية وانه فى حيز الامكان وضع ٣٠٠٠ جندى على قدم الاستعداد وانه بهذه القوة يكون فى الاستطاعة مقاومة المغيرين .

وتقرر ترك تقسيم المديرية مراكز وتأليف حكمداريتين واحدة

فى الشمال والاخرى فى الجنوب وحشد العساكر فىها . وأشار حواش افندى على أمين بك بتعيين مرجان افندى حكامدارا فى الجنوب وجعل قاعدة حكامداريته فى دوفيليه وأن يرسله هو فى الشمال ويجعل قاعدة حكامداريته أمادى . فقلب أمين بك الوضع وعين حواش افندى فى الجنوب ومرجان افندى فى الشمال . وتقرر علاوة على ما ذكر أن تظل حامية مكراكا فى موضعها مع قائدها فرج افندى يوسف للدفاع عن هذا المركز وصدرت أوامر لريحان افندى ابراهيم قائد ممبتو وعثمان افندى لطيف وكيل المدير المقيم فى رول بأن يخليا هاتين النقطتين وتتوجه حامية ممبتو الى مكراكا وحامية رول الى أمادى .

ولم تكن القوة المسلحة التى فى مكراكا شيئا مذكورا بعد هرب الخطرية غير أنه كان من المهم جدا الدفاع عن هذا المركز الذى منه ترد معظم كميات الحبوب . وكانت كذلك تقوية حامية أمادى بضم جنود رول اليها من الامور التى لا تقل فى الاهمية عن الدفاع عن مكراكا لان أمادى هى النقطة الاولى الواقعة فى مقدمة المديرية وفيها يتصادم الجيش مع جيش العدو عند قدومه من بحر الغزال . فكان من الضرورى احتلال حصونها بجيوش كافية حتى يمكن صد تقدم المهيدين .

ولدى ارسال أمر اخلاء ممبتو بعث أمين بك بكتاب الى اليوزباشى كازاتى يحيطه فيه علما بالسبب الذى من أجله رأى من الضرورى اخلاء المركز وقال له انه يحسن لو قدم عنده فى لادو . غير انه رغما عن هذا الاخطار أصر على البقاء فى المركز ولم يبارحه الى لادو الا بعد ذلك بزمان .

وفى خلال هذا الوقت ظهر فى لادو جنديان سودانيان وهما الأطروش

وأخوه . وكانا عاربي الجسم كليّة . وهذان الجنديان هما من الجنود التابعة لحامية بحر الغزال . وقد تمكنا من الهرب وقت أن سلم لبتون بك ومعها كساويهما الرسمية . وإلى القارئ الكيفية التي مرت بها الحوادث حسباً روياء :-

حالما ذاع خبر اقتراب الأمير كرم الله كان الخطرية قد قرروا قبل ذلك بزمن رغماً عن جميع توكيداتهم أن يضلوا مخلصين للبتون بك والإيمان التي أقسموها بأن يقاتلوا في صفوفه إلى أن لا يبقى منهم أحد ، أن ينضموا إلى رجال المهدي . ولما أُنذر المهديون للبتون بك بالتسليم رتب جيوشه وهياها للقتال وأمر بالشروع في اضلاق النار فلم يتحرك خطرى واحد عن مكانه وصرخوا متنفقين بأن لا يصوبوا أسلحتهم نحو اخوانهم . ودنا مصرى من رجال المدفعية من مدفعه غير انه قبل ان يتمكن من اطلاقه أطار خطرى رأسه بحسامه . وعندئذ فتح الخطرية أبواب الحصن وفي لحظة استولى عليه اندراوئش ولم تخش زوج لبتون بك وقد تولاهما الغضب من جراء سفالة ودناءة الخطرية ان توجه اليهم الفاظاً بالغة في الشدة على ما بدا منهم من الخيانة والغدر .

وأحرق الأمير كرم الله جميع دفاتر وأوراق الحكومة ونهب المخازن وبعث للبتون بك ومستخدميه مخفوفين إلى أم درمان وجرد العمدد اليسير من الجنود السودانية الذي كان ضمن الجيش المصرى من أسلحته ومن ثيابه ووضع فيهم الاغلال وباعهم أرقاء هم ونساءهم وأولادهم .

وهذه الحكاية لاسيما القسم الأخير منها قد وردت في الوقت اللازم فبيجت بلابل جنود المديرية وأثارت عزة نفوسهم وحملتهم على الانضواء إلى

جانب القرار القاضى بالدفاع الى آخر نسمة من الحياة . ووطدت غيرة الجنود وحميتهم ثقة أمين بك بهم .

تمرد الزنوج على أثر اتساع نطاق الثورة المهدية

وقد وصل فى الوقت نفسه مع الحسين القطعة الدامور « نسيج من القطن » التى أرسلها لتون بك قبل الانقلاب الذى حدث وتأخر وصولها بسبب الثورة التى قامت فى رول ، خطاب من عبد الوهاب افندى طلعت يؤيد الأخبار السيئة التى وردت عن محطتى جهة الشمال وهما شمبى و بور .

ولم يعزب بعد عن البال ان عبد الوهاب افندى طلعت قد سافر من أجل إيصال زاد من بور الى شمبى . وقد جاء فى خطابه البادى ذكره انه حال وصوله الى بور كان معظم الحامية غائبا فى غزوة . ومع ذلك وسق الأشياء اللازمة فى مراكب وانحدر هو مع مجرى الماء صوب شمبى غير أنه عندما بلغ المحطة وجدها قفرا ليس فيها أحد وقد هدمت من أساسها وانقلبت رأسا على عقب ولم يجد من يخبره عما فعل الله بالحامية .

وبعد أن قاسى كثيرا من المشاق وكابد شتى الأخطار مدة ٢٤ يوما اضطر فى خلالها أن يسحب المراكب وصل الى بور فوجد ان معظم حاميتها المؤلفة من ٩٢ رجلا وقائدها عبد الله افندى نعيم قد أبادهم العبيد ابادة تامة حال قيامهم بالغزو ولم يبق بالمحطة سوى ٣٠ جنديا . وعلى ذلك ظل عبد الوهاب افندى طلعت فى بور يرتقب مرور باخرة صاعدة مع النيل لتجر مراكبه . وبينما هو فى الانتظار اذا بالزنوج قد ثاروا وحاصروا المحطة .

وجاء أيضا فى الخطاب المذكور أن المحطة الآن محاصرة حصارا يفوق

كثيرا حصارها من قبل وان مجموع الجنود الذين تحت يده لا يزيد عن ٤٢ جنديا ٣٠ منهم وجدتم هناك و ١٢ كانوا بمعيتة . وان الخروج من الحصار أمر مستحيل وعلاوة على ذلك فأنهم يقاسون مضض الحرمان من كل شيء . ويشعلون قش الاكواخ المسماة « توكول » Tokuls القاعة في قلب الحصن للحصول على نار . وقال في ختام خطابه : البدار البدار بارسال نجدة ! !

وكان لا بد من ارسال قوة كبيرة من العساكر الى بور لأن ارسال قوة صغيرة يعد من باب المجازفات والتعرض لأعظم الأخطار . ولما كان أمين بك لا يمكنه أن يستغنى عن عدد كبير من العساكر استدعى في ٢٦ يولييه كبيرا من كبار الزنوج يقال له « بافو » وأعطاه ثلاث أبقار وكلغمة بتوصيل خطاب وكمية من الزاد الى بور وأوصى عبد الوهاب افندى طلعت بالثبات في مركزه الى ان يستطيع حشد بعض من العساكر وارسلها اليه وأمره باخلاء بور اذا امكنه ذلك والانسحاب الى لادو .

ومن ذلك يعلم ان راية العصيان كانت قد نشرت وكان كل يوم تشرق شمس يأتى بخبر تمرد جديد . فللماديون في لابوريه بقيادة كبيرهم « ماتو الصغير » أبدوا روح العصيان وعتوا غير أن ثورتهم أخذت في الحال ولم تمتد وتشمل جميع الماديين . وهذا من حسن الطالع ولطف البارى إذ لولا ذلك لضاع كل أمل ولم يبق أى رجاء . وتمرد الشوليين بدوفيليه قضى عليه في الوقت نفسه قضاء مبرما .

وكان أمين بك قد قرر مع حشد الجنود نقل قاعدة المديرية الى الجنوب وان يجرى ذلك ببطء حتى لا تكون المسألة أشبه شيء بالتقهقر . وأبدى سببا

معقولا لعمل هذه التدابير وهو استحالة إيجاد ما يلزم من المؤونة في لادو
لعدد كبير من الناس بعد اخلاء رول واختلال النظام في مكراكا وضياح
شمبي و بور . وهذا على نقيض الحالة في دوفيليه اذ ان هذه بلدة
مخصصة ومحصولها ينفي بحاجات اضعاف المستخدمين والمساكر كما اتضح
ذلك فيما بعد .

وأمر أمين بك بنقل المكاتب الى دوفيليه وأن يسافر في كل يوم اثنان
أو ثلاثة من الموظفين ومعهم اسرتهم . وألغيت كذلك محطة فاتيكو وانتقلت
حاميتها الى دوفيليه .

ولم يكن المهديون قد قدموا بعد ومع ذلك فقد نشر بعض اناس في نفس
المديرية راية العداوة . وهذا ما حدث :

قدم ذات يوم من أمادي ساع مستعجل للغاية ليبلغ ان قانصا من
قانصي القيلة ومن أجرئهم يقال له على كركوتلي جمع بعض الدناقلة عندما وصل
نبأ وصول الأمير كرم الله ومضى معهم الى المهديين . ولما مروا بمحطة
صيادين الصغيرة قتلوا سبعة جنود من حاميتها الصغيرة المؤلفة من ١٩
جنديا كما اجهزوا على ضابطهم عبد الله افندي غرابوي . أما الباقون فقد استطاعوا
أن يهربوا في العجالة . فأمر أمين بك في الحال رجب افندي من بوفي أن
ينتقل بغاية السرعة الى هناك لامدادهم .

وكان لدى حكمدارية خط الاستواء قناصون أشبه بعلي كركوتلي
مرتب لهم ماهية شهرية قدرها ٢٥٠ قرشا وكان يصرف لهم ثمن ما يوردونه
من العاج للقنطار الواحد ٥٠٠ قرش شهريا . ويوردون عادة من قنطار

الى عشرة قناطير في الشهر ولا يخصم من حسابهم إلا ثمن ما تسلموه من الذخيرة وهو الثمن المزمون بدفعه .

استطراد في كيفية صيد الفيلة

وكان هناك طريقتان لاقتناص الفيلة وهما البندقية أو الحفر المسقوفة :
والعرب يقتنصون الأفغال على وجه العموم ببنادق ذات عيار كبير يسمونها « شوشخانة الفيل » . وهي سلاح ضخم عياره ٥ سنتيمترات يحشى بزهاء ١٢ رصاصة حجم الواحدة منها ١٢ ملليمترا و ٦٠ جرام بارود . ولا بد من جرأة كبيرة لصيد الفيل بسلاح كهذا . ومع ذلك كان عدد قناصي الفيلة من العرب في كوردفان و بحر الغزال و دارفور كبيرا . وهذا يدل بلا جدال على بأس وقوة قلب عرب السودان . والمتبع بحكم العادة هو ان يربط الصيادون ذوو الحذر السلاح في شجرة ويتربحوا مرور فيل في اتجاه مرمى السلاح . أما القناصون الشجعان الأبطال فيكتفون بوضع عضادة على صدورهم وعليها يسندون السلاح ويطلقونه فلا تستطيع الصدمة ان ترحزهم عن مكانهم الى الوراء قيد انملة .

وقناصو الزنوج يصيدون الفيل بثلاث طرق مختلفة . فالدينكاويون واللاتوكيون يفوقون العرب في الجسارة ويمكن القول انهم يصارعون الفيل جسما لجسم . فالقناص يبحث عن الفيل ثم يتعقبه على بعد بضعة أمتار منه ويقذفه بحربة بقدر ما يستطيع من قوة . ولا تكفى هذه الضربة الأولى بوجه عام للأجهاز عليه فينقلب في اتجاه الصياد وهذا يتنحى عن طريقه سريعا بقفزة ويرميه بحربة أو اثنتين أو ثلاث الى ان يخر صريعا .

وأكاكو Akkas ممبتو الذين لهم مهارة خاصة في استعمال الاقواس يرمون ذلك الحيوان في مبدأ الأمر بسهمين في عينيه وعندما ينقلب أعشى يندس منهم نحو الاثنى عشر رجلا تحت بطنه وأجسامهم مدلوكة بيول القبلة وروثها حتى لا يشعر الفيل بهم عندما يدنون منه ويأخذون في فتحها بضربها بمزاريقهم القصيرة ضربات متوالية ثم ينسحبون في الوقت اللازم حتى لا يسحقهم الحيوان بجسمه الضخم عند وقوعه .

وعندما يقتل الأكايون فيلا تنصب القبيلة كلها مضاربها بجانب الفريسة شهرا أو شهرين الى ان تلهم جميع لحمها وشحمها ثم تعود الى سيرتها الأولى في التنقل والرحيل من ناحية الى اخرى الى ان تعثر على فريسة اخرى .

وينحفر مكرًا كايو ممبتو في الأرض حفرة كبيرة عميقة وينطونها بطبقة كثيفة من فروع الأشجار والحشائش ويضعون فوق ذلك طبقة رقيقة من التراب . وعندما يضع الحيوان قوائمه عليها وهو آمن مطمئن يهوى في جوفها فيندق جسمه لثقله .

ويستعمل زنوج آخرون لاسيما الشوليون لصيد جميع الحيوانات البرية وليس الفيل وحده ، نفا فيه شيء من التنفن . ذلك أن يختاروا شجرة لها فرع صلب ممتد امتدادا أفقيا فوق الطريق وينصبون على هذا الفرع حبلا متينا ويلتقون بأحد طرفيه حجرا ثقيلا ومزراقا جسما بصفحتيه أسنان حادة مثل التي في السهام ذات الكلابات . وهذه الآلة تعلق في الفضاء بواسطة الحبل . وفي الطرف الثاني يثبتون قطعة خشب تدفن في الأرض دفنا بسيطا حتى تعادل الحجر والمزراق فقط . وعندما تصطدم قائمة الفيل بالخشبة

تقفز من الأرض فتقع الحربة بفعل ضغط الحجر رأسيا في جسمه .

وفي ١٢ يونيه ورد لأمين بك خطاب من ابراهيم افندى جورجورو بمكراكا يقول فيه انه أرسل بغلته الى أمادي وانه متوجه الى هذه المحطة لزيارته وذلك لظنه ان أميننا بك سيسافر مع الوفد كما تقرر ذلك في بادى الأمر . غير ان هذا السفر صار العدول عنه فيما بعد وعلى هذا كان سيلاقى القاضى عوضا عن المدير .

وتلقى كذلك أمين بك خطابا من كاتب مكراكا يقول فيه انه بعد سفر ابراهيم افندى جمع خليل افندى مرعى وهو ضابط مصرى ضباط الصفوف وقال لهم ان كل واحد يمكنه ان يأخذ ما شاء من المؤونة ويذهب الى حيث يريد لأن الحكومة أمست لا وجود لها . فزاد الفزع والجزع فى النفوس على أثر ذلك لاسيا أن عددا من الدناقلة ذهب لينضوى الى الأمير كرم الله . وعندما بلغ أميننا بك هذا الخبر أرسل فى الحال ضابطا وعشرة عساكر للقبض على هذا الضابط وارجاع الناس الى جادة الصواب .

وفي ١٥ يونيه تناول أمين بك ثلاثة مكاتيب من بلال افندى بمكراكا يذكر فيها ان ابراهيم افندى جورجورو بعث ببعض الرجال ممن له بهم ثقة الى كابايندى ليحضروا ٢٠٠ زنجى من قبيلة البوميه Bombés مسلحين ويسبوا على قدر ما يستطيعون من النساء والاولاد . ولما تمت هذه العملية حسبما يشتهى ويريد استولى على جميع المؤن والذخائر والسلاح الذى كان فى مخازن واندى وذلك بعد ان دمر كابايندى . واتجه عقب ذلك هو وعصابته شطر مكراكا الصغيرة بعد أن أغرق المركبين اللذين كانا فى نهير چاى Jei حتى يمسى تعقبه أمرا مستحيلا .

وقد سب الشيخ كبايندى فى مكراكا الصغيرة خدام منزل احمد افندى الافغانى ودمر وأحرق دار مصطفى افندى درويش مأمور المحطة وألبسه القيود والأغلال واقتاده معه . وبعد أن ارتكب كل هذه الجرائم والآثام يمم فى نهاية الأمر شطر بحر الغزال وبمعيته الضابط المصرى خليل افندى مرعى .

وبعث أمين بك بلا توان ضابطا و ٦٠ جنديا لتقوية حامية مكراكا ليوطدوا النظام فيها ثانية . وعجل كذلك مرة أخرى بإرسال رسول الى ريحان افندى ابراهيم قائد مركز ممبتو يحمل أمرا بإخلاء هذا المركز فى الحال والانسحاب الى مكراكا . وأمر أيضا بحفر خندق عميق حول لادو وبناء حصن ثان للمدافع فى زاوية القلعة .

ولما اشتدت الأحوال فى محطة أجاك تركها عثمان افندى لطيف وانسحب الى أمادى ليرجع منها الى لادو .

وفى ٢٠ يونيه ورد الى أمين بك رسالة من عثمان ارباب ذكر فيها ان دنقلاويا قص عليه ان لبتون بك ظل فى وظيفته وان الأمير كرم الله سينطلق صوب مديرية خط الاستواء فى ٢ رمضان الموافق ٢٦ يونيه .

وفى ٢٢ منه وصل عثمان افندى لطيف الى لادو قادما من أمادى حيث اجتمع بالقاضى وأعضاء الوفد الآخرين وقال ان ابراهيم افندى جورجورو لم يأت الى أمادى وانه من الجائز ان يكون قد ذهب مباشرة الى بحر الغزال .

وفى ٢٤ منه وردت الانباء من مأمور المحطة فى رومبيك عن طريق أجاك

ان بعض الدناقلة كانوا قد مروا بحال الزنوج ليمتاروا لوازمهم فأحاط هؤلاء بهم وقتلوهم وأهلكوا منهم ٣٠ نفسا . ويقال ان الباقي منهم رجع . أما العساكر فلم يقتل أحد منهم لأن هؤلاء لم يبارحوا المحطة . وأمر أمين بك في التو والساعة باخلاء روميك كلية لأنها لم تعد صالحة لشيء بعد سقوط مديرية بحر الغزال وحشد جميع الجنود والموظفين المالكين في أجاك حيث الأمن متوافر .

وفي ٢٦ يونيه وصل الى واندى رجل من الدناقلة الذين كانوا قد سافروا بمعية ابراهيم افندى جورجورو مفضلا الرجوع الى المكان الذى كان به وذكر أن معظم الحمالين والأسارى هربوا وان ابراهيم افندى كان على حسب قوله فى كودورما هو والضابط المصرى خليل افندى مرعى وبعض الجنود والمصريون الذين كانوا منفيين فى مكراكا وبعض الدناقلة . والأخبار الواردة من واندى تؤيد كذلك رجوع كثيرين من الدناقلة والزنوج .

وفي ١٠ يولييه وردت أنباء الى لادو مفادها أن الشيخ الطيب رجع الى مسقط رأسه مكراكا بعد أن أقام سنتين فى الخرطوم وقابل ابراهيم افندى جورجورو فى كودورما . ولما عين سالوكه وعلم بما صدر منه من الأعمال أمر شيخ الناحية أى فقيه مكراكا وكان قد انضم الى ابراهيم افندى بأن يلقى القبض عليه وان يطلق سراح مصطفى افندى درويش وكل من يلوذ به ويرجع جميع الدناقلة والمستخدمين الى وظائفهم . وتم ذلك فعلا غير ان ابراهيم افندى تعلق بأذيال الفرار تحت جنح ظلام الليلة التالية لليوم الذى قبض عليه فيه هو وأربعة من الجنود وبعض الدناقلة .

وظل مع ذلك أغلب الذين أطلق سراحهم من هؤلاء الآخرين فى

كودورما ورجع منهم سبعة فقط الى أمادى وقالوا انهم أكرهوا على ترك محالهم فجرّدوا من أسلحتهم وأعيدوا الى المحطات التى كانوا بها من قبل وقبض على خليل افندى مرعى الضابط المصرى وأرجع .

وورد من مأمور محطة موندو Mundu انه لم يبق لديه سوى عشرة رجال وهرب الباقون وان طريق ممتسو ما زالت مفتوحة للسابلة وانه من المحقق أن مصطفى افندى درويش استطاع النجاة وان مخازن واندى لم تهب وان النظام استتب ثانية فى مكراكا .

وفى ١٣ يولييه قدم الى لادو عسكرى من أجاك وذكر ان القاضى وباقى الوفد كانوا عند سفره لا يزالون بالمحطة وانهم لا يمكنهم الذهاب الى بحر الغزال لأن الزوج سدوا الطريق . والظاهر أيضا ان الدناقلة الثلاثين الذين هلكوا وهم فى طلب المؤونة حسب رواية مأمور محطة روميك لم تعجلهم النية بالكيفية التى ذكرها بل عند ذهابهم الى الأمير كرم الله .

وفى ١٦ يولييه قدم فجأة الى لادو بعد انتظار أخبار أجاك زمنا طويلا كاتب هذه المحطة ومعه ضابط صف واحد وأربعة جنود يحمل رسالة موقعا عليها من بعض الضباط وضباط الصف وهذا منطوقها :

« نظرا لسوء ادارة محمد افندى الصياد حدث أن هاجم الدناقلة العساكر فى أجاك . وعبثوا للآن خمس مرات باعراض النساء والعساكر . وسلم الضابط المذكور الى هؤلاء الدناقلة بعض النساء بدون بحث ولا رقابة . وان بعض الجنود لجأ الى الهرب بسبب سوء المعاملة بهذه

الكيفية الى مواضع لا نعلمها والبعض الآخر يستعد للاقتداء بهم واقتفاء أثرهم . وان سلوك هذا الضابط المنافى للصواب والعقل حمل الناس على السرقة والنهب وان جميع العساكر في أشد حالات الهيجان ونخشي ان يتعلقوا بأذيال الهرب ويأتوا اليكم شاكين مما حصل . والظاهر ان سائر الدناقلة أمسوا متعاهدين . وجميع أسلحة رمنجتون المرسلة من لادو برسم محطى شمي و بور المستجدين تقاسمها توابع ضيف الله . والدناقلة الذين قدموا مزودون ببعض سلاح رمنجتون ولديهم الذخيرة الكافية . ولذلك نجنح للاعتقاد بأنهم لن يتأخروا عن أن يخذوا حذو اخوانهم في السلب لآخاذ الكل في الاميال . ومع ذلك فنحن مستعدون لمكافئهم اذا لم يكفوا عن الاجحاف والاستبداد مع العساكر أو اذا لم ترسلوا لنا مددا .

تحريرا في ٢ يولييه سنة ١٨٨٤ .

الامضات

سليمان . خير . حسن

* * *

وبما انه كان قد تقرر سفر مرجان افدى الدناصوري في ٢١ يولييه ليتسلم قيادة أمادي كلفه أمين بك بأن ينتقل عقب ذلك الى أجاك ويضع حدا للفوضى ويوطد النظام .

وطلب ضابط صف مسقط رأسه بومييه من أمين بك اجازة غياب فأذن له بها مع الارتياح لاسيما انه كان في خدمة أمين بك بصفة مراسلة منذ عامين . فعوضا عن أن يشغل ضابط الصف هذا بمصالحه

الخاصة حشد زهاء عشرين رجلا من التراجمة وقتل بمعاونتهم سبعة من الدناقلة . وأمر أمين بك حفظا للنظام بمحاكمته في مكراكا وتقديمه الى مجلس عسكري .

وفي ١٨ أغسطس ورد بريد أمادي و أجاك . وارسل مرجان افندي ضابطا و ضابط صف و ٣٢ جنديا لقتال القناص على كركوتلي الذي ما زال للآن معتقلا الجنود الذين أسرهم في محطة صيادين عوضا عن أن يعمل بالضبط والدقة بأمر أمين بك القاضي بانتداب الرئيس تكفارا Takfara ورجاله لهذا الغرض . ولدى مرور الضابط المذكور ومن معه أمام زريبة يحتلها فريق من الدناقلة المتمردين واقعة على الطريق الموصل من أمادي الى مكراكا ، قابلهم هؤلاء بطلقات البنادق فرد الجنود المهاجمين واستولوا على خمس بنادق منها واحدة رمنجتون وقتلوا ١٥ رجلا وأرسلوا السلاح في الحال الى أمادي واحتلوا عند ذاك الزريبة . وفي اليوم التالي لما تكامل عدد الدناقلة أدخل الضابط ضابط الصف ومعظم العساكر في الزريبة وسار هو وخمسة رجال في اتجاه العدو فقتل من هؤلاء الرجال أربعة وجرح الخامس واضطر الضابط أن يتقهقر غير أنه وجد ضابط الصف والجنود قد لاذوا بالفرار فالتزم هو كذلك أن يهرب . وعلى هذا يكون اجمال الخسائر ٥ بنادق من طراز رمنجتون و ١٠٠ ربطة مظاريف . وهذه كارثة وخيمة يترتب عليها شموخ الدناقلة ورفع رءوسهم .

وكان مرجان افندي قد انتقل الى أجاك بعد أن مر بأمادي . وأمر أمين بك بإرسال امداد الى هذه المحطة الأخيرة . وشاع وذاع ان ابراهيم افندي جورجورو ومن معه قتلهم الزوج . وأن كافة الدناقلة الذين في أجاك

قد جردوا من أسلحتهم .

وجاء في بريد مكراكا الذى وصل فى نفس ذات اليوم ان مصطفى افندى درويش مستعد للرجوع إلا ان المناقشة لا يدعونه يسافر . وجاء فيه ما يؤيد خبر هجوم الزنوج على ابراهيم افندى ومن معه وقتلهم جميعا وذلك عند مسيرهم بقرب دوجورو Doguru وانه لا يعلم أين مقر الأمير كرم الله وان الاحوال فى مكراكا سارة قارة .

وفى ٢٠ أغسطس ورد خطاب الى أمين بك من مرجان افندى فى أمادى مع كتب أخرى أحدها من عثمان ارباب صادر من محطة صيادين فى ٨ أغسطس يقول فيه : « لقد عدت من بحر الغزال ومعى للمدير كتب سارة يفيض من خلال سطورها عبارات الوقار والاحترام . أرسل من يحىء بى . أنا مستعجل » .

فبادر مرجان افندى وأرسل فى الحال رجلا وكان لا بد أن يكون عثمان ارباب قد وصل الى أمادى من مدة لأن خطاب مرجان افندى مؤرخ فى ١٠ أغسطس .

وكتب أمين بك الى مرجان افندى أن يرسل عاجلا عثمان ارباب وان يحتفظ عنده بجميع من أتى من بحر الغزال .

وقدم فى ٢٣ منه من غندوكورو جندى وأخبر أن ضابطى صف و ١٠ جنود وصلوا من بور وقال إن جميع الأمور سائرة هناك على ما يرام ، وان الضابط عبد الوهاب افندى ومن معه من الرجال الذين كانوا قد أرسلوا لامداد شمي باقون فى بور هم والمركب الكبير

والذخيرة ، وأن الرجال الاثنى عشر سيصلون غدا الى لادو حاملين البريد . وكان قد مضى ستة عشر شهرا ولم ترد أخبار من بور . وكل المحمودات التي بذلت لارسال بريد اليها عن طريق بوفي ذهبت هباء وكان الخوف على السفينة بالغاً أشده . وكان يخشى أن تكون قد ضاعت هي ومن كان في شمبي .

وفي ٢٤ أغسطس وصلت جنود بور وأيدوا الأخبار التي وردت بالأمس . وكانوا قد قدموا منها عن طريق غندوكورو ولأزموا في مسيرهم ضفة النيل الشرقية وقطعوا المسافة في ستة أيام وقابلهم الزوج في كل مكان مقابلة حسنة . ويرجع الفضل في ذلك الى الوسائل التي اتخذها الرئيس « بافو » Beffo من بالينيات . وبافوا هذا هو ذلك الرجل الذي أعطاه أمين بك ثلاث بقرات وفوض اليه حمل خطاب الى بور واحضار رد منها . وقص الجنود أيضا أن عبد الوهاب افندى الذي أرسل لامداد شمبي قد وصل اليها غير انه وجد هذه المحطة قد أمست أثرا بعد عين فارتد على عقبيه الى بور ووصل اليها بعد سفر دام ٢٨ يوما ذاق في خلالها الجوع وقاسى أنواع الشدائد وعاكسته الرياح . هذا فضلا عما كابده من صد هجمات العيد . أما الزوج الذين كانوا مقيمين حول بور فهؤلاء قد حل بهم من العقاب ما فيه مزدجر وهم الآن ملازمون جانب الهدوء والسكينة والنظام مستتب في المحطة .

وفي ٢٧ منه كتب مرجان افندى يقول ان الدناقلة في أجاك قد جردوا فعلا من السلاح وسجن البعض منهم . وان سليمان افندى عبد الرحيم سافر الى روميك في ١١ من هذا الشهر ومعه ١٨٠ جنديا ليجرد الدناقلة المقيمين بها من السلاح ويسترجع الجنود . وان جموعا

من الدناقلة المقيمين بلا ريب في مكررا كما يحتشدون في محطة صيادين
 . Sayadin

وفي ٢٨ أغسطس ورد خطاب آخر من أمادى مذكور فيه ان غلاما
 من هذه المحطة وصل الى بوفى Bufi وروى أن عثمان أرباب وأعضاء الوفد
 الآخرين ما زالوا في محطة صيادين وان موسى افندى قنّدا والعشرة
 الجنود الذين بمعيتهم جردوا من السلاح وبلا ريب زجوا في السجن . ولحين
 سفر الخطاب لم يرد أى خبر من أجاك ولم يصل عثمان ارباب الى أمادى
 حيث أرسل أمين بك مرة اخرى ٥٠ جنديا معهم ذخيرة .

وفي ٣٠ منه وردت الأنباء من أمادى ان الجنود الذين أرسلوا الى
 روميك أرجعوا الى أجاك السفن والمدفعين والذخيرة والزراد والمؤونة بتمامها
 في ١٧ منه بدون ان ينقص منها شيء ولم يفقد سوى رجل واحد .
 وقد كان سفر أولئك الجنود من أجاك في ١١ من هذا الشهر وسلوكهم في
 هذه الرحلة يستوجب الثناء .

أما قومندان هذه الفصيلة فلا يدري أحد ما الذى شرع في عمله هو
 والدناقلة ولم يذكر بالخطاب الوارد من أمادى شيء عن هذا الضابط . والاحوال
 في نفس هذه الناحية هادئة .

وأمر أمين بك باخلاء أجاك في الحال وحشد من بهما من الجند
 في أمادى .

وفي ١٤ سبتمبر وردت الأخبار من أمادى ان جميع الدناقلة جردوا من
 السلاح في مختلف المحطات واعتبروا أسارى لانهم لو تركوا مطلقى السراح

لكان ذلك بمثابة نجدة ذات قيمة قد قدمت للعدو . وكذلك تركهم في أمادى أمر لا تحمد مغبته ولذلك ارسل منهم مرجان افندى زهاء العشرين الى لادو لارسالهم من هناك الى دوفيليه وألحقهم بآخرين في خلال هذا الشهر .

وفي ٣٠ اكتوبر ورد الى لادو خطاب من أمادى مؤرخ في ٢٦ منه . ومما جاء فيه انه لا يعلم شئ من أمر حركات الأمير كرم الله . وجاء فيه أيضا ان أهالى محطة صيادين يتأهبون بقيادة القناص على كركوتلى للهجوم على أمادى . والروح المغنوية فى المساكر على ما يرام . أما جنود بوفى فلم يصلوا لغاية هذه الساعة .

وفي ١٠ منه ورد من أمادى بريد هام وورد من بين مشتملاته رسالتان مستعجلتان صادرتان من الأمير كرم الله الى امين بك لا يتعدى مضمونهما مضمون الرسائل السابقة . غير انه ذكر برسالتيه الأخيرتين خبرا هاما وهو خبر عقد نيته الآن على المجيء الى لادو . وأذيع فى الوقت ذاته نبأ فحواه ان ١٦٠٠ رجل من المهديين وصلوا الى ماجوننجو وقصدهم الهجوم على امادى . وما لبثت اخبار مكراكا ان أيدت هذا النبأ .

وفي ١٥ نوفمبر أتى الى لادو خبر بان المهديين تقدموا صوب أمادى واحتلوا قرية الرئيس تكفارا الواقعة ارضه على ضفة نهر جاي الغربية بينما محطة أمادى قائمة على ضفته الشرقية . والرئيس تكفارا هذا كان قد بقى على ولائه للحكومة وساعد مساعدة كبرى هو ورجاله بتوريد الحبوب وغيرها من المحاصيل الى محطة أمادى .

وصول المهديين ومقاومة الجنود المصرية لهم

وفي ١٧ نوفمبر وصلت أول تجريدة من المهديين بمراى من أمادى وهى أقصى محطة فى الشمال الغربى لمديرية خط الاستواء فى وقتها . ووقف الدراويش وكانوا قد وصلوا ليلا على الضفة النهر تجاه المحطة . وصاحوا فى الصباح وهم على الضفة الأخرى من النهر على ثلة من الجنود المصريين كانت قد خرجت لاستكشاف العدو قائلين أنهم يحملون كتباً من الأمير كرم الله وانها تختص بتسليم المديرية حسب جوابات الأمير أمين بك . وطلبوا عبور السفينة التى كانت راسية بالضفة القائمة عليها المحطة الى الضفة المقابلة لها فاجاب الجنود بأنهم سيبلغون الأمر الى قائدهم ويأتونهم بالجواب .

وفى خلال هذه المناقشة ذاع وانتشر بسرعة فى أمادى خبر وصول الدراويش فاحتشد على شاطئ النهر بالتدريج جمع من العساكر للتفرج . ولما رأى الدراويش أن عدد العساكر آخذ دواما فى الازدياد وان الحذر باد على وجوههم غرسوا حربة فى الارض وعلقوا فيها كتب الأمير وانسحبوا الى حيث معسكرهم الرئيسى .

وأرسل الصانع مرجان افندى الدناصورى قائد المحطة فى الحال سفينة صغيرة الى الشاطئ الثانى لتأتى بهذه الكتب . ولدى تلاوتها لم يوجد فيها شئ غير ما سبق وصرح به الدراويش . وأمر مرجان افندى بتصويب النار على الدراويش إذا عادوا ليطلبوا الاجابة . وتنفيذا لهذا الأمر احتجبت الجنود خلف الأشجار التى على الشاطئ وأعطيت تعليمات مقتضاها انه عندما يطلق مدفع من الحصن يكون اطلاقه اشارة بالبده فى ضرب النار .

وظهرت الدراويش في اليوم الثاني وتقدر قوتهم بزهاء ٢٥٠ رجلا . وقبولوا لدى اقترابهم بنيران حامية فانسحبوا . وأتوا مرة اخرى في اليوم الثاني محتجين وراء الاشجار واشتبكوا هم والجنود في حرب تبادلوا فيها الرصاص دامت ثمانية أيام . ولاحظ اليوزباشى خير الله افندى حميد في اليوم الثامن ان الدراويش يقطعون الأشجار ليقيموا لهم زريبة تقيمهم نيران الجنود فطلب عندئذ من مرجان افندى ٣٠٠ رجل ليخرج ليلا ويفاجئهم في حجب الظلام . وبين وقد أصاب في بيانه محجة الصواب أنه لو ترك لهم الوقت لعمل الزريبة لتعذر عند ذاك اقتلاعهم منها .

ولقد كان في امكان خير الله افندى فعلا التخلص بسهولة من الدراويش بالعدد الذى طلبه من الرجال لأن أمدى كان بها حامية مؤلفة من ٧٠٠ جندي ومدفعان من مدافع الحصون و ٤ مدافع ميدان . وعلى ذلك لم يكن هنالك أى خطر من القيام بكبسة ما دام يبقى في المحطة ٤٠٠ جندي .

ويقول فيتا حسان ان مرجان أفندى لم تكن من شيمته الشهامة فطرح ذلك الطلب ظهريا وقال انه لن يحاول الخروج الا بعد وصول الامداد من مكراكا . وبني الدراويش في هذا الوقت زريبتهم وهم آمنون مطمئنون وأخذوا يطلقون مقذوفاتهم من خلف الجذوع التى اتخذوا منها وقاية لهم على المحطة فترد عليهم الجنود مع اسراف مريع في الذخيرة .

وفي ٢ ديسمبر حدثت معركة شديدة دامت من الصباح الى منتصف النهار واضطر المهديون في نهاية الأمر أن ينسحبوا . وبلغت خسارة الحامية ١٢ قتيلًا بين ضباط وجنود و ١٨ جريحًا . وأغلب جروح هؤلاء

الآخرين ناشئة عن صدمات مزاريق زنوج « اجهر » Agahrs الذين استعان بهم الدراويش .

وفي ٢٠ ديسمبر قدم فيتا حسان الى أمادى بناء على أمر شفوى من أمين بك لزيارة الجرحى واستقاء الأخبار عن الأحوال في الحطة . والظاهر انه رأى ان الأمور فيها مختلة والنظام معتلا . وبعد مجيئه بزمن قليل أجهز على ٢٣ خطريا واسراتهم بمجرد اتهامهم بالمؤامرة مع المهديين وحدث ذلك بدون مرافعة ولا مدافعة . والغرض الوحيد حسب رأى فيتا حسان من اعدامهم هو الحصول على أموالهم لا غير . وكان قد استطاع من أول أيام وصوله ادراك الخطر المحدق بمحطة تدار قيادتها على ذلك المنهج فبعث في منتصف الليل برسول الى أمين بك قائلا ان الذخيرة قد حدث فيها إسراف زائد .

وفي ٢٣ منه سلمت امرأة عجوز ، وظيفتها إيصال الرسائل الى فريقى المتحاربين ، فيتا حسان ملفا صغيرا مختوما بالشمع به اربعة كتب معنونة باسمه .

الكتاب الأول من المهدى محمد احمد يتمنى فيه الخير له لخضوعه وامتناله ويكلفه تبليغ سلامه للأمير محمد امين ويرجو الاثنين الشخوص الى أم درمان فى أقرب ما يمكنهما لأنه يعتقد فى اخلاصهما فى الخضوع .

والثانى من الأمير كرم الله وفيه نفس التمنيات السابقة والنصح باعتناق الديانة الاسلامية . ويقول فيه ايضا انه ارسل جبتين إحداهما برسم الأمير محمد امين والاخرى برسمه . وهما هدية من قبل المهدى وانه يجب عليها

قبل ان يلبسهما ان يتوضئا ويصليا حتى تحمل فيهما بركة المهدي . ويوصيه كذلك ألا يوصل جبة أمين بك سوى ضابط أو يوصلها هو نفسه كيلا تدنس أيدي الجنود الشيء الذي باركه المهدي .

والثالث من حسن افندي عجيب الذي فوض اليه المهدي تسلم مديرية خط الاستواء ، يشكي فيه من تصلب الجنود وعنادهم في الرغبة في القتال بينا الأمير محمد أمين وكل الرؤساء يكنون للمهدية أحسن المقاصد وأطيب النيات . ويقول ان الروابط الودية والصلات الأخوية التي بين فيتا حسان وعثمان ارباب ابن عم المهدي عطفقت عليه قلب هذا الأخير واستجلبت نحوه رضاه ويطلب منه في نهاية الأمر المجيء الى معسكره فيحل فيه آمنا مطمئنا طليقا يتنقل حيث شاء ويذهب أينما يريد .

والرابع من عثمان ارباب يعرب له فيه عما يكرهه قلبه من أنواع الحب والمودة وجميل العواطف ويطلب منه إرسال مقدار من المظاريف وورق الجوابات ليستعملها في مكاتباته .

وكان المهديون يعتقدون لغاية ذلك التاريخ ان أمينا بك ومن معه مستعدون للتسليم بل راغبون فيه وان الصعوبة قائمة من جهة العساكر وحدهم وان هؤلاء هم الذين يمانعونهم في التسليم .

ويقول فيتا حسان انه في خلال المدة التي أقامها في محطة أمادي اي من ٢٠ ديسمبر الى ٧ يناير من سنة ١٨٨٥ م حضر واقعتين بين الدراويش والجنود فكانتا على ما يظهر عبارة عن مناوشات لا فائدة منها ولا يرجى منها شيء معين . وبينما كان الدراويش يقتصدون في الذخيرة ويقتصرون

على إرسال بعض طلقات متقطعة حتى لا يتركوا للحامية وقتا للراحة كانت الجنود تبعث بطلقات كثيرة بناء على أمر قائدهم مرجان افندى .

نعم إن العساكر كانت تقوم ببعض الهجوم ولكن كان يحدث ذلك بغير خطة معينة ولا نظام بل بدون غاية معلومة . ولقد نجحت مرة الجنود فى مفاجأة الدراويش فى زريبتهم فتعلقوا بأذيال الفرار مشتين بغير نظام . غير انه عوضا عن انتهاء فرصة الذعر والرعب الذى ران على قلوبهم وإشغال النيران فى زريبتهم اكتفت الجنود بأن يستولوا منها على بعض الأشياء ويرتدوا الى المحطة . وهذا الخطأ تقع مسئوليته على الضباط وحدهم دون سواهم .

واقتربت ذات يوم ثلة من الجنود ومعها مدفع الى مسافة ٥٠ مترا من معسكر العدو فخرج منه زهاء ثلاثين درويشا فانسحب الجند وتركوا مدفعهم غير ان بنحيت افندى برغوت وهو الضابط الوحيد الذى كان ملما بواجباته قابلهم وعلم منهم ترك المدفع فرجع ومعه خمسة من الجنود لاسترجاعه فوجدوه محل ما تركوه . وفى اللحظة التى شرع الجند فيها يجرون المدفع أصيب بنحيت افندى برصاصة كسرت ذراعه فوضعه خلف ظهره بدون ان ينبس ببنت شفة حتى لا يزعج الجنود إذ ربما عند ذلك يتركون المدفع ويلوذون بالفرار . وأدار برغوت افندى حركة نقل المدفع الى أمادى بهدوء وسكون حتى كأنه لم يحدث أى أمر ولم يلاحظ ان ذراع هذا الضابط الباسل قد كسرت إلا لدى وصوله الى المحطة . فلو تولى قيادة المحطة ضابط له هذه الغيرة وهذا الحماس لما وقعت أمادى فى يد العدو حتى لو كانت قوته أشد مما هى عليه .

إن مقاومة أو سقوط أمادى لها أهمية كبرى بالنسبة لمديرية خط الاستواء لأن سقوطها يفتح الطريق الى لادو وهذا بصرف النظر عن ضياع ١٠٠٠ رجل منها بينهم ٥٠٠ جندى نظامى . وقد أصبح الخطر على الأبواب . ويقول فيتا حسان انه عندما لاحظ سلوك مرجان افندى المنافى للصواب انقبض صدره حزنا واستولى عليه اليأس إذ أنه كان يعتقد أن أمادى لا يمكنها أن تقاوم بعد ذلك زمنا طويلا .

ويحكى فيتا حسان أنه كان يوجد تاجر يونانى يسمى ماركو جسبارى . وهذا التاجر ترك محطة أجاك عندما صار إخلاء رول وحضر الى محطة أمادى مع الجنود . وكان يحمل البندقية فى يده ويتمنطق بجعبة المظاريف . وقد علق بها وعاءين فى أحدهما لبن وفى الآخر سمن ويدور دواما فى الحصون مشجعا المساكر ويطلق بندقيته عند الحاجة ويوزع اللبن على الجرحى فى الشكنات ويضع السمن على جراحهم .

وفى مساء ذات يوم كان فيتا حسان مع مرجان افندى فاعترض أولهما على الثانى وكان قد سبق أن اعترض عليه مرارا لتبذيره وإسرافه فى الذخيرة وضرورة إقدامه على القيام بهجوم عنيف لحسم النزاع عن آخره وبدون تطويل مع العدو لاسيما ان هذا العدو يصل إليه يوميا أمداد بينما الحامية آخذة فى التناقص وميرتها آخذة فى النفاد . وكان فيتا حسان يستعمل فى الكلام بعض الشدة للمخاوف التى كانت تساوره بشأن الخطر المحدق بالمحطة لأنه خرج عن وعيه عندما رأى حصنا له هذه الأهمية عرضة للبوار والدمار لا لشيء سوى جريرة قومنداناه . وعلى ذلك أمر

مرجان افندى فيتا حسان بالرحيل فى الحال من أمادى عوضا عن أن يعى
نصيحته ويعمل بها وقال ان ليس لأحد آخر غيره ان يتكلم فى مسألة القيادة
وعلى الفور بحث له عن حمالين . وكىلا يزيد الموقف سوءا على سوء بارح فيتا
حسان أمادى فى منتصف الليل وسافر الى لادو .

١ — ملحق سنة ١٨٨٤ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء^(١)

القسم السادس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى لادو وزيارته لكبار موظفي المديرية

في ٢ يناير من هذا العام أفضى جونكر الى المحطة الصغيرة القائمة على حدود مديرية خط الاستواء . ورحل عنها في اليوم التالي وأسرع الخطي فوصل الى المحطة العمومية الجديدة التي أنشئت في أرض الرئيس كودورما Kudurma لتشرف على المراكز الغريبة وفيها ألقى عصا التسيار للراحة بضعة أيام .

وكانت هذه المحطة واقعة على سفح تل في وسط مزارع غناء وبها عدد وافر من المساكن وكثير من الأنعام . وكان ناظرها وهو ضابط يقال له مصطفى افندي درويش متغيبا عنها في ذلك الوقت في محطة واندى . وكان ابراهيم افندي محمد جورجورو مدير مركز مكراكا لم يرجع من الحملة التي سیرت لمعاقبة الأجارين Agars الثائرين واعادة بناء

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات في افريقية » للطبيب جونكر .

زربية روميك .

ولم يجد جونكر أية مكتبة من أمين بك فكتب له خطابا وطلب رده في واندى وعلم أيضا انه لم يصل الى لادو بواخر قط . ورحل عن هذه الحطة .

وفي ٩ يناير بلغ كبايندى فوجد حالتها تغيرت تغيرا كبيرا عما كانت عليه وقت زيارته الأخيرة لها . وشخص منها الى واندى مارا بمكرا كما الصغيرة . ولدى وصوله الى هذه الحطة الأخيرة عرف زربية احمد افندى الافغانى وبستانه الجميل إلا أنه وبالأأسف كان صاحبها قد أدركته الوفاة فى العام الغابر وبقي بعده آثار أعماله وأحضر له ملاحظ بستان سلة طائفة بأنواع الخضر والأثمار .

وفي ١٢ يناير دخل جونكر فى واندى وقابله فيها الضابط المصرى سليم افندى الرئيس بنفس الحفاوة التى قبل بها فى المحطات الأخرى . وهنا قدم رئيس الحطة العمومية مصطفى افندى درويش لمقابلته وتبلغه أن أمين بك كلف عشرة جنود بحراسة الطريق التى سيمر منها . وتلقى جونكر وهو فى واندى ردا من أمين بك على الرسالة التى كان بعث له بها وهو فى أرض كودورما وعرفه بأنه عقد النية على السفر الى لادو .

ورأى جونكر حدوث تغيير فى مركز مكرا كما منذ رحلته الأخيرة مع انه مر مسرعا بأراضى هذا المركز . ورأى ان الجنود العرب الذين كان يتألف منهم مجموع الحامية استبدل بهم عساكر نظامية تتولى شئونهم ادارة عسكرية غير أنه لسوء الحظ كان كل ذلك تحت رقابة وسيطرة ابراهيم افندى جورجورو النوبى وان كثيرا من الضباط الذين

كانوا يسيطرون عليه أمسوا الآن تحت إمرته .

هذه هي الحالة المحزنة التي وجد عليها جونكر هذه الجهات .

وفي ١٨ يناير يمم شطر واندی في قافلة يحافظ عليها عدة جنود وتراجمة ومرت بالمحطة المتوسطة الصغيرة التي كانت قد أقيمت في بلدة نيامبارا وقبل أن يصل الى لادو وجد في البلدة المذكورة رسالة من أمين بك يرحب فيها بقدومه ويبلغه انه أعد له منزلا .

وفي ٢١ منه وهو التاريخ الذي يبلغ فيه لادو استيقظ الطبيب مبكرا وأخذت القافلة في المسير وعندما اقتربت من المحطة بعث برسول ليبلغ أمينا بك خبر قدومها وأطلقت طلقات إعلانا بوصولها . وبعد ذلك شوهذ في الحال بعض أشخاص ممتطين بغالا ومعهم ستة من الجنود متشحين بكساو بيضاء وقادمين نحوهم . وكان هذا الجمع مكونا من أمين بك وسكرتيه احمد افندي محمود وصيدلى المديرية فيتا حسان . وبعد تبادل التسليمات الكثيرة والأشواق الوفيرة انطلق الكل سائرين على الأقدام الى ان بلغوا المحطة .

ولدى دخولهم الى لادو - وكان مركزها في الموقع الذي كانت فيه ولم يتغير غير ان معالمها كانت قد تغيرت وأضحى ينكرها من رآها سابقا للتجسينات التي أدخلت عليها - استصحبه أمين بك أولا الى ديوان المديرية حيث قدم بعض معارفه من الموظفين القدماء للسلام عليه ثم ذهب معه الى ديوانه الخاص فتخلله جونكر سراية من السرايات الحقيقية بالقياس لما كان يقع عليه بصره من المنازل في الازمان الأخيرة . وكان هذا

الديوان قائماً على النيل في وسط جنّة ويشتمل على غرف فيحاء وهذه الغرف وان كانت مفروشة بأثاث على الطراز الذي كان يستعمله أمم عصور الفطرة إلا انه كان ينفي بكل ما يتطلبه الإنسان من وسائل الراحة في قطر كهذا .

ودعا أمين بك جونكر أن ينزل في ضيافته إلى أن تصل الباخرة المرتقب قدومها فلي دعوته هذه منشرحاً مسروراً . وانقضى شهر يناير براحة وهدوء . وبما انه كان قد مر زمن طويل ولم يتقابلا وكان لدى كليهما أشياء كثيرة يبشها للآخر فقد مر الشهر المذكور بسرعة البرق . ولما كان من المحقق تقريبا قدوم احدي البواخر وكان انتهى من رحلته وزع كل متاعه الذي كان في الامكان الاستغناء عنه على أمين بك والموظفين الآخرين المقيمين في لادو . ولكن حدث بعد ما لم يكن في الحسبان إذ لم تأت الباخرة التي كان مرتقبا وصولها وكان لم يزل أمامه رحلة طويلة بلوغ أوطانه .

وقد ذهب جونكر لزيارة كبار موظفي المديرية وهم : فيتا حسان الصيدلى ، و احمد افندى محمود رئيس السكرتارية ، و عوض افندى أمين المخازن ، و حواش افندى وغيرهم . وكان الأخير قد أخلى سبيله من الخدمة ويحاول الرجوع اليها . وتردد مرارا على جونكر غير انه كان قد فرض على نفسه ان لا يتدخل قط في مثل هذه الأمور ولذلك لم يستطع الافندى المذكور ان يجنى أية ثمرة من وراء ترده عليه ومع ذلك لم تغمض لجونكر عين عن ان يفكر في أمر ضبط اتصفوا بالحمية والشجاعة مثل بخيت بك بتراكى و نور بك محمد اللذين كانا قد توليا قيادة

جنود المديرية ثم أرسلوا الى الخرطوم . وان يفكر كذلك في أمر ضابط آخر أقبل من الخدمة وذهب الى دوفيليه واتخذ له فيها مقرا وهو الضابط مرجان افندى الدناصورى . أولئك الضباط الذين كان يتحتم وجودهم في أوقات الشدائد المزمع ان تتمخض عنها الليالى .

وتقدمت لادو تقدما محسوسا جدا في السنوات الست التى غابها جونكر بعيدا عنها ففتحت فيها شوارع متقاطعة على شكل زوايا قائمة وأقيمت فى المربعات التى نشأت عن هذا التقاطع منازل للموظفين مشيدة بالطوب الاحمر . وبنيت مكاتب الادارة والمحكمة الشرعية وأماكن الضباط وغيرها على طول النهر بالوصف السابق ذكره . وكل ذلك بمباشرة عثمان افندى لطيف وكيل المديرية .

وكان النهر فى لادو طاغيا على الضفة جرف منها زهاء العشرين مترا وذلك فى بحر المدة التى غابها جونكر بعيدا عنها واضطر أمين بك أن يتقهقر بسور منزله الذى كان قائما على النهر . أما الموضع الذى كان واقعا عليه ديوان ومستودعات غوردون باشا فصار فى مجرى النهر .

وأهم متعة للنظر فى لادو البستان الذى أنشأه أمين بك فى جنوب المحطة وغرست به سائر أنواع الخضر والفاكهة . وكانت أثماره تباع للموظفين بأثمان محددة . ويوجد فى المحطات الأخرى بساتين مثله ويعلم من هذا ان البساتين كانت ينبوعا يدر فوائد للحكومة .

وكانت الصيدلية القائمة بقرب منزل أمين بك مرتبة ترتيبا حسنا والادوية موضوعة فيها بنظام على رفوف فى خزائن . ويوجد فى القاعة مائدة مستطيلة

تقسمها قسمين وعليها الميزان والمهاون وجميع ادوات الصيدلية . ويوجد خلفها بعض الأكواخ لاقامة المرضى وكل هذا مما يشرف الصيدلى فيتا حسان ويعلى قدره .

وكان يرتقب بفارغ الصبر الباخرة المزعم قدومها . ففى الأيام الأولى لم يعيروا الأمر كبير أهمية غير انه مع توالى الأيام وكروورها أخذت الافكار تتجه الى ان الأحوال فى الخرطوم صارت أكثر خطورة وأشد مما كانوا يتصورون .

وكان قبطان الباخرة الاسماعيلية التى سافرت من مشرع الرق الى الخرطوم فى ١١ ديسمبر أخبر ان باخرة اخرى كانت قد صدرت لها الأوامر بالسفر بعده من هذه المدينة الأخيرة الى لادو وها هو شهر فبراير قد أشرف على النهاية ولم يلح شىء فى الافق فأخذ الناس يتراشقون بالظنون غير انه لم يخطر ببال كائن أن يفترض أردأ الفروض واسوأها بل كان الأمل يحدوهم الى الاعتقاد بان منشأ هذا التأخير الحشائش النابتة فى منطقة السدود .

سقوط شمبى فى أيدي الزنوج والعمل على استرجاعها

وكان يلوح أن مديرية خط الاستواء غير مهددة بخطر عاجل بل كانت الظواهر تدل على ان الأمور فيها سائرة فى مجرى حسن . فالجنود قد عاقبوا الأجاريين الذين استولوا على محطة رومييك ودمروها تدميرا عقابا زاجرا . وها هو ابراهيم افندى محمد على وشك أن يقيمها ثانيا بعد أن وطد أركان السلم فى منطقتها إلا أن تمرد الأجاريين أفسد أحوال جيرانهم الذين

يكتفون محطة شمبي وأضحت المواصلات بين هذه المحطة و لادو مهددة وأرسل أمين بك من هذه المحطة الأخيرة مركبا تقل ١٢ جنديا بقيادة الضابط المصرى عبد الوهاب افندى طلعت ليحضر له قمحا من محطة بور . وفى ٢٩ مارس بعد سفر المركب وقبل أن تبلغ المكان الذى يمته وردت الأخبار منبئة بسقوط شمبي فى أيدى الزوج وقتل الحامية وتخريب المحطة .

وانحصرت الآن المخاوف على المركب وركابه فقط لأنه أضفى فى غير حين الاستطاعة نجاتهم إلا بمعجزة إذ أنه حتى لو فرض أنهم استطاعوا ان يشعروا فى الوقت اللازم بسقوط المحطة فى أيدى الشوار وأمكنهم الابتعاد عنها فلا يكون فى امكانهم عندئذ رجوع المسافة الفاصلة بينهم وبين لادو بالوسائل التى لديهم فى ذلك الفصل من السنة وهو فصل الرياح المضادة لاسيما ان تيار الماء يجرى عكسهم .

وساد قلق وكدر شديد على الباخرة المنتظر قدومها من الخرطوم لأنه اذا لم يتنبه قبطانها سلفا لسقوط شمبي فقد يجوز أن تقع الباخرة فى أيدى الزوج حتى فى حالة ما اذا تمكنت من الافلات منهم كان يخشى أن تقفل راجعة الى الخرطوم ظانة أنه بسقوط شمبي سقطت بور و لادو أيضا . وعلى ذلك كان من الحتم استرجاع شمبي مهما كان الحال ومهما بلغت نفقات استرجاعها .

وكان ابراهيم افندى محمد خاليا من الأعمال فى ذلك الوقت بعد انتصاراته على الأجاريين وعلى استعداد للقيام بما يؤمر به فصدرت له الأوامر بالمسير على شمبي ومعه امداد . وأرسلت كذلك امداد الى محطة يوفى وهى أقرب محطة

من شمي إذ انه كان يلوح انها في حالة خطر .

وصدرت الأوامر من باب الاحتياط وتلافيا لما عسى أن يحدث من الامور ، باخلاء المحطات البعيدة وحشد جيوشها في المحطات الرئيسية . أما محطة بور فانه وان كان لم يرد عنها خبر منذ شهر أبريل المنصرم أى بعد مرور آخر باخرة عليها فكان لا يستشعر بأى خوف بصدها إذ أنه كان يوجد لديها كثير من الميرة وبها ٢٠٠ من الجنود .

وكان أمين بك في هم من جراء مسألة تزويد لادو والعدد الكبير النازل بها من الموظفين والعساكر بالميرة فبعث بسكرتيه احمد افندى محمود الى محطتي دوفيليه و وادلاى الجنويتين ليستعجل وصول الحبوب الى المحطة .

ظهور السبب في عدم وصول بواخر الى لادو

وفي ١٦ مارس كان ميعاد مرور عام على سفر آخر باخرة أفلعت من لادو فكان كل انسان يجد في نفسه قلقا ونحما ويتساءل عما عساه أن يكون حدث في جهة الشمال خصوصا مع ما كانوا يعلمونه من أمر الثورة المهدية .

ووردت أخبار من مكراكا منبثة بحدوث تمرد موصى في محطة ريمو وقعت ثورة المتمردين باعدام الرئيس جاندا مصدر هذا الشر . ويقول ابراهيم افندى محمد أيضا انه غم عدة مئات من الابقار وانه على وشك السير على شمي بقصد استرجاعها .

وفي نهاية الأمر وردت في ٢٦ مارس رسالة من لبتون بك مدير بحر الغزال أزاحت الستار عما كان قد تم في الجهات الشمالية وأزال كل لبس وريبة .

وجاء في هذه الرسالة المعنونة الى أمين بك ان الدنكاويين أضرموا ثورة في القسم الشمالى من مديريته فأخمدوها وأطفأ نيرانها وأخذ الثائرون الى الطاعة . وانه علم من خطاب مرسل من شخص كان من ضمن مستخدمي مديريته في السابق الى شخص آخر مقيم عنده ان جيش الجنرال هكس باشا هزم وأبيد عن آخره وان هكس باشا نفسه وعلاء الدين باشا وكثيرا غيرهما قتلوا . وان مديرية دارفور سلمت للدراويش وان سلاطين باشا وقع أسيرا واعتنق الديانة الاسلامية وسمى عبد القادر وان المهدي يرحف على الخرطوم .

وهكذا تجلى الموقف وعلم السبب في عدم وصول الباخرة وأخذ جونكر يتساءل عما اذا كانت الخرطوم نفسها لم تسقط اذ انه كان من رأيه ان مصر وحدها لا تستطيع اخضاع لهيب الثورة . وبما انه كان يشتف من خلال الحوادث ان اقامته ستطول في لادو رأى انه ليس من الكياسة والذوق أن يستمر في ضيافة أمين بك اكثر مما مضى فطلب من هذا منزلا منعزلا فأجيب الى طلبه . وقد وعى أمين بك في سره هذه الأخبار المشؤمة وقتاما ولم يذعها لأحد من الجمهور .

وأرجع في هذا التاريخ حواش افندى الى الخدمة وعين مديرا للمراكز الجنوبية واتخذت دوفيليه عاصمة لهذه المراكز . وصدرت له الأوامر باخلاء المحطات التابعة لمركزى فادييك و فويرا في الشرق وحشد من بهما

من الجنود في محطات الجنوب كما حصل تماما في المحطات التابعة لمركز لادوكا وقت سقوط شمبي . ولم يبق بعد ذلك في قسم المديرية الشرقي غير محطة فاتيكو . وقد احتفظ بها لأنها واقعة في منطقة خصبة فيها كثير من الحب لتمييز بالزاد المحطات الاخرى .

وورد في خلال هذه المدة اخبار سيئة عن شمبي . وبينما كانوا يخالون في لادو ان ابراهيم افندي انجز مأموريته وانه جدد بناء المحطة إذا بكتاب جاء منه في ٧ أبريل يقول فيه انه من المستحيل السير الى شمبي نظرا للنجدات التي ارسلها الى المحطات الاخرى اللهم إلا إذا أتاه مدد مؤلف من ٦٠٠ جندي . وكان من رابع المستحيلات اجابة هذا الطلب في الوقت الحاضر للحالة الراهنة فتأجل استرجاع هذه المحطة الى وقت آخر إلا ان الايام تمخضت عن حوادث زادت الاحوال تعقيدا وارتباكا وجعلت هذا الاسترجاع بعيد المنال .

وفي ٢ أبريل قدم الى لادو ابراهيم افندي محمد و عبد الله افندي أبو زيد من مديرفي ، وضيف الله من أجاك التابعة لمركز رول بعد ان اداروا رحى الحرب على الاجاريين . وروى ابراهيم افندي ان دماء كثيرة أريقت في هذه الحرب وانه شنق عدة رجال من رؤوس الشوار وارتأى فيما يختص بشمبي ان لا فائدة من تجديد إقامة محطاتها الآن لأن الشوار يعودون لهدمها مرة اخرى . وهؤلاء الثلاثة أقاموا في لادو إلى آخر أبريل ثم عاد بعد ذلك كل منهم الى مركز عمله .

وفي أوائل مايو عاد فيتا حسان من رحلته في الجنوب وفي ١٣ منه تسلم جونكر المنزل الذي أعده له أمين بك . ولدى تجهيز هذا المنزل

لاحظ جونكر وقد استولى عليه الدهش ان الآلات التى كانت تستعمل فى ذلك هى نفس الآلات التى كان قد استحضرها سير صمويل بيكر والتى بغيرها ما كان فى الاستطاعة القيام بهذا العمل الضرورى إلا بعناء وتعب .

وقبيل أواسط شهر مايو علم أمين بك ان اللورون وهو رئيس من رؤساء الباربيين ذو قوة وبطش يهىء المعدات للقيام بهجوم على لادو . فكلف على افندى سيد احمد قومندان الرجاف بالتخلص منه والاستراحة من شره . وبعد أيام أشيع كذبا انه قضى نجه وصار فى عداد الغابرين وان ابنه حل محله فى مركزه .

وفى ٢٣ مايو وردت خطابات من لبتون بك مفادها انه أغير على مديريته وان جيوش المهدي صارت على قيد ست ساعات من المديرية وانه قرر أن يقاتل الى النهاية ويطلب منه أن يبلغ أسرته الوداع الأخير فيما لو عاجلته المنية .

وقد أطار هذه الاخبار لب أمين بك . وكانت الاخبار التى وردت فى الدفعة الأولى من لبتون بك عن هزيمة هكس باشا قد كتبت وظلت خافية على الجمهور غير انها مع ذلك تسربت وعلمها الناس لأن ابراهيم افندى كان قد قصها على البعض من الأهالى عند حضوره . وأرسل أمين بك فى طلب ابراهيم افندى هذا فى الحال لأن مديريته بها عدد كبير من الدناقلة الذين هم أهالى بلده وعاش بينهم سنين طويلة . وكان يأمل أن يستطيع منعهم من الانضمام الى المهديين بمساعدته . وبما أن كثيرا من الدناقلة تابعون لابراهيم افندى المذكور وهو موضع ثقة أمين بك فقد أراد أن

يفاضه شفويا .

وصدرت الأوامر الى جنود محطات لا توكا التي كان تقرر ارسالها الى محطة أمادي - وكانت قد قدمت - بالبقاء في الرجاف موقنا .

ورود خطابين من الامير كرم الله ولبتون بك
وعقد اجتماع للنظر في تسليم المديرية

وفي ٢٧ مايو دعا أمين بك جونكر للحضور الى الديوان مبكرا فذهب اليه في الحال ونفسه تحدته بانه لا بد أن يكون قد ورد خبر مشغوم فوجده جالسا في مكتبه وأمامه مكتوبان احدهما من الامير كرم الله قائد القوات المهدية الذي استولى على مديرية بحر الغزال يطلب فيه باسم المهدي تسليم المديرية والثاني من لبتون بك يخبره فيه باستيلاء جيش المهديين على مديريته وكان مع هذين الخطابين ايضا منشور من المهدي يدعو فيه سكان المديرية الى الطاعة .

ولم تكن شخصية الأمير كرم الله مجهولة في مديرية خط الاستواء . فقد كان دنقلاويا وأقام مدة في شمي . وكان يقصد بدعوته امينا بك والأهالي للخلود الى الطاعة قدومهم في الحال الى بحر الغزال وإلا فهو يبادئهم بالعدوان واشعال نيران الحرب .

وبعد هذا الذي جرى وحدث كان لا فائدة من الاستمرار على تكتم الحالة أكثر مما مضى لأن المنشور بلا ريب كان قد وزع في المديرية وعلم بمجرى الحوادث الخاص والعام .

فاستدعى امين بك عقـد جمعية من كبار رجال المديرية تتألف من : ضباط الحامية الثلاثة الكبار ، والقاضى ، ومعلم المدرسة ، و عثمان ارباب رئيس السكرتارية ، و فيتا حسان ، و عوض افندى ، و احمد افندى رائف وبعض موظفين آخرين .

وبعد تلاوة الخطابين والمناقشة تقرر ما يأتى :-

« حيث ان جيش هـكس باشا عجز عن هزيمة القوات المهدية وان لبـتون بك سلم مديرية بحر الغزال وانه من المستحيل حشد جنود المديرية بالسرعة اللازمة لمقاومة العدو مقاومة جدية فقد تقرر باجماع الآراء التسليم تفاديا من اراقة الدماء بدون جدوى » .

وصرح أمين بك بعد وضع هذا القرار انه مستعد للسفر الى بحر الغزال وطـلب أن يعرف من يقبل من الحاضرين مرافقته فى هذه الرحلة فتقدم عدد كبير جدا وطلبوا السفر ولعل قبولهم هذا كان من باب الملاطفة أو التعالى فى التحمس . ودعت الحالة لاصطفاء البعض منهم فوقع الاختيار على القاضى ، و معلم المدرسة ، و عثمان ارباب رئيس السكرتارية وهو من أسرة لها منزلة كبيرة فى دنقلة ، و موسى مأمور لاتوكا سابقا ، و احمد بابا الكاتب . أما جونسـكر فصرح بأنه يحتفظ باعلان ما يستقر عليه رأيه بخصوص السفر أو عدمه الى ما بعد . إلا انه فى الواقع ونفس الأمر كان قد عقد النية على عدم السفر لأنه كان يعرف جيدا بأنه متى وصل الى الأمير كرم الله يدعوـه الى اعتناق الديانة الاسلامية ويبعث به ليقضى باقى حياته عند المهدي .

وكان يرى من جهة القرار الذي اتخذ انه قرار صائب وأن لا مناص من العمل بما جاء به وانه ليس هناك وسيلة أخرى نظرا لبعثرة القوات في انحاء المديرية ولعدم كفايتها لصد هجمات جيوش المهديين ومقاومتهم مقاومة جديّة ينتظر من ورائها نجاح أو فلاح . غير انه لم يكن من رأيه وجوب سفر أمين بك مع الوفد إذ أن في استطاعته أن يعتذر بأنه بقي ليحافظ على المديرية باسم المهدي وكان يكتفى بكتابة جواب يقدم فيه واجب الطاعة وبذلك يكتسب الوقت ويبرهن على انه خضع للأوامر . أما سفره فليس وراءه غير بث روح الفوضى في المديرية .

تقرير خطة الانسحاب الى الجنوب

وأرسل أمين بك بلا توات الأوامر الى ريجان افندى ابراهيم مأمور مركز ممبشو بالانسحاب مع جنوده الى مكراكا وبعث في الوقت عينه أوامر بسحب جنود المحطات الواقعة جنوب محطتي مديرفي و ريمو . وكتب جونكر ايضا الى كازاتي في ممبشو حيث كان مقبلا ان يرجع الى لادو بغاية السرعة .

وفي ٢٨ مايو أي غداة اليوم التالي للاجتماع الذي عقده أمين بك قدم فيتا حسان و عثمان ارباب و عوض افندى وقابلوا جونكر وطلبوا منه عدم مبارحة لادو لأنهم كانوا يرون من خلال الحوادث ان النظام سيختل كثيرا بعد سفر أمين بك فهدأ روعهم بأنه سيبذل ما في وسعه في منع سفر المدير العام .

وانقضى يوم ٢٩ مايو بسلام ولم يحدث أي حادث . وأخذت أنفاس الهيجان

الذى ساد بادىء ذى بدء وأخذوا ينظرون الى الموقف بعين التعقل والفطنة
واقنع أمين بك بأن ينبذ السفر الى بحر الغزال ظهريا ويكتفى
بارسال الوفد .

وبما أنه عدا ذلك كانت الخواطر تهدأ مع توالى مرور الأيام وتنجلي
أمام أعين الناس الحالة التى هم عليها فقد انكشف لبصرهم ما يمكن أن
يبطنه الغد . فلو فرض أن المهديين استقر بهم رأى على أن يهاجموا
المديرية ففى غير امكانهم القيام بذلك الهجوم إلا بعد عدة شهور .
وفوق هذا فان حالة مديرية بحر الغزال لا يمكن موازنتها بمديرية
خط الاستواء .

فقد كان لا يوجد تحت سيطرة ابتون بك سوى بضع مئات من
الجنود النظامية . أما رجاله الآخرون فمن العرب الذين أظهروا الخيانة امام
العدو واضطروه بعملهم هذا الى التسليم بينما يوجد لدى أمين بك ٢٠٠٠ مقاتل
من الجنود السودانيين النظاميين مسلحين بسلاح رمنجتون يقودهم ضباط
قضوا زمنا فى الخدمة وخبروها ويمكن التعويل عليهم . وعدا هذا فان العداوة
المستحكمة بين الجنسين خير كفيل لعدم وقوع خيانة .

وتباحث أمين بك وجونكر معا بصدد الموقف وعن أقوم خطة
يجب اتباعها فاستقر رأيهما من غير تردد على انه من غير المستطاع السير
نحو الشمال للارتياح الذى هم فيه بشأن الحوادث الواقعة فى الاتجاه
المذكور . أما فيما يختص بخطة الانسحاب عن طريق ززبار فهذه
الخطة تنفيذها غير ممكن عمليا لكثرة عدد النساء والاولاد الذين تستلزم
الحالة نقلهم .

وأخيرا تبين لهما أن الحل الوحيد الممكن عمله هو الانسحاب نحو محطات الجنوب مع ترك حامية صغيرة فقط في لادو بصفة طليعة . وهذه الخطوة الأخيرة لم تنفذ برمتها إذ أنه لم يرسل الى دوفيليه إلا الكتبة ودفاتر الحكومة .

وكان جونكر ينوى السفر الى الجنوب إلا أنه رأى ان ينتظر من أجل تنفيذ هذه النية سفر الوفد برئاسة القاضي ومع ذلك فقد أخذ يتأهب لهذه الرحلة وأعطاه أمين بك حمارا و ٣٠٠ ريال لأن النقود التي كانت في حوزته لم يبق منها سوى ٧٥ ريالا .

وكان يرتقب قدوم ابراهيم افندى محمد بين يوم وآخر غير انه لم يأت وفي نهاية الأمر ورد خطاب منه يقول فيه انه لا يستطيع الحضور حالا لأنه ينتظر قدوم ناس من بحر الغزال . وربما كان هذا بدء الشروع في الخيانة .

وأخيرا في ٣ يونيه سافر الوفد ورافقه أغلب أهالى لادو حتى خارج باب المحطة الكبير . وفرغ جونكر من اعداد معدات السفر وبينما هو يتأهب للمسير في ٥ منه اذا بجندى من جنود مراسلة لبتسون بك قد قدم وقص أن هذا سرحه قائلا له أن انج بنفسك وانه رأى المهديين يحرقون دفاتر الحكومة وانهم باعوا علنا أهالى الجنود وانه على ذلك تعلق بذيل الفرار هو وآخرون من رفاقه .

ولقد عاد ما قصه هذا الجندى بفائدة جلى إذ جعل العساكر تلازم جانب الطاعة وبعث في نفوسهم تأثيرا عميقا لا يحويه كرور الايام .

وفي ٦ منه تقابل جونكر مع أمين بك عدة مرات وسلمه خطابات بقصد تصديرها إذا قدمت بأخرة أثناء غيابه . وقد نظما قانونا للمخابرات السرية بينهما في حالة حدوث أشياء هامة .

وفي ٧ يونيه استأذن جونكر من أمين بك وفارقه والأسى ملء جوانحه لما قدمه له من المعروف وحسن المعاملة . وكان يشعر بكثير من الغم أيضا لأنه سيسافر بدون معداته التي كان قد وزعها ولأنه كذلك فقد جميع مجموعاته التي كان قد جمعها في غضون ريادته الأخيرة تلك المجموعات التي تركت في بحر الغزال .

وكان كل قصده الوصول الى ساحل زنبار عن طريق أونيوورو وأوغندة وكان يقدر سلفا امكان التثبيت بضيافته زمنا طويلا عند ملكي هذين البلدين الأخيرين وهما كباريجا و امبسا . اللذين لم يبلغه الى ذلك الوقت خبر وفاتهما .

وكان من بواعث اشجانه أيضا ان التجارة التي كانت نشطت وازدهرت في السنين الخوالي بين أونيوورو وأوغندة ومحطات مديرية خط الاستواء الجنوبية قد انقطعت منذ زمن وأدركها العفاء .

وكان لم يصل الى أمين بك في الواقع ونفس الأمر أخبار من أوغندة من وقت ما رجع منها الدكتور فلكن عام ١٨٧٩ م ويجهل جهلا تاما ما كانت عليه المحطات التي أقامها أولئك المبشرون أي لا تزال باقية أم أصبحت أثرا بعد عين . ومما زاد في طول المسافة التي يتعين عليه ان يجوبها بين هذين البلدين والبلد الخاضع لسيطرة الحكومة اخلاء محطات مديرية خط

الاستواء الجنوبية .

سفر جونكر الى الرجاف

وكان الطريق وقت سفره من لادو التي كان يظن انه لن يراها بعد ممتدا على شاطئ النهر والأمن فيه موطن الأركان لأن المحطات التي كانت قائمة على طولها كان يربط فيها جنود نظامية سودانية بقيادة ضباط من جنسهم أو مصريين وكان جميع الدناقلة موزعين بين مكراكا و ممبتو و رول .

وكان جونكر يسافر برا على ظهر حمار وقابل اثناء مسيره ثلة من الجند عائدة من لاتوكا وكان كثير منهم مصابا بالمرض المسمى « فرانتيت » Frantit وكان ٢٥ منهم محمولين على نقالات . وهذا المرض كان محصورا في مركز من مراكز هذه المديرية فيه يشرب السكان ماء را كدا واغلب المرضى قادمون من هذه المحطة بينما كان سكان المحطات الأخرى سالمين من هذا المرض .

ومر حيال غندوكورو القائمة على الضفة الأخرى وكانت بها حامية صغيرة وكانت هذه المحطة في سالف الأيام عاصمة مديرية خط الاستواء . وقضى ليلته الأولى في قرية من قرى البارين ووصل ثاني يوم سفره الى محطة الرجاف ونزل بها في ديوان أمين بك فوجدها تموج بالجنود العائدين من المحطات التي أخليت . وقد قضى يوما في الرجاف واشتبك في الحديث مع المساكر المرابطين بها فتأكد من هذه الحادثة أن الجنود سيظلون موالين للحكومة لأنهم يشنون العرب ويغضونهم من أعماق قلوبهم ويرون

انه لا ينتظر من وراء هؤلاء خير .

ومن ضمن المبالغات التي سمع بها جونكر القول ان جيشا من المهديين مؤلف من ٢٧٠٠٠ مقاتل على وشك المسير الى مديرية خط الاستواء وأخذ يجول في فكره أن البلد لا يستطيع قط أن يتحمل جيشا عرمرما كهذا .

سفره الى لا بوريه

وفي ٩ يونيه بارح جونكر الرجاف وأفضى في عشية هذا اليوم الى بيدن بعد أن قطع معظم المسافة مشيا على الأقدام . وهذه الحطة واقعة في جزيرة يوصل اليها بواسطة طوف « معدية » يسير بواسطة جبل من الصلب . وقضى الليل في الكواخ غاية في النظافة . وتوجد في كل محطة الكواخ كهذه خاصة بأمين بك وقدمت اليه لوازمه جميعها .

وأقلع جونكر في اليوم التالي مبكرا على ظهر مركب يجرها الرجال من الضفة باللبان « الحبل » وكان تقدمها في السير بطيئا لشدة جريان الماء وسيرها في اتجاه مضاد للتيار فدعت الحالة الى المبيت في الطريق ومقاساة الصعاب بسبب الامطار ولم يصل الى كرى أى المحطة التالية إلا في الغد . وكان قائد المحطة ضابطا مصريا يقال له فولا افندى . وقد قابل جونكر وذهب به الى ديوان أمين بك وهو قائم وسط مزرعة من شجيرات السوز وفيه نزل . وقد تناول صاحب المركب الذي أقله من بيدن الى كرى أربعة ريات أجرا .

وبلغ جونكر ان احمد افندى محمود سكرتير أمين بك الذي كان قد

أرسل الى محطات الجنوب من عدة شهور ليستعجل ارسال الجيوب أصبح على وشك المجيء من موجى فقرر انتظاره . وفعلا وصل هذا فى غد اليوم التالى الموافق ١٢ يونيه وسمع قصص الحوادث التى وقعت فى مدة غيابه بلهف وشغف عظيم . وبما انه كان عائدا بمقادير كبيرة من المؤن فقد أعطى مقدارا منها الى جونكر وتناولوا الغداء معا . وفى الغد عاود احمد افندى المسير موليا وجهه شطر لادو وسافر جونكر فى اتجاه محطة موجى برا فدخلها فى اليوم نفسه مساء ونزل كالعادة فى أكواخ أمين بك القائمة فى أعلى مجرى النهر ولنفاضة هذا الموضع عزم على الإقامة فيه يوما .

وفى ١٥ يونيه سافر فى اتجاه لابوريه وبلغها فى اليوم عينه ونزل فى أكواخ لم تصل درجتها فى النظافة المنزلة المطلوبة وما ذلك إلا لعدم وجود أكواخ برسم أمين بك فبقى ليلة كريهة . وبما انه كان يتحتم عليه أن يقضى الليلة القادمة فى خور أيو الواقع على مسافة ساعتين فقط من لابوريه فلم يشرع فى المسير إلا عندما انتصف النهار وأرسل يطلب من حواش افندى فى دوفيليه حمارا قويا للركوب .

ومحطة خور أيو Khour Ayou قائمة فى الموضع الذى يصب فيه النهر المسى بهذا الاسم ماءه فى النيل . ويوجد فى هذا المكان معديّة لعبور النيل . وأنشئت هذه المحطة للمحافظة على المعديّة ولتقصير المسافة بين لابوريه و دوفيليه لأن هذه المسافة لا يمكن قطعها فى يوم واحد . ويوجد فى هذه المحطة مسكن لأمين بك نزل فيه جونكر . وانتدب شخصا ليكترى له حمارا فعثر على حمار واكثره بريالين ودفعهما وقيل له بعد ذلك ان صاحب

الحمار متغيب وزوجه تأبى تسليم الحمار . ولم يستطع السفر فى اليوم التالى لأن ثلاثين شخصا من حماليه تعلقوا بأذيال الفرار ليلا وما أمكن إرجاعهم إلا فى المساء .

وفى ١٨ يونيه رحل جونكر مبكرا لأن المسافة التى يتعين عليه قطعها الى ان يصل الى دوفيليه طويلة . والحمار الذى كان قد أحضره معه من لادو مشى فى ذلك اليوم بخطوات سريعة إذ أنه كان قد استراح فى اليوم السابق . ويمتد الطريق ومجرى النيل مسافة ساعتين ثم ينعرج الى داخلية البلاد ليتجاشى التلال الممتدة لغاية النهر الذى لا يعود المسافر أن يراه إلا لدى بلوغه دوفيليه . وكان وصوله الى هذه المحطة فى الساعة الثالثة مساء . وقد قابل فى منتصف الطريق بغلة مرسله له من قبل حواش افندى فركبها فى المسافة الباقية من الطريق .

وقدم حواش افندى والضابط المصرى ابراهيم افندى حلیم والضابط السودانى مرجان افندى الدناصورى لمقابله جونكر وليساموا عليه . وذهب به حواش افندى الى داره وفيها نزل . ووجهت اليه أسئلة كثيرة عن جميع ما كان قد حدث فأخبرهم بما وصلت اليه الأحوال وأراد هو أيضا أن يعرف مجرى الحوادث فى جهات الجنوب فوعده مرجان افندى الذى كان قد أعيد الى الخدمة وأزمع أن يسافر فى اليوم التالى الى وادلاى على متن الباخرة « الخديو » ، أن يواصله بأخبارها .

واستقر بجونكر الرأى على أن يطيل مدة اقامته فى دوفيليه فأخذ الاستعدادات اللازمة لذلك . وكان فى السكن الذى نزل به وسائل الراحة . وبعد بضعة أيام انتقل حواش افندى الى داره الجديدة . وبقي جونكر وحده

في الدار القديمة الأمر الذي سره لأن دوفيليه أخذت تموج بالسكان بسبب استمرار قدوم الكتبة والمستخدمين المنقولين من لادو .

وفي ٢٤ يونيو رؤى هلال شهر الصوم فأطلقت المدافع ايذاناً بحلوله . وكان جونكر ينتظر كل يوم بفارغ الصبر ورود أخبار من امين بك لأن سفره كان يتعلق بما قد يمكن ان ينبئه به ولسوء الحظ لم يأت من قبله خبر جديد . وجميع ما كتبه له مصدره اشاعات أذيعت لا أكثر . واستدعى امين بك حواش افندى الى لادو لكي يحضر اجتماعا تقرر عقده فيها للمداولة فاعتذر عن الحضور لكثرة ما عنده من الأعمال .

وبعد سفر مرجان افندى الدناصوري وردت أوامر من لادو تقضى بذهابه الى محطة امادى ومعه عدد من جنود الحطات التي أخليت وتسلم قيادتها واعادها للدفاع فعاد على الفور من وادلاى التي لم يكن قد بارحها بعد وسافر في اتجاه الجنوب وعلى هذا لم يستطع ان يأتي جونكر بخبر من الاخبار من هذه الاصقاع .

وسافر مرجان افندى مع حواش افندى في ٥ يولييه الى لادو .

ووقع أغلب خدام جونكر في مخالب المرض في غضون اقامته في دوفيليه ولم يستطع ان يهوى له شيئاً للطهى والتزم ان يقبل ضيافة الضابط المصرى مصطفى افندى وصار هذا يرسل اليه اكلتين في اليوم وكان جونكر يبعث اليه في كل مرة يذبح فيها خروفا مقدارا منه وكان يبعث منه كذلك للاشخاص الذين يرسلون اليه طيوراً ومن بين هؤلاء كاتب قبضى يقال له باسيلي افندى .

ووافق آخر يوم في شهر رمضان ٢٤ يولييه وأعقبه عيد الفطر فذهب
جونكر الى اصدقائه وزارهم واضطر ان يوزع على سبيل الهدية ما قيمته ٢٥
ريالا للخدم ولصغار المستخدمين وصغار الحطة .

عدول جونكر عن السفر الى الجنوب

وفي آخر شهر يولييه آب حواش افندى من لادو الى دوفيليه وأخبر
ان مرجان افندى عين قومنداننا في محطة أمادي وان حاميات بوفي و أجاك
و روميك أرسلت الى هذه المحطة حتى أنه لو حدث قتال تكون محطة
أمادي المذكورة بمثابة حصن أمامي للادو . وعين فرج افندى يوسف الذي
كان قائدا في تنجازي قومنداننا في مكراكا بدلا من سليم افندى الذي
استدعى بسبب بعض تهم وجهت اليه ونقل الى دوفيليه وأرسل فيما بعد هو
وسنيان افندى الى المحطة الجديدة التي أقيمت في أبي نخرة Abou Nakhra على
الضفة اليمنى بين دوفيليه و وادلای .

وخل حواش افندى قائدا للمحطات الجنوبية لغاية لابوريه وتولى ابراهيم
افندى حلیم قيادة لابوريه و موجى و كرى وكان متغيا في مأمورية بناء
محطة أبي نخرة .

ولم يشأ جونكر أن يتوغل في السفر جنوبا أبعد من دوفيليه لأن
الآمال كانت لم تزل تساوره بتقدم باخرة يوما من الخرطوم وعندئذ يكون
بعيدا كثيرا ولا يكون متوافرا لديه الوقت الكافي للرجوع وركوب تلك
البخرة إذ كان من رأيه ان المدينة لا تترك مطلقا الهمجية تعبت في
اكفاف السودان . وبناء على ذلك رجع قبيل أواخر شهر أغسطس عن

رأيه الأول القاضى بذهابه نحو الجنوب الذى لم يصل اليه من أخباره شيء وظن انه يكون من المستحسن والأفضل الاقتراب من الجهة الشمالية . وعدا ذلك فان أمينا بك أرسل اليه دعوة بالحضور الى لادو إلا أنه قرر أن لا يذهب لغاية هذه المحطة بل الى كرى فقط ويراقب منها مجرى الحوادث .

وفى ٣٠ أغسطس سافر حواش افندى و سليمان افندى الى وادلاى ليتوجها منها الى محطة أبى نخرة الجديدة لافتتاحها . واتفق جونكر من جهته مع مصطفى افندى الضابط المصرى الذى كان مقبلا فى دوفيليه ونقل الى محطة خور أبو على أن يسافرا معا الى هذه المحطة . إلا أنه بعد أن انتظره مدة لينجز ما لديه من الأعمال رأى ان المسألة ستطول فسافر بمفرده فى ٤ سبتمبر من دوفيليه .

وبعد أن قضى جونكر ليلة فى خور أبو وصل إلى لا بوريه وقضى فيها يوما ثم سافر الى موجى وأقام فيها كذلك يوما وسافر منها الى كرى ولدى وصوله نزل فى دار أمين بك وكتب إليه بوصوله . وكان فولافندى الذى كان قائدا لهذه المحطة وقت سفره فى الذهاب قد نقل الى أمادى تحت رئاسة مرجان افندى وعين محله احمد افندى الاسيوطى (١) وهو ضابط سودانى من رجال عهد سير صمويل بيكر . وقد بذل ذلك الضابط كل ما فى وسعه فى سبيل راحة جونكر مدة اقامته .

(١) — هو مثل مرجان افندى الدناصورى من أبناء السودان وقد توطن بمديرية أسوط فنسب اليها وجند مع من جندوا من أبناء القطر المصرى للسفر فى الاورطة المصرية فى حرب المكسيك ثم عاد منها ولحق بالخدمة فى السودان .

عودة جونكر الى لادو

وفي ١٤ سبتمبر لحق ابراهيم افندى حليم بجونكر في كري . وقرر جونكر الذهاب الى لادو طوعا لارادة أمين بك الذى كان يلح فى ذلك .

وفي ١٥ منه اتخذ سبيله فى اليم على متن سفينة المحطة التى وضعها أمين بك تحت تصرفه . وكان بمعيته ابراهيم افندى ووجهته بيدن . وقدم له احمد افندى قبل أن يسافر سلتين كبيرتين على سبيل الهدية مملوءتين فولاً سودانيا . ويزرع هذا النوع بكثرة فى جهات كري .

ولم يجد جونكر فى بيدن قائد المحطة وكان قد ذهب لجمع العلف من الضواحي . وبعد ان قضى الليل بلغ فى ١٦ سبتمبر الرجاف وفيها وجد على افندى سيد احمد وهو من اقدم ضباط المديرية وحائز لثقة أمين بك التامة . ونقله هذا عند بدء الاضطراب قائدا للحرس فى لادو . واستعيض عنه فى الرجاف بضابط مصرى آخر من أمادى يقال له عبد الله افندى وعين بدل هذا فولة افندى من كري .

وصوله الى لادو والحوادث التى وقعت فى غيبته

وفي ١٧ سبتمبر شخص الجميع الى لادو ولدى مرور جونكر بفندوكورو وقف ليزور هذا الموضع التاريخى الذى اتخذته الحكومة بادىء الأمر قاعدة لها ومنه دوخ سير صمويل بيكر كل الاراضى الواقعة جنوب ممتلكات مصر وأخضعها . وبعد الفداء استمروا فى طريقهم غير أنهم لم يصلوا الى لادو

إلا وقت العصر بسبب هبوب الرياح من جهة الشمال بشدة . وكان أمين بك وبعض الاصدقاء في انتظار جونكر في المـوردة وبعد تبادل عبارات التحية والتسليم أخذه وأسكنه في منزل عثمان ارباب الذى كان خاليا لداعى سفر صاحبه مع الوفد .

وبما ان خدم جونكر ما كانوا قد وصلوا بعد فقد نزل هو ضيفا على أمين بك مؤقتا . وأول محادثات دارت بينه وبين أمين بك كان موضوعها بالطبع الحوادث التى وقعت فى خلال غيبته . وهذا ما علمه :

أرسل الأمير كرم الله الى جميع موظفى المديرية كتبها كالتى بعث بها الى أمين بك : أى الى عثمان افندى لطيف فى روميك ، و ضيف الله فى أجـاك ، و ابراهيم افندى فى مكرا كا . وكتب هذا الأخير الى أمين بك يخبره انه ارسل الى أمادى البغلة التى طلب منه إرسالها ليركبها فى سفره الى بحر الغزال وأنه سيقابلها فى محطة أمادى المذكورة . وبناء على ذلك جمع ضابط مصرى يقال له خليل افندى مرعى مرءوسيه فى مكرا كا وقال لهم : « لكل واحد منكم أن يذهب حيث شاء إذ ان الحكومة اندثرت وزالت » . وعندما سمع امين بك هذا النبأ انتدب فى الحال ضابطا و ١٠ من الجنود للقبض على ذلك الضابط .

وورد بعد ذلك بزمـن يسير تقرير من بلال افندى بكابايندى يقول فيه ان ابراهيم افندى جورجورو أرسل ٢٠٠ رجل من الاهالى ليجمعوا النساء والاولاد وأخذهم وأخذ معهم الأسلحة والذخيرة التى فى مستودعات واندى وخرب كابايندى تخريبا تاما تقريبا ووضع الأغلال فى عنق مصطفى افندى درويش واقتاده معه وسافر مع خليل افندى مرعى ومحازبيه الى بحر

الغزال . وهكذا تمت نبوة جونكر عن هذا الرجل .

وكتب عثمان ارباب من امدى وهذا هو سكرتير أمين بك الذى سافر مع الوفد يقول ان الأمير كرم الله سيبارح بحر الغزال ميمما لادو في ٢ رمضان الموافق ٢٦ يونيه . وكتب كذلك ضيف الله يقول ان مع الأمير كرم الله في بحر الغزال ٧٠٠٠ مقاتل .

وورد نبأ من محطة رومبيك أن العرب فيها تركوا المحطة عندما سمعوا أن مديرية بحر الغزال سقطت لينضموا الى الأمير كرم الله وان الزوج ذبحوهم في اثناء الطريق وبذلك أضحت رومبيك واقعة في الخطر فأمر امين بك باخلائها وتوجيه حاميتها الى اجاك . وكلف امين بك قائد هذه المحطة الأخيرة سليمان افندى بهذه المأمورية فذهب الى رومبيك على رأس ١٨٠ جنديا وجرد العرب الذين كانوا قد تحلفوا فيها من الأسلحة وأرجع الجنود ومدفعين والذخيرة وبعض المؤونة الى اجاك في ١٧ أغسطس . وأخلت كذلك محطتا اجاك و بوفى بعد هذا التاريخ بزمن يسير وانضمت حاميتها الى حامية امدى لتقويتها .

وجاهر العرب في مركز رول من أول الأمر بالعدوان والكراهة للحكومة . وجرد صياد من صيادى الافيال يقال له على كركوتلى العساكر المرابطين في محطة صيادين الصغيرة من أسلحتهم وذخيرتهم وأخذهم أسارى . ولما نقل مرجان افندى من دوفيليه الى امدى أرسلت إليه الأوامر بأن يبعث تكفارا رئيس الزوج المقيم على مقربة من المحطة والذي ما فتئ مواليا للحكومة لمعاقبة على كركوتلى .

أما عن الوفد فقد علم جونكر انه قام نزاع بين أعضائه وان البعض منهم رجع الى محطة صيادين . وكان هذا الخبر صحيحا لأن أميننا بك قد وصل اليه في ٢٠ أغسطس من مرجان افندى خطاب أرسله اليه عثمان ارباب من المحطة المذكورة يقول له فيه انه قدم من بحر الغزال حاملا مراسلات برسم أمين بك حاوية أخبارا سارة ويطلب ارسال رجال لاحضاره لأنه مستعجل . وأرسل اليه مرجان افندى الرجال في الحال . ومع انه قد قضى الوقت الكافي لقدمه فهو لم يحضر للآن وما فتىء أمين بك ينتظره في لادو الى تلك الساعة . وفوق ذلك فانه هو وجميع أعضاء الوفد الآخرين الذين سافروا لم يعودوا بعد مطلقا وظلوا مع الثائرين .

ووردت في نهاية الأمر أخبار طيبة من محطة بور بعد أن ظلت أخبارها منقطعة ستة عشر شهرا وتبين من هذه الأخبار ان الضابط عبد الوهاب افندى طلعت والاثني عشر جنديا الذين كانوا معه نجوا جميعا وان الزنوج قاموا بهجمة فصدت وان الحالة مرضية .

ولم يبق من المحطات الواقعة على الضفة النيل الشرقية إلا محطتي بور و غندوكورو ويمكن تلخيص الموقف فيما يأتي :

لم يهاجم مهديو بحر الغزال مديرية خط الاستواء وعلى هذا يجوز أن يكون عدد رجالهم الذي قدم من كردفان غير كبير أو أن الناس الذين قدموا منها توطنوا مديرية بحر الغزال . ويظهر ان قوة العدو التي يعتمد عليها في هذه المديرية تنحصر بالأخص في العرب الذين كانوا مقيمين فيها من قبل واحتل هؤلاء بالاتفاق مع من قدم محطات خط

الاستواء الغربية وشحذوا غرار المـزم على القيام بهجوم على محطة أمادى .
ووقع فى أيدى الثائرين علاوة على أجاك التى كانت قد أخليت ، المحطات
الصغيرة الواقعة جنوب غرب رول بما فيها « صيادين » . وكانت محطتا كاليكا
و لوجو Kalika & Loggo قد أخليت كذلك . أما ممتو فكانت لم تزل
محتلة ومثلها محطات مكررا كا الواقعة شرقا . ونقلت حامية بوفى وانضمت
الى حامية أمادى لتقويتها وأحيطت هذه بسياج من الخنادق وصارت الحصن
لحدود المديرية والنقطة الحصينة الأمامية للادو .

هذه هى الحوادث التى حدثت فى أثناء غيبة جونكر والحالة التى كانت عليها
المديرية يوم ١٧ سبتمبر أى تاريخ رجوعه الى لادو .

جمع الحاميات فى أمادى وتحسن الحالة

وفى ٢٦ سبتمبر وصل خدم جونكر الذين كانوا قد تحلفوا عنه ورتبوا
منزله . وكان يصل اليه كما كان ذلك جاريا فى المدة السابقة راتب من اللحم
والخضر من الحديقة واردب ذرة من مستودعات الحكومة .

وفى ٢٨ منه دعى جونكر لتناول الغداء فى منزل فيتا حسان هو و احمد
افندى محمود و ابراهيم افندى حليم . وكانت دار فيتا حسان ممتازة أكثر من
غيرها من الدور فى لادو لأنه كان قد استحضر أشياء حين رحلته الأخيرة
الى الخرطوم . فقد كان يوجد عنده البن والسكر وهما من الأشياء التى كانت
لا توجد عند غيره . ولا عند أمين بك . وكان هذا يستعمل مثل الآخرين
الكركدب وهو حبوب شجيرة يجرها الزوج ويعملون منها منقوعا يشربونه
عوضا عن القهوة .

ووافق أول اكتوبر أول أيام عيد النحر فعمل أمين بك في بكرة النهار حفلة استقبال في ديوان المديرية حضرها جميع الموظفين الملوكيين و العسكريين مجلس كبارهم مع المدير العام وقدمت لهم المرطبات بحضوره . وأما الآخرون فانسحبوا بعد أن سلموا عليه الى ديوان مجاور لاقوا فيه الحفاوة والاكرام .

وحضر جونكر بالطبع هذا الاحتفال وجلس بجانب أمين بك .

وبعد العيد عقد زواج ابراهيم افندى حليم على كريمة على افندى سيد احمد وفرض لها مهر قدره ١٥٠ ريالاً وأقيم لذلك حفلة كالمعتاد رغماً عن أوقات الشدة التي كان يصطلي الناس بنارها .

وفي ٩ اكتوبر سافر على افندى سيد احمد و ابراهيم افندى حليم و فيتا حسان من لادو فذهب الأول الى الرجاف ليتهم عملاً كان قد شرع فيه ، والثاني الى مركز عمله وهو مأمورية محطات لا بوريه و موجى وكري ، والثالث ليعود مرضى المحطات الجنوبية وبالاخص دوفيله حيث كان المستخدمون في انتظاره .

وحفر في مدة غياب جونكر عن لادو خندق حول المحطة والتراب الذي خرج من الحفر عمل منه متراس نصب عليه مدفعان أحدهما في الزاوية البحرية الغربية والثاني في الزاوية الجنوبية الغربية . وقد باشر هذا العمل الضابط المصري محمود افندى العجيمى وأحسن اتمامه . وهذا الضابط اشترك في حرب الترك مع الروس سنة ١٨٧٧ - ١٨٧٨ م .

وفي ١٠ منه ورد بريد من مرجان افندى وبه عدة كتب من بينها كتابان من الأمير كرم الله لأمين بك منطوقهما كمنطوق كتبه السابقة إلا

أنه زاد على ذلك ان قال ان قدومه الى لادو في القريب العاجل من الأمور التي لا بد منها والمسألة الاساسية في الحالة الراهنة هي مسألة الدفاع عن أمادي وكان قد أقيم حول هذه خندق كالذي عمل حول لادو ووصل اليها حاميات المحطات التي أخليت والتي وصلت اليها الأوامر بالذهاب اليها . وأرسل أمين بك بعض أوامر الى مكرا كا واستدعى فيتا حسان و على افندى سيد احمد .

وفي ٣٠ اكتوبر حاول أمين بك ارسال خطاب الى بور وبعد ٢٠ يوما من هذا التاريخ ارتد له خطابه لان الطريق كان يحاصره الزنوج الثائرون . وفي اليوم ذاته أبلغ أمين بك جونكر ورود خطاب من مرجان افندى صادر عن أمادي يقول فيه انه أرسل الى محطة صيادين بعض الثقات بقصد الحصول على أخبار وان هؤلاء رجعوا وأخبروا بأنهم لم يتسن لهم الحصول على أخبار عن الأمير كرم الله ولا عن رجاله غير أنهم سمعوا من ناحية أخرى ان الرجال الذين كانوا بصيادين يستعدون للهجوم قريبا على أمادي بقيادة على كركوتلى والشيخ حسن واد الطيب . ويقول مرجان افندى علاوة على ما ذكر ان حامية أجاك بمدافعها وذخيرتها ومتاعها وصلت سليمة معافاة أما حامية بوفى فلم تزل الى الآن في الطريق . ويقول كذلك ان الحامية على أحسن استعداد وان الوفد الذى كان قد سافر من لادو باق بأكمله مع الثوار . وهذه الأخبار سارة لاسيما الخاص منها بحامية أجاك التي كان يسود بصددتها القلق والجزع .

وهكذا انتهى شهر اكتوبر وكانت الحالة قد تحسنت تحسنا بينا لجمع الحاميات التي كانت مشتتة وحشدتها جميعها فى أمادي . وكان أهم الأمور

الآن محاولة استكشاف قوة العدو . أما العرب فجأهروا بالثورة بعد خيانة ابراهيم افندى جورجورو وما قام به على كركوتلى فى محطة صيادين . Sayadin

وفى ٨ نوفمبر ورد تقرير من أمادى مذكور فيه ان قوات قادمة من بحر الغزال أمست على وشك أن تهاجها هى و مكراكا بقيادة عبد الله و على كركوتلى و طاهر . وانه أذيع ان عددا من جنود حامية شبي لاز بالفرار على سفينتين بقصد الانحدار مع النيل والوصول الى فاشودة وان إحدى هاتين السفينتين وقعت فى أيدي الزنوج فخطموها .

وفى ١٤ منه قدم رجال من ناحية الجنوب يحملون رسائل من أنفينا يقول فيها إنه بعد اخلاء محطة فويرا بادأه جراه الشرقى والجنوبى بالعدوان ، وهذان الجاران هما كاميزوا Kamisoa بن ريونجما الذى عقد محالفة الدم مع سير صمويل بيكر ، و كباريجا ملك أونيوورو . ويطلب أنفينا من أمين بك إعادة احتلال المحطة المذكورة لحماية هو وأراضيه من أعدائه .

وكانت الاحوال الحاضرة لا تسمح بإجابة هذا الطلب فكتب له أمين بك انه عندما تتحسن الحالة وتأتى الباخرة من الخرطوم يصير احتلال المحطة ثانية . وانتهز جونكر هذه الفرصة ليرسل خطابات الى المبشرين الذين كان يحتمل وجودهم فى أوغندة . وأوصى أمين بك حاملى الرسائل أن يطلبوا من أنفينا موالاته بارسال المكاتب .

وفى ١٣ منه كان قد ورد خطاب من مرجان افندى يذكر فيه ان العرب يقتربون واستولوا على قرية تكفار المجاورة لأمدى . وجاء بعد ثلاثة

أيام خطاب من عبد الله يقول فيه لأُميين بك انه عين على رأس القوة التي ستستولى بأمر الأُمير كرم الله على المديرية والخطاب محرر بخط كاتب من لادو وكان قد سافر مع الوفد وصار الآن في خدمة عبد الله .

وفي ١٧ نوفمبر ورد خطاب من مرجان افندى جاء فيه أن الثائرين هاجموا المحطة وصدوا بعد ان تحملوا بعض الخسائر . وتكررت هذه الهجمات في الايام التالية فكانت النتيجة كلمرة الأولى . وجاء فيه ايضا خبر وصول حامية بوفى . وقد بعث مرجان افندى في الوقت نفسه الانذار الذي أرسله اليه الأُمير كرم الله بتسليم المحطة .

ولدى انسحاب حاميتي أجاك و بوفى الى أمادى أخذتا عدة مئات من الاسرى وأحضرتاهم الى هذه المحطة . ولما كان يصعب كثيرا على الحامية في الحالة التي هي عليها أمام العدو الاحتفاظ بهؤلاء الأسرى فقد اقتيدوا على دفعات الى خارج المحطة وأعدموا وذلك بسبب العداوة المتأصلة في النفوس بين العرب والزنوج . وجيء بقسم من هؤلاء الى لادو واستخدموا في مختلف الأعمال وفي أعناقهم الاغلال ثم أرسلوا الى دوفيليه غير أنه لم يصل واحد منهم اليها بل كان حظهم كحظ رفاقهم وقتلوا في الطريق تقتيلا . وكان يوجد بين هؤلاء الآخرين ضيف الله مأمور أجاك سابقا وقد بيعت بعد ذلك الاشياء التي كان يمتلكها في لادو بالمزاد العلني .

وقبيل آخر شهر نوفمبر أغار الثائرون على أمادى فصدوا حسب ما جاء في تقرير مرجان افندى غير ان الحامية خرجت لمهاجمة العدو فردت هي الأخرى بخسائر فادحة . وكان من جملة خسائرها ٣ ضباط

قتلوا من بينهم فـولة افندى الذى كان قائدا فى كرى و ٣٠ جريحا .
والسبب فى هذه الخسارة الجسيمة هو انه عندما ارتدت الجنود بسرعة صارت
الضباط فى المؤخرة فتعرضت أكثر لثيران العدو .

وقد أرسل أمين بك نجـدات الى أمادى بقدر ما استطاع وأمر زنوج
بومييه ومكراكا ان يسافروا الى المحطة بصفة مساعدين غير أنهم لم ينصاعوا
لهذا الأمر لأن الحالة كانت قد تغيرت والضباط القدماء مثل بخيت بك
واحمد بك الأطروش وغيرهما من أولئك الذين يعرفون كيف يسوسون هذه
القبائل ذهبوا من المديرية وخلف من بعدهم خلف ليس فى مقدرتهم ولا درايتهم
حسب رأى جونكر .

وبعد ذلك الخروج غير الموفق التزم مرجان افندى جانب الدفاع
وهذا ما مكن العدو من اقامة المتاريس أمام المحطة وعلى ذلك أمسى
من المتعسر زحزحتهم عنها وبدأ من بالمحطة يشعر بألم الجوع . وكان
السعاة الذين يأتون بالأخبار يقولون ان شبان الضباط والجنود يرغبون
فى القتال لأن العدو لم يكمل بعد عدده وان مرجان افندى يصر على
الاستمرار فى خطة الدفاع .

ويؤخذ من منطوق خطابات كازاتى الذى كان مقما فى مكراكا
ان ادارة هذه الناحية سيئة جدا والضباط فرج افندى يوسف لا يشتغل فى
واندى على ما يظهر بشىء آخر غير السكر ولم يكن تحت يد أمين
بك فى ذلك الوقت أى ضابط من كبار الضباط يرسله ليحل محله لان
ريحان افندى الذى كان فى الزمن السابق مأمورا لها والذى كان
يجب ان يرجع اليها لم يعد للآن من ممبتو مع رجالة . غير انه

لما كان عام ١٨٨٤ م على وشك الانتهاء انتدب امين بك احمد افندى محمود للقيام بعمل تفتيش في مستودعات المحطات الكبيرة والذهاب الى واندى وأوصاه ان يتحقق من مجرى الامور في مكراكا .

وانتدب من جهة اخرى فيتا حسان للذهاب الى امدى ليعود المرضى والجرحى ويفتش المستودعات ويحاول في الوقت نفسه استكشاف قوات العدو . وانتدب كذلك على افندى سيد احمد لتفتيش مستودعات محطة الرجاف .

وورد في مساء يوم من أيام أواخر ديسمبر على حين بغيته خبر بان مركبا كبيرا وصل الى موضع يبعد بضع ساعات عن لادو . وكان هذا المركب هو مركب عبد الوهاب افندى الذى أرسل من عدة شهور ومعه جنود برسم محطة شمى ووردت الأخبار من محطة بور بالتجائه الى الحرب ونجاته بمعجزة . وكتب الآن يطلب زادا له ولرجالہ الذين أنكمهم الجوع وأضنائهم التعب وصار في غير استطاعتهم أن يجرؤا مركبهم وأخبر أيضا ان نصف حامية بور قتلهم الزوج وبقى النصف الآخر مسجوناً في المحطة لا يقدر على المقاومة زمنا طويلا بدون زاد . فأرسل أمين بك في التو والساعة مركبا محملا بالميرة يركبه العدد الكافي من الباريين لجر المركبين . وهالك ما قصه عبد الوهاب افندى عند وصوله الى لادو :

خرج قائد محطة بور مع نصف رجاله للقيام بغارة على مسافة بضعة أيام من المحطة فقتل هو وسائر من كان معه ووقعت بنادقهم وذخيرتهم في قبضة الزوج ولم يبق بعد إلا خمسون رجلا محصورين في المحطة وليس لديهم من الزاد إلا القليل . وقال عبد الوهاب افندى انه من المحتمل اسعاف بور بالزاد

بلا توان إذ أنه في الاستطاعة انقاذ الباقي من حاميتها . وقال انه قطع المسافة بين بور و لادو في ٢٠ يوما .

أما شمي فقال انه وجد محطتها أثرا بعد عين فانقلب راجعا الى بور وقطع المسافة بينهما في ٢٠ يوما بعد أن ذاق الأمرين لأن المركب كان كبيرا وليس له شراع فدعت الحالة الى سحبه باللبان عكس جريان الماء في انحاء سكانها معادون للحكومة وعاد بعسكره بدون أن ينقص منهم أحد اللهم إلا شخصا واحدا قتله الزوج لأن الحالة اضطرته كذلك أن يقاتل .

ومما لا نزاع فيه انه هو ورجاله بشجاعتهم وجلدهم وصبرهم على الشدائد أدوا أعمالا تستحق الاعجاب وتستوجب الثناء . وهكذا انقضى العام .

ولهذه الرحلة تنمة نذكرها في الملحق الأول للعام القادم .

٢ — ملحق جنة ١٨٨٤ م
رحلة اليوزباشى كازاتى
فى مديرية خط الاستواء

القسم الخامس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

سفره الى واندى

قضى كازاتى القسم الأول من هذا العام فى الريادة . وفى ٢٨ مايو
جاءه كتاب من أمين بك يستحثه فيه بالحاح على أن ينسحب فى اتجاه
الشرق لأن حوادث ذات شأن عظيم وقعت فى مديرية بحر الغزال .
وكان قد ورد اليه فى ١٢ أبريل خطاب من لبتون بك مدير هذه المديرية
يخبره فيه ان جيش المهديين مرابط على مسافة ٦ ساعات من ديم سليمان
الذى فيه محل اقامته ، وانه أتاها اثنان من الدراويش يدعوانه للتسليم الى
الشيخ كرم الله مندوب المهدي . وان أمينا بك تلقى عدا ذلك خطابا من
الأمير كرم الله يخبره فيه بما صادفه المهدي من النجاح والفلاح فى أرجاء
السودان وينصحه بتسليم مديرية خط الاستواء لهذا النبي المنصور . ويحيطه
كذلك علما بالاجتماع الذى عقده الضباط والموظفون فى لادو وقرروا فيه
تقديم الطاعة ووجوب سفر أمين بك يوم الاثنين القادم الموافق ٣١ مايو
عام ١٨٨٤ م مع وفد الى الأمير كرم الله ليقدم له الاقرار بالطاعة وتألف

هذا الوفد عدا المدير العام من فيتا حسان ، و القاضي ، و معلم المدرسة ،
و الملازم موسى افندى ، و عضوين من الادارة وهما عثمان أرباب و احمد بابا .

وكان كتاب أمين بك مصحوبا بكتاب آخر من جونكر الى اليوزباشى
كازاتى يخبره فيه بما عقد عليه النية من أمر السفر فى اتجاه الجنوب ويحثه
على أن يحذو حذوه .

كل هذا قد علمه كازاتى بغتة وعلى غير انتظار بتاتا فدهش بادىء ذى
بدء وبعد أن سبر الأمور بمسبار التعقل استقر به الرأى على السفر الى مكراكا
والعدول عن كل ما كان قد قرره من المشروعات .

وفى ٢٠ يولييه انطلق فى السير وكان السفر مخفوفاً بأنواع التعب
والنصب واشتم الزوج رائحة الأخطار التى كانت تهدد كيانهم فكانوا يخافون
أن تصيبهم الويلات والمكاره التى تلازم عادة الغارات وتلوح عليهم
سياء الغضب . واضطر كازاتى فى سيره أن يتجنب النواحي المأهولة
بالسكان والسكك المطروقة وأن لا يسير إلا ليلاً وأن يسلك الدروب
الصعبة الكثيرة التعاريج . وانجلى الدناقلة عن الأراضى التى كان بها محطات
للحكومة ورحلوا الى الجهات الشمالية . أما عبيدهم فهاموا على وجوههم فى الفياق
والقفار حاملين أسلحتهم بأيديهم وأخذوا يشون الرعب والدعر فى أفئدة الناس
فى كل صوب وناحية .

وفى ٢٩ أغسطس وصل كازاتى الى واندى وفيها علم ان أمينا بك
لم يزل للآن فى لادو . وأتت مكاتيب من روميك منبئة بمحدث حوادث
تصدع لهول فظائرها القلوب وتنظر لها الأكباد . ذلك ان المهديين بعد

أن احتلوا المديرية أحرقوا المستندات الرسمية ونهبوا المستودعات وباعوا الأسلحة وجردوا منها الجنود وباعوهم هم ونساءهم وأولادهم . ولذلك بادرت حكومة لادو بالعدول عن تنفيذ قرار ٢٧ مايو وقررت ارسال وفد الى الأمير كرم الله ليقيم الطاعة بشرط حضور بواخر من الخرطوم لنقل الجنود والموظفين . وسافر هذا الوفد المؤلف من القاضي و معلم المدرسة و ضابط و موظفين من لادو في ٣ يوليه .

موقف الحكومة ورأى كازاتى فيه

يقول كازاتى ان الحكومة فى بلاد زنوج خط الاستواء كانت واقعة بين شقى الرحى فلا تدرى أى هذين الجنسين تفضل : العرب أم الحزب العسكرى .

وكان يوجد بين هذين الفريقين مضادة منشؤها تباين الأجناس وتريد مساوىء النخاسين نارها اضطراما بلا انقطاع . إلا ان هذه المساوىء كانت تقمع على قدر الاستطاعة .

وكان يتولد من هذا التصادم بحكم الطبيعة غيظ كامن فى الصدور يدوى صده كالأعد بين آونة وأخرى فيلحق بأعمال الحكومة ضررا بليغا .

وقد اتخذ أمين بك طرقا كانت على وجه العموم عادلة . ذلك أنه محا تفوق العرب البين فى مراكز رول و روميك و أجاك و أمادى وترك للحزب العسكرى السودانى أملا فى الترقى إلى المنزلة السامية فى إدارة البلد . ولكن هذا الأمل توارى وحل محله الخيبة عندما منح المدير ابراهيم افندى محمد جورجورو فى مكراكا ثقته التامة والسلطة المطلقة .

نعم انه مما لا مرء فيه ان ادارته أتت بالخيرات وعادت بالفلاح على الأحوال المالية غير ان القرع الأدبي اتسع من ناحية أخرى اتساعاً مدهشاً بسبب استمرار النخاسين في مباشرة أعمالهم . وكان القائمقام بخيت بك من جهة أخرى محبوباً من الأهالي لارتباطهم وإياه برابطة الجنسية ومن الجنود لتقديرهم جدارته وأهليته إلا انه كان مهضوم الجانب مبيض الجناح منحط المنزلة بالقياس الى ابراهيم جورجورو ذلك النخاس الذي كان قد اشتهر أمره . فلم يشأ أن يغمض عينيه على الاهانة التي لحقت به فاستعد للمقاومة فكانت العاقبة اخذاله وهزيمته وارساله الى الخرطوم وفوز الجنس العربى .

وعلى ذلك حط على مديرية خط الاستواء عدا الخطر الخارجى خطر من الداخل صير الحالة في منتهى الشدة والخرج . وإن هو إلا أن علم ابراهيم افندى جورجورو بالقرار المشؤم الذى وضع في لادو في أوقات ضاع فيها الرشد وساد الذعر حتى هزته النعرة الدينية فأعمل في مستودعات الحكومة نهبا وسلب جميع ما في مكراكا و كابيندى وخطف عددا جسيما من نساء وأولاد الأهالي وذهب للانضمام الى الثوار . وهكذا قابل ابراهيم افندى جورجورو احسان أمين بك بالشر والعدوان وضرب بعمله هذا لجميع نخاسى المديرية الذين كان لديهم أسلحة أسوأ مثل يقتدون به فأصبحت مباءة لأشنع الفظائع .

وكان الأمير كرم الله يبعث بكتب الى الموظفين يحضهم فيها على شق عصا الطاعة ونشر لواء العصيان ولا يتورع عن أن يذكر لهم أن السودان قد ضاع والخرطوم قد أمست محاصرة وصارت على أهبة التسليم .

وعلى ذلك كانت أفكار الجنود والأهالى متهيجة للغاية والعقول متهيئة لأفزع الفواجع الدموية التى سيضحي السودان عمما قريب مسرحا لها . وأفلتت من لسان أمين بك فى الاجتماع الذى عقد فى لادو يوم ٢٧ مايو كلمة كان يقصد بها تدعيم سيطرته والاحتفاظ بكرامته وهذه الكلمة لم تذهب نسيا منسيا بل كانت سببا فى جميع الاضطرابات التى وقعت فيما بعد وفى إباء الجنود وخاوفهم من الانسحاب صوب الجنوب بعد ذلك . وهذه هى الكلمة التى زل بها لسانه : « ليس أمام البيض ما يخافونه وأنا لهم بذلك كفيل . أما الجنود السود فهؤلاء سأعطيهم الى صديقى الفاضل كباريجا ملك اونيورو ليسمح لنا بالمرور من بلده » .

لم يفت المصريين إدراك الغرض من هذه الكلمات التى لم يذهب صداها أدراج الرياح ومع هذا لم يظهر السودانيون شيئا من التأثر الذى شعروا به فى داخلهم إلا أن ذلك لم يمنع السهم من إصابة المرمى فكانت الريب تتسرب الى نفوس أولئك وتدب الوسوس فى أفكارهم . وسنراهم عند سنوح أول فرصة ينجحون لعصيان رؤسائهم وينتهى بهم الحال الى التمرد والعتو إذ ان هؤلاء لم يكونوا أرقاء يمكن نبذهم هكذا نبذ النواة بدون بحث ولا جدال بل كانوا جنودا . ولما لم يكن سبيل للخلاص إلا بواسطة السلاح قبضوا على أزمسة البلد بأيديهم واستغلوا الحالة وأساءوا التصرف .

إخلاء محطات الشمال والشرق وتحصين أمادى و لادو

وكانت محطات الشمال قد أخليت وهى روميك و أجاك و بوفى . وأخليت كذلك محطات ممبتو والشرق . وفى الوقت نفسه حصنت أمادى

و لادو وأرسل الى الأولى ١٥٠٠ بندقية ووزعت ١٥٠٠ بندقية أخرى بين مختلف المحطات التي في مكراكا والتي على النيل .

وطبعت صحيفة يوم ١٨ أغسطس بحروف من الدم إذ قتل فيه الدناقلة بقيادة رجل يقال له على كركوتلى وهو من قناصى الافيال القدماء من الجنود . وكان قد انضم الى هذا الرجل عدد آخر من الشوار . وبعد ذلك دارت رحى الحرب مرات في مدد مختلفة . وبلغت احدى هذه الحروب درجة كبرى وتلك هي التي وقعت أمام حصون أمادى في ٨ ديسمبر وتمكنت فيها الحامية من الانتفاض على معسكر المحاصرين وتدمير جانب منه وتدخل الأهالى مع ذلك بالسلاح واضطروا الحامية أن تنسحب .

وكان مما لا نزاع فيه ان الأعمال الحربية وحدها لا تقى بالمرام وان هذه الأعمال عما قليل سيصيبها الشلل بسبب اتساع الثورة وتفاقمها وتكون النتيجة وقوع أمادى فى العاجل بين يدي الأمير كرم الله .

ورأى كازاتى ان واجبه يدهـوه فى مثل هذه الحالة ان يضع نفسه تحت تصرف الحكومة فكتب الى امين بك ينصحه باخلاء أمادى وأن يحصن كابايندى و واندى و مديرفى فى مكراكا و ممبارا غرب لادو لتصير لادو محمية بخط من الحصون الأمامية . ولزيادة إقناعه بضرورة اتخاذ هذه الخطط بين له ان أمادى فقدت كل أهميتها الحربية لأن المهديين امتلكوا جميع مرتفعات تكفارا الواقعة على ضفة نهـير يى Yei اليسرى وهذا النهير يقل مأؤه ويمسى مخاضة فى الفصل القادم ويتعذر عند ذاك امـداد أمادى . فلم يقبل أمين بك هذه الخطة .

وانتهى عام ١٨٨٤ م بخبر مشؤوم وهو أن حامية بور المؤلفة من يوزباشى
و ملازم أول و ١٠٥ من الجنود قتلها الزوج وعدا ذلك وضع هؤلاء أيديهم
على ١٠ صناديق ذخيرة و ٥٠ بندقية من طراز رمنجتون .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الثانى للعام القادم .

سنة ١٨٨٥ م

من

حکمدارية أمين باشا

في مستهل هذا العام أرسل أمين بك مع أحد الضباط و عثمان افندي وكيل المديرية ٤٠ إردبا من الجيوب وزهاء ٤٠ جنديا على ظهر مركبين الى بور امدادا لمن بقي فيها على قيد الحياة . وقد زود أمين بك هذا الضابط بتعليمات مقتضاها انه اذا لم يستطع الوصول الى هناك يترك الامتعة الخاصة ويشق له طريقا في البر في اتجاه غندوكورو .

الحكم على جسبارى بالاعدام ونجاته باعجوبة

وبارح فيتا حسان أمادى في أواخر العام الماضى كما سبق القول . وصادف بالقرب من كوم الشاويش Kom El-Shawish رسولا من قبل أمين بك قادميا ليستحشه على الاسراع على قدر الامكان فى العودة الى لادو .

واستعلم فيتا حسان من الرسول عما استجد من الأخبار وعن الباعث فى استدعائه على جناح السرعة فأخبره هذا انه ورد خطاب لأمين بك من ضباط أمادى وفيه يهتمون ماركو جسبارى وشخصين آخرين بالتواطؤ مع العدو فقال فيتا حسان انه لمن التورط فى السخافة والانفاس فى البلاهة التصديق بان جسبارى Gasbari المسيحى يتحيز للمهدين .

وكان أمين بك نظرا لوقوع البلد في حالة حرب اتخذ من وقت ما حدثت خيانة إبراهيم افندى جورجورو بتركه مركزه وانضمامه الى العدو القرار الصارم الصائب تلافيا لما قد عسى أن يحدث من الأمور المماثلة وذلك باحالة كل شخص تحوم حوله مظنة أو شبهة بأنه اقترف خيانة أو تواطأ مع العدو الى مجلس عسكري مستعجل . وبما ان هذا القرار اتخذ للمصلحة العامة فقد أمر أمين بك بناء على التقرير الذي ورد له من مرجان افندى ذلك التقرير الذي ما كان في استطاعته أن يشك في صحة ما جاء به باعدام جسبارى ورفيقيه رميا بالرصاص وأرسل عدا ذلك خمسة صناديق من المهات الحربية الى أمادى اجابة لرغبة مرجان افندى .

وأخذ فيتا حسان الكتاب والحكم الصادر باعدام الثلاثة الأبرياء حسب قوله وحفظه معه ومنح الرسول رايالا وقال له : خذ الكتب الأخرى والمهات الحربية . وحذره من أن ينس بينت شفة بشأن الكتاب الذي حجزه وحكم اعدام الثلاثة وأنذره بالاعدام شنقا اذا فتح فاه بخصوص ذلك . ولما كان لفيتا حسان تقريبا نفس المهابة التي لأمين بك كتم الرسول أمر الحكم لدى وصوله الى أمادى ولم يتحدث عنه بشيء مطلقا وعلى ذلك نجا الثلاثة من مخالب الموت .

وبما ان امين بك كان قد طلب من فيتا حسان القدوم الى لادو في اقرب وقت فقد قطع المسافة التي كان يلزم لقطعها ثلاثة أيام في يوم واحد .

وكتب مرجان افندى الدناصورى الى امين بك يقول له ان الأمير كرم الله ومعه ١٢٠٠ من الدراويش يحيطون بأمادى ويلحف في

طلب مهمات حربية ومؤن وامداد فأرسل إليه في بداية شهر يناير ثلة مؤلفة من ١٦٥ جنديا و ٨٠٠ من الأهالي مسلحين بالحرايب وبعد ذلك بقليل ورد له نبأ أن سكرتيره قديما عثمان افندى ارباب قدم ومعه ٤٠٠ رجل وقاذفة لهب « صاروخ » امدادا للتأثرين .

وكتب عثمان هذا و عبد الله وشخص ثالث يقال له حسن عجيب خطابا الى امين بك يقولون له فيه انهم مرسلون من قبل الأمير كرم الله ليأتوا بهم جميعا اليه إذ لا فائدة مطلقا من المقاومة لأن اهالي السودان قاطبة لغاية سواكن انضموا الى المهدي وانه ورد لهم كتاب من الأمير كرم الله مذكور فيه استيلاء المهدي على الخرطوم ودخوله في هذه المدينة .

وما كاد فيتا حسان يصل الى لادو حتى طلب منه امين بك ان يصف له الحالة في أمادي لأنه اذا كانت في خطر تكون لادو كذلك في حالة الخطر وهي حالة موجبة لتثبيط الهمم وبث الذعر والهلوع في القلوب . فأجابه فيتا حسان بأن أمادي بها حامية مؤلفة من ١٠٠٠ جندي وانها في الحالة الراهنة بعيدة عن الخطر . وبها من السلاح والمهمات الحربية ٧٢٠ بندقية من طراز رمنجتون و ٤٠٠ بندقية من ذات الكبسول و ٤ مدافع عيار ١٢ سنتيمترا منها اثنان غير صالحين للعمل وآلتان تمذف اللهب و ٣٧٠٠٠٠ حشوة للأسلحة ذات الكبسول و ١٧٠٠٠٠ خرطوش للأسلحة رمنجتون و ٣٠٠٠٠٠ من الكبسول و ٣٦٠ حشوة للمدافع و ١١٠ من القنابل الصغيرة و ١٩٠ قذيفة يدوية و ٨٠ صاروخا ناريا أى لديها الوسائل الكافية لمحاربة جيش هذا اذا كانت تلك المهمات في حوزة جنود مدربة و ضباط من أصحاب

الكفايات وزاد على ذلك ان قال له انه اذا لم يبادر الى استبدال قومندان أمادى بآخر تبدد الذخيرة باطلاقها في الهواء كما هو الحاصل من منذ شهر . أما المواد الغذائية فهذه جار توريدها من الأهالى على ما يرام إلا أنها لسوء الحظ يذهب معظمها هدرا في عمل المريسة للضباط . أما أمادى فهي في الحالة الراهنة في أمان واطمئنان غير انه غير مرتاح من جهة مستقبلها .

وخاض بعد ذلك فيتا حسان في الكلام عن جسبارى وتحدث بشجاعته وبما أتاه من جليل الأعمال فتغير لون وجه أمين بك عند سماع أقواله وسأله عما اذا كان لم يحدث تواطؤ بينه وبين العدو فأفهمه فيتا حسان ان تهمة كهذه لا يقبلها عقل عاقل وانها تعد من قبيل السخافات نظرا لجنسيته وديانته ثم قال له علاوة على ما ذكر ان الذى حاك لكمة وسدى هذه الوشاية لا يقصد منها سوى أمر واحد وهو اخفاء الثروة المظنون وجودها في حوزته كما حدث فيما سبق مع آخرين . وعندئذ أحاط أمين بك فيتا حسان بالحكم الذى صدر ضد جسبارى وتصديقه عليه ذلك الأمر الذى كان يعلمه من قبل وأبدى شديد الندم على ما أسلف من التسرع قائلاً لقد سبق السيف العذل ولم يعد لدينا وقت لرد ما نزل به القضاء . فهدأ روعه فيتا حسان وأبلغه الشئ الذى عمله وأرجع اليه أمر التنفيذ الذى أصدره . فكاد يحن أمين بك طربا وأجزل الشكر لفيتا حسان والثناء عليه جزاء ما فعل .

رجوع جونكر الى لادو وهدوء الحال فيها

ورجع الدكتور جونكر الى لادو مطمئن الخاطر هادى البال اعتمادا على الخبر المكذوب الذى ذاع بوفاة كرم الله وانحلال جيشه وذلك فى خلال غيابه . وزاره أمين بك وأكد له ان الخطر لم يكن جسيما كما تصوره بعضهم وان الحامية ما زالت ثابتة . وأن عبد الوهاب افندى طلعت الذى كان قد أرسل الى بور رجع منها مع ستة من الجنود بعد أن نجح فى خدع المحاصرين وطلب ارسال امداد .

وظلت الأحوال هادئة تماما وقتا ما فى لادو . وقد قرر أمين بك عزل مرجان افندى وارسال سليمان افندى سودان محله وهذا الضابط من ذوى الكفايات إلا أنه لما كان أمين بك يخشى عدم تنفيذ أمره لأن روح التمرد كان قد أخذ يدب فى النفوس كتب الى مرجان افندى لا ليخبره بأمر اقالته بل ليدعوه الى القدوم الى لادو ليتداول معه خلال غياب كبار الضباط الآخرين بشأن خطة الدفاع الواجب اتخاذها بصدد بور المحاصرة . فأهمّل مرجان افندى تنفيذ هذا الأمر وكتب عريضة يطلب فيها إبقاءه فى مركزه وجعل الضباط و الصف ضباط يوقعون عليها .

وكان أمين بك قد حث مرارا وتكرارا اليوزباشى كازاتى على الاتيان الى لادو ولكنه لم يلب هذا الطلب . وفى نهاية الأمر أجاب طلبه وقدم من واندى وبلغ لادو فى ٢٣ يناير . ومكث جونكر وقد كان وقتها مقيما فى هذه الناحية معه ثلاثة أيام ثم رحل عنها فى ٢٦ يناير قاصدا مصر

عن طريق أوغندة و زنبار يحمل مكاتيب لحكومة القاهرة .

ذهاب فيتا حسان بأمورية الى دوفيليه وعودته منها

ولم يكد فيتا حسان يبل من مرض خناق شديد أصابه حتى أمره أمين بك بالذهاب الى دوفيليه ليستخبر عن القوات التي يمكن تجنيدها منها ويحضر الى لادو امدادا وذخيرة . وكان ذلك في نفس الوقت الذي سافر فيه عبد الوهاب افندى طلعت الى ميكركا لتوصيل مؤونة الى أمبادي والوقت الذي سافر فيه احمد افندى محمود الى هذه المحطة الأخيرة . وهذه هي المأمورية التي خاف فيها عهد أمين بك مراعاة لصديقه مرجان افندى حسبما ذكر سابقاً .

واستغرق فيتا حسان يومين في قطع الطريق لغاية خور ابى قره الواقع بين بيدن و كرى لسقوط أمطار بللت الطريق وصيرته غير صالح للسير .

وفي هذه الاثناء انتشرت اشاعة في لادو ليس لها نصيب من الصحة فخواها ان عثمان أرباب أضحي ذراع الأمير كرم الله اليمنى وانه زاحف ووجهته هذه المحطة ومعه ١٦٠٠ مقاتل .

وأبلغ أمين بك هذا الخبر فيتا حسان في خور ابى قره ودعاه للعودة وأن يحضر من الرجاف على افندى سيد احمد وحوالى ٣٠ رجلاً . وكلفه فوق ذلك ان يبلغ حواش افندى في دوفيليه هذا النبأ ويحثه كثيراً على زيادة السهر واليقظة .

وكان البلاغ بلهجة تجعل فيتا حسان يظن ان الدراويش أحاطوا بلادو وقضى الأمر . وبالنظر الى انه لم يكن والحالة هذه من حسن الفطن الذهباب برا أقلع هو و على افندى سيد احمد على سفينة وتركوا الجمال في بيدن . ولم يتصل بهم في أثناء الطريق أى خبر قل أو جل ورأوا جميع الأمور سارة قارة كالعادة وكذلك رأوا السكينة في لادو ضاربة أطنابها والهدوء شاملا كاملا وليس هنالك أى اشارة تدل على ان العدو صار على أبواب المحطة اللهم إلا دلع الأهالى الصادر عن غير سبب معقول واختفاءهم جميعا وراء جدر مساكنهم ونشاط الجند الذين كانوا يقومون بحفر خندق حول الميدان .

وأكد أمين بك لفيتا حسان الخبر الذى نقله اليه كتابة معربا عن أسفه لتركه الجمال إذ كان فى استطاعتها تأدية خدم جليالة فى حالة حصول حصار .

وتوجه فيتا حسان الى الثكنة ليستعلم عن مصدر هذه الأخبار لأنه كان يرجح انها بعيدة عن الصحة ويعتقد انه يستحيل على المهديين تهديد لادو بينما تكون أمادى ومكراكا مستمرتين على الثبات أمامهم وتقطع عليهم الأولى طريق الغرب والثانية طريق الشمال . وقد اتضح له عندئذ ان زنجيا صغيرا يصعب فهم كلامه كان السبب فى كل هذا الانزعاج وان أمينا بك قد لعب به مرءوسوه فى هذه المرة وجسموا له الخطر . وانقضت أربعة أيام بعد ذلك ولم يطرأ ما يؤيد هذه الارجيف .

وفى ٣٠ يناير عادت الى لادو السفينتان اللتان كانتا أرسلتا الى بور برفقة عثمان افندى لطيف وورد معها خبر وهو أن جميع من بالمحطة

في صحة جيدة ولم ينقص منهم سوى أربعة جنود خرجوا بعيدا عنها فكان نصيبهم القتل . وكان عثمان افندى قد اقترح أن يعرض على الأهالي السفر برا الى لادو وضرب صفحا عن ذكر السفن . وعندما عرض عليه في نهاية الأمر أن يكون على رأس الفرقة أبي واعتذر بواسطة رجال المحطة ورجاله بأن السفن لا تسع الجميع كله وان الطريق غير صالح للمسير . وقال ان الأصوب الانتظار الى أن تصل الجيوب ويأتي مدد مؤلف من ٣٠٠ جندي . وأقنع عثمان افندى بعد ذلك على السفن تاركا ٢٠ من جنوده لتقوية الحامية وقدم الى لادو بدون أن يحضر معه أراميل وأيتام الجنود الذين قضوا نحبهم وذلك بعد أن بدد في الطريق ١٨ دسنة من الخرطوش في صيد الجاموس .

ولقد يدرك المرء السبب في توقف الناس عن مبارحة بور عندما يتبين ان مسكن جمعه افندى قائد المحطة وهو رجل بلغ من العمر ٧٩ عاما يحتوى على ٣٢ نسمة من بينهم ست محظيات ، ومسكن الكاتب يحتوى على ٢٨ ، و الجاويش ١٢ ، و الأونباشي ١٦ ، وهلم جرا . فاذا بارح هؤلاء الموظفون بور يضطرون الى ترك ثلاثة أرباع هؤلاء الأرقاء وهذا هو الأمر الذي دعا أولئك السادات الى الامساك عن السفر والبقاء حيث هم .

وأبلغ أمين بك عثمان افندى عندما آب الى لادو الحوادث التي وقعت أخيرا وطلب منه ابداء رأيه فرد عليه بوقاحة قائلا ان المسؤولية في هذه الحوادث تقع عليه هو نفسه ويجب عليه ملافاتها .

وكان أمين بك هو وسواه ضحية لهذه الحوادث المشؤمة التي لم يك هو قط مسئولا عنها . فكان إذن لا بد لاتهم عثمان افندى لرئيسه من معنى

آخر وسبب ذلك الاتهام عزله من وظيفته . ولم يلغ أمر العزل هذا إلا قبيل وصول استانلى بأيام قليلة .

وبعد ذلك بأيام قلائل شخص فيتا حسان الى دوفيليه ليتمم لدى البكباشى حواش افندى المأمورية التى كان قد عهد اليه القيام بها عندما استدعى للرجوع عاجلا الى لادو .

ما عمله حواش افندى فى دوفيليه احتياطا للطوارئ

ولم يكن فى دوفيليه جنود ولا ذخيرة كافية ليرسل منها مقدار الى لادو فضلا عن ان دوفيليه هى المعقل الأخير الذى لا بد للجميع من الالتجاء اليه مهما كان مآل ذلك . وحرمانها من القوة الضئيلة التى بها يعد من الخطل وعدم أصالة الرأى وربما جر فيها بعد الى أسوأ العواقب . وفوق ذلك فان ال ٥٠ جنديا الذين يمكن على أكبر تقدير ارسالهم من دوفيليه وكذلك بعض صناديق الذخيرة لا ينتظر منهم ولا منها فائدة تذكر بجانب الحوادث الجارية فى أمادى حيث يوجد ١٠٠٠ جندى وكمية كبيرة احتياطية من الذخيرة .

وعلى ذلك كتب فيتا حسان الى أمين بك ان حواش افندى لا يستطيع أن يرسل جنودا ولا مهمات وبعث له فى الوقت نفسه ٢٠٠ اردب من الذرة ميرة للادو .

ومن باب الاحتياط أفعم حواش افندى مستودعات دوفيليه بالحبوب والمؤونة ، والزرائب بالانعام . وهو احتياط مبنى على القنطة وبعد النظر . وأنشأ كذلك زراعات واسعة للاقطان وألزم الأهالى والجنود بزراعة هذا

النوع . وبواسطة هذا التدبير تمكن فعلا من جمع الجنية الأولى وأخذ الجنود في غزل القطن تحت مباشرة رجل دنقلاوى من فاديك وتعلموا نسج ضرب من النسيج اسمه « الدامور » . ونشر حواش افندى فيما بعد زراعة القطن ونسج الدامور كثيرا لدرجة ان كافة سكان المديرية من ملكيين وعسكريين أمكنهم أن يكتسوا منه .

محاصرة المهديين لأمدى والحرب حولها

وبعد طول الانتظار ورد مكتوب من أمدى في ٤ فبراير مذكور فيه أن عبد الله عبد الصمد وهو أحد رؤوس جيش المهديين أصيب بقنبلة من مدفع فكسرت ساقه وأهلكت حصانه ، وان كثيرين من الدراويش وقعوا صرعى في حومة الوغى وكثيرين أيضا لاذوا بأذيال الفرار . وأيد احمد افندى محمود الذى كان قد أرسل من لادو لجرد المستودعات هذا الخبر . وقال الترجمانان اللذان أتيا بالرسالة ان ابراهيم ادريس من أهالى بحر الغزال و رجب افندى صالح وقعا قتيلين . أما على كركوتلى فقرر مع عدد كبير من الرجال وان الغارات ليلا انقطعت ويلازم الأعداء فى النهار زريبتهم فلا يخرج منها أحد . وروت فتاة من الهاريين ان الدراويش يشتغلون فى جمع الجيوب استعدادا للرحيل . وقال أيضا التراجمة ان الاذكار التى كان يقيمها المهديون ليلا ويصل دويها الى المحطة انقضت انقضا تاما من زمن يسير وانقطعت كذلك الهجمات الليلية .

وكان من رأى أمين بك انه من المحتمل أن يكون على كركوتلى و عثمان ارباب قد ذهبوا الى جهة بحر الغزال ابتغاء الحصول منها على اسداد . وعلى كل حال لم يصل الى تلك الساعة الألفان من الرجال الذين قيل ان العدو

في انتظار قدومهم .

وفي ٨ فبراير أتت رسالة من أمادي جاء فيها انه حدث هجوم عام على زريبة الدراويش قام به قسم من الحامية بقيادة سليمان افندي سودان . وفي أثناء اشتعال نار الحرب التي استمرت من الصباح الى الساعة ٢ مساء وقعت قنبلة يدوية على زريبة العدو فأحدثت فيها حريقا هائلا دمرها تدميرا وصيرها أثرا بعد عين وانفجرت الذخيرة وقتلت عددا كبيرا من الشوار . أما الحامية فلم يصيبها أى أذى وخسائر العدو كانت جسيمة وقد أخذ سليمان افندي سودان يتأهب لمطاردة فلول الثائرين .

وفي ١٥ فبراير ورد الى لادو بريد من أمادي به بلاغ من احمد افندي محمود يقول فيه ان المهديين ما زالوا الى الآن يقاومون رغما عن تدمير زربيتهم وانفجار الجزء الأكبر من ذخيرتهم وعما لحقهم من الخسارة وفرار كثير من صفوفهم . وان في عزم سليمان افندي القيام بهجوم آخر عام وحسم هذه المسألة حسما نهائيا إن أمكن وذلك بعد رجوعه من تجريدة صغيرة سيرها للحصول على حبوب .

وكتب المذكور ان مرجان افندي أظهر عدم مقدرة على القيام بأى عمل اللهم إلا افعام جيوبه ولم يبق على شيء حتى على تركات ضباطه الذين أدركتهم المنية في ساحة القتال .

وكتب مرجان افندي الى امين بك خطابا فيه الشيء الكثير من عبارات الاحتشام . أما أمين بك فقرر ان يتركه موقتا في مركزه اجتنابا للفضائح وان ينظر في أمره فيما بعد .

وقال احمد افندى ايضا انه علم من الهاريين ان عبد الله عبد الصمد وأخاه محمود قد جرحا جروحا بليغة في واقعة ٢ فبراير وتوفيا على إثرها .
وفي اليوم التالى لورود هذه الأخبار شخص امين بك الى ناحية تبعد عن لادو شمالا بضع ساعات ليعاقب بعض المتمردين الذين أهدروا دم ثلاثة جنود كانوا حاملين بريد بور . وكان قد عقد النية على ان يرسل الى هذه المحطة سفينتين مع ستين خطريا قبيل آخر الشهر .

وفي ٢١ فبراير ورد لأمين بك خطاب من مرجان افندى وبداخله ست رسائل منها نسختان من نداء وجهه المهدى الى اهالى مديرتى بحر الغزال وخط الاستواء يصرح فيه بمهمته ويحثهم الانضواء تحت لواء الأمير كرم الله . وخطابان من هذا الأخير الى مرجان افندى يقول فيهما انه قد حضر بنفسه الآن الى امادى ويلح عليه فى طلب الخضوع ويقول ان لديه ما ينيف على الفى مقاتل وفيهم كثيرون من رعوس الدناقلة من كردفان . هذا بصرف النظر عن الضباط القدماء والجند و الكتبة . ويقول كذلك انه من العث ضياع الوقت فى الخطابات وان الخضوع أمر لازم . وخطاب من عثمان ارباب الى مرجان افندى لا يختلف فى نصه عن خطابى الأمير كرم الله . ثم خطاب بتوقيع عثمان بدوى كاتب لبتون بك قديما ، وبرنجى زبير ، ورؤساء دناقلة آخرين من كوردوفان غير معروفين من أمين بك ، وجمع كبير من ضباط الصف وضابط يقال له على بشارة يلحون فيه على مرجان افندى بالتسليم .

وكتب مرجان افندى الى أمين بك بطلب ١٠٠ جندى ليعاونوه فى

الانسحاب الى لادو ويوصيه بنوع خاص بارسال حبوب . ويقول انه أرسل احمد افندى محمود ليسط له الحالة .

وأرسل الافندى المذكور من زريسة على توتو الى أمين بك خطابا مؤرخا في ١٨ فبراير فـواه انه سائر في الطريق ووجهته لادو وانه سيسط له الأحوال شفويا وانه علم ان المهديين الذين قدموا من بحر الغزال قليل عديدهم إلا أن معهم زمرا من الزنوج مسلحين بالاقواس والنبال ومعهم أيضا مدفعا بذخائره .

وطلب أمين بك في الحال جنودا من مكراكا و لا بوريه وساورته الآمال أن يجد سيلا لارسال الجنود المائة المطلوبة .

وفي ٢٢ فبراير وصل احمد افندى محمود الى لادو وروى أن القادمين من بحر الغزال لا يجاوز عـدد ثـمـة الثلاثـة منهم ٥٠ فقط من العرب والباقيون من الزنوج وانه يقال ان عثمان بدوى سـكـرتير لبتون بك بين هؤلاء القادمين . أما المدفع فهو عبارة عن قاذفة لب « صاروخ » لا أقل ولا أكثر وان واقعة ٢ فبراير خسر فيها الدراويش ٣٠٠ نفس من بينهم عبد الله وأخوه وأنه يظن ان الأمير كرم الله لاذ بالفرار وان على كركوتلي انضم الى من قدموا حديثا . ويعتقد احمد افندى انه اذا وصل الى مرجان افندى بعض الامداد لاسيما المؤونة فانه يكون عندئذ في استطاعته تماما اتمام هذه المسألة على الوجه المرضي .

وفي الحال أرسل أمين بك عبد الوهاب افندى طلعت الى مكراكا لتنظيم عملية التموين . وسافر فرج افندى الى أمادى بالجند والتراجة .

وفي ٢٧ فبراير ورد خطابا من أمادي منشأ باحاطة المهديين بها من جميع الجهات وبقطع الماء عنها . وفيه ان الجنود خفروا آبارا في داخلها وأخذوا يستقون منها الماء ويطلب مرجان افندى زادا وذخيرة .

وفي ٤ مارس ورد الى أمين بك خطاب من قومندان المحطة في زريبة على توتو الواقعة على مرحلة ١٠ ساعات من أمادي من ناحية لادو . وجاء في هذا الخطاب انه منذ ٢٣ فبراير لم يصل اليه أى خبر من مرجان افندى وانه لم يتمكن من ارسال حبوب لأن المحاصرين أقاموا على مسافة ساعة من أمادي نقطة للمراقبة ولمنع المرور والقاء القبض على أى انسان حتى التراجة . وانه كتب الى مكرا كا يطالب ارسال نجديات .

وورد في ٧ مارس من نفس الضابط السالف ذكره كتاب آخر مؤرخ في ٣ منه جاء فيه ان ترجمانا قدم من أمادي وبلغه شفويا عن لسان مرجان افندى ان النظام مستتب بها وانه لا يطلب إلا زادا . وان المهديين انتهزوا فرصة نزول مطر هطال وقاموا بهجوم إلا انهم دحروا تاركين ٨ من القتلى في ميدان الحرب غير من قتل من التراجة ، وقتل كذلك جندى بحر الغزال الموكل اليه استعمال قاذفة اللهب . وبعد ذلك أخذت المدافع وقاذفة اللهب الى ضفة النهر الغربية . وتتألف كل نقطة من نقط النطاق المضروب حول أمادي من خمسة أنفار مسلحين بالبنادق ومن ١٠ زنوج من الأهالي الواحد منهم على مقربة من الآخر .

وورد لأمين بك في نفس هذا الوقت خبر من فرج افندى انه وصل في رجوعه من مكرا كا الى مسافة قريبة من زريبة على توتو ومعه ٧١ جنديا وترجمان مسلحون بالبنادق و ٥٠ زنوجا من أهالي بومييه وكذلك

٥٥٠ حملا من الجيوب . وانه أخبر بذلك مرجان افندى ومنتظر وأمره .
والثيران التي أرسلت من لادو وصلت أيضا بدون أن يصادفها عائق .

وفي بـكـور ٩ مارس كانت جنود الامداد المتجمعة من لادو و كرى
قد سافرت من المحطة الأولى . وكان إبراهيم افندى قد أرسل ضابطا و ٤٠
جنديا وجمع أمين بك من لادو و الرجاف ضابطا و ٨٠ جنديا وزودوا بألف
ربطة من مظاريـف رمنجتون (١٠٠٠٠ طلقة) ، و قنابل و صوفان و أسهم
نارية وغيرها . وعلى هذا بقي مع أمين بك فى لادو خمسون جنديا فقط
واكثرهم من المرضى فكان هو يتناوب الحراسة ليلا مع اليوزباشيين على افندى
سيد احمد و محمود افندى العجيمى .

وفي ١٠ مارس تلقى أمين بك خطابا من فرج افندى صادرا من
زريـبـة على توتو يثيد فيه خبر الهجوم الاخير على امدى ويطلب سرعة
إرسال الامداد لأنه يود تقوية النقطة الصغيرة والانضمام الى مرجان افندى .
وجاء ايضا فى هذا الخطاب أن اثنين من الدناقة الذين تعلقوا بأذيال
القرار من امدى أخذا يحرضان الثوار على الهجوم بقولهما ان الجنود
يموتون جوعا . وأنه فى اثناء الهجوم الذى حدث فى وقت كان المطر
فيه نازلا تجاجا وقعت ٢٥ قنبلة و ٤ أسهم نارية على المحطة إلا أنها
لم تحدث أى ضرر .

وفي ١١ مارس تناول أمين بك خطابا من فرج افندى بمحطة
كومى Komi مذكورا فيه ان اقارب بعض الجنود قدموا اليه من امدى
وأخبروه ان الناس فيها يأكلون جلود الثيران بسبب المجاعة وأنه أى فرج
افندى سافر فى الحال مع ٨٠ جنديا وأحرق فى طريقه نقط خط المهديين حتى

وصل الى مسافة تبعد عن أمادى نصف ساعة وعندئذ أتاه ضابط صف وترجمان ومعهما أمر من مرجان افندى يقول فيه : « أولى لك ان تنسحب اذا لم يكن لديك القوة الكافية لأن العدو كثير العدد » .

وبالفعل انسحب ومنتظر الآن الامداد . ولم يفهم امين بك لماذا لم يحاول مرجان افندى القيام بخروج للانضمام الى فرج افندى والاتيان بالحبوب .

وفي ١٥ مارس ورد خبر لأمين بك ان ريجان افندى ابراهيم سافر من ممبتو وهو سائر في الطريق وبذلك ترداد القوة التي لدى امين بك ٢٠٠ جندي . وورد من دوفيليه الى لادو ضابط و ٥٠ جنديا وبعض الزاد . ومن المنتظر ان يتبع ذلك ورود ٢٠٠ بقرة .

وفي ١٦ مارس أرسل أمين بك الى أمادى ضابطا و ٥٠ جنديا وبذلك بلغ عدد الجنود التي أرسلها الى هذه المحطة ٢٣٥ جنديا . وقد انقضى زهاء عشرين يوما ولم يصل اليه منها خبر من طريق مباشر .

وأخذت أخبار أمادى ترداد سوءا يوما بعد يوم . وبعد فترة طويلة . أتت الاخبار في ٢٢ منه ان المهديين قوا صنفهم تقوية كبرى وان الأمير كرم الله نفسه وصل مع القسم الأكبر من جيوشه وطوق المحطة وشرع في احكام الحصار وان مرجان افندى يطلب المعونة والزاد وقد تولاه اليأس والقنوط . وأرسلت اليه من مكراكا نجدة من ٥٠٠ جندي . وكثير من أحمال الذرة إلا أنه لدى وصول قائد النجدة الى كوم شوايش

الواقع على مسافة ست ساعات من أمادى علم ان العدو يحاصر الحصن ورأى ان من الحماقة محاولة اقتحام الخطوط . ورغمما عن ذلك قد حاول مرارا شقها إلا أنه فشل ولم ينفذ فتيلة ما أخته جنوده من ضروب البسالة حيث لم تعاضدها جنود الحامية بالخروج وعلى ذلك انسحب الى كوم شوايش وظل يرتقب الطوارئ وما تلده الأيام .

وفي غضون هذه المدة أخذت المجاعة تشتد في أمادى وبعد زمن يسير شرع المدافعون يأكلون الجلود بعد إنضاجها على النار ولم يقتصر الأمر على ذلك فحسب بل أخذوا يأكلون جلود أحذيتهم .

وجمع أمين بك بمشقة عظيمة ٤٠٠ جندي ليحاول بهم انقاذ أمادى . واستدعى حواش افندى ليعمد اليه بالقيادة ولكنه عندما وصل الى لادو كانت الأخبار الواردة عنها داعية لليأس وموجبة للقنوط حتى ان أمينا بك اعتقد ان كل معونة تبذل في سبيل انقاذها مقضى عليها بالفشل فأرجع حواش افندى الى دوفيليه لى يضاعف نشاطه وجهوداته في سبيل انقاذ مركزه .

وفي ١٩ مارس وردت الأخبار لأمين بك من فرج افندى بوصول جميع الجنود وسفره مع ٢١٠ من الجنود لى يحاول انقاذ أمادى غير انه في ٢٣ من الشهر المذكور أتى منه خطاب من كوى ذكر فيه انه ذهب الى أمادى وهاجم الزرائب التى اقامها المهديون على الطريق غير ان شدة مقاومة هؤلاء اضطرته أن يرجع القهقري وبلغت خسارته ١١ قتيلا من ضمنهم الضابط ضياء افندى من لادو و ١٦ جريحا من ضمنهم فرج افندى نفسه إذ أصابه في فخذه عيار نارى . أما الزرائب التى ذهبت طعمة للثيران فثلاث ورغمما

عن ذلك ظل المهديون قابضين على ناصية الحـالة في الميدان . وقال حامل الرسالة علاوة على ما ذكر ان جنود حامية أمادى خرجت في ذلك الوقت ولكنها لم تستطع أن تنضم الى جنود فرج افندى لأن هذا أسرع كثيرا في الانسحاب .

محاولة الجنود الخروج من أمادى بعد احداق المهديين بها

وفي ٢٥ مارس تسلم أمين بك خطابا من فرج افندى بمحطة كومي ذكر فيه ان سبعة من الجنود فروا من أمادى مدفوعين بعامل الجوع وانضموا اليه . وان هذه المحطة محاصرة حصارا شديدا وان الجرحى أرسلوا الى مكراكا وان ضباط الفرقة الثلاثة عزموا على القيام بغارة اخرى .

وفي ٢٧ منه جاء خطاب من عبد الله افندى بمحطة على توتو مذكور فيه ان الهجمة الجديدة فشلت أيضا وان فرج افندى سافر بجندوده الى مكراكا بدون أن يرتقب ما تأتى به حوادث الأيام . وأن عبد الله افندى والضابطين الآخرين على وشك ان يأموا شعث العساكر الذين تشتتوا ليعودوا هم الآخرون الى مكراكا . هذا ولم يذكر شيئا بصدد أمادى .

وفي ٢٨ منه رجع الى لادو جندي كان قد أرسل منها ومعه مـكتوب الى فرج افندى . والسبب في رجوعه انه قابل في قرية على توتو القناص على كركوتلى ورجاله فجرده من اسلحته واخذوا منه البريد وهموا بقتله غير انهم في نهاية الامر تركوه يسافر . وقال ذلك الجندي ان عساكر أمادى شقوا لهم طريقا بين خطوط الاعداء .

وفي ٢٩ منه قدم الى لادو ثلاثة عساكر من حامية أمادى ورووا

ان الجنود طلبوا من ضباطهم مرارا وتكرارا ان يحاولوا القيام بخروج وان يشقوا لهم طريقا بين خطوط العدو ولكن هؤلاء كانوا يترددون دوما في اجابة هذا الطلب . وحل اليأس في نهاية الأمر في نفوس الجنود فتركوا الحصن بغير ارادة كبار ضباطهم واخترقوا لهم طريقا في وسط المهديين وذلك بقيادة ستة من الضباط البواسل وألحقوا بالعدو خسائر فادحة . واغلب هؤلاء ولوا وجوههم شطر مكراكا . واخذ الجنود معهم الذخيرة إلا انهم تركوا المدافع وحشوها .

وفي ٣٠ مارس شعر امين بك بارتياح إذ علم ان ثلاثة ضباط و ٢٦٠ جنديا من حامية أمادى وصلوا بغاية من الصحة والسلامة الى واندى من اعمال مكراكا ، وان الجنود التي استدعيت من ممبتو منذ ثلاثة أشهر قد وصلت اليها ايضا بعد ان قدم قومندانها اعذارا تافهة ليس لها آخر عن تأخره .

ورجع فيتا حسان الى لادو بعد ان تم مأموريته في دوفيليه . وبينما كان سائرا في الطريق بين خور أيو ولابوريه تلقى خطابا من أمين بك يخبره فيه بسقوط أمادى ويذكر ان الذين امكنهم النجاة ٢٠٠ جندي لا غير ولوا وجوههم شطر مكراكا . وان مرجان افندي واغلب ضباطه قتلوا . أما الباقي من الحامية فلاذ بالغابات ولا يعلم شيء من امره .

واتضح بعد ذلك ببضعة ايام ان كل ما كان يصلح للأكل في أمادى سواء أكان جلودا مطبوخة أم جلودا أحذية أم قشا أم غير ذلك التهمه الناس ولذلك تقرر القيام بخروج واختراق خطوط العدو ولسوء الحظ

ونكد الطالع اختلف الضباط فى الرأى وما استطاعوا أن يجدوا وسيلة للاتفاق . وهذا كان السبب فى ضياعهم . فعوضا عن أن يكونوا مربعا من كافة من كان حاملا سلاحا وعددهم يربو على الألف ، ويضعوا فى قلبه النساء والاولاد ثم يشقوا لهم طريقا بين المحاصرين ، أراد بعضهم الخروج والآخرون أرادوا البقاء فتولتهم الحيرة وما توفقوا الى أى أمر يقرونه . ولما رأى الجند ان الضباط منقسمون فى الرأى قرروا هم وحدهم الخروج فانقض عليهم المهديون وقتلوا منهم خلقا كثيرا . أما سليمان افندى سودان وهو الضابط الوحيد القدير بين ضباط أمادى فاستولى عليه الغضب من جراء هذا التردد وهذه الحيرة والانقسام فى ساعة الخطر وأقدم هو والثلاثائة جندى الذين تحت إمرته على القيام بهجوم عنيف وتوفى الى اقتحام حصار العدو وحمله خسائر باهظة .

إحراق المهديين أمادى وانسحابهم الى مديرية بحر الغزال

واستمر سليمان افندى سودان منسجبا الى ان بلغ ريمو من أعمال مركز مكراكا وفيها انضم الى جنود ممبتو التى يقودها ريحان افندى . أما المهديون فتركوا قسما من جنودهم أمام أمادى بقيادة الأمير كرم الله والقسم الآخر شرع فى مطاردة سليمان افندى ولحق به فى ريمو وعندئذ انقضت جنود ريحان افندى و جنود سليمان افندى مجتمعة على المهديين وعلى رأسهم ضباطهم مستيئسين . وكان اليوم ممطرا عبوسا تالت فيه زجرة الرعد وأومض البرق بلا انقطاع فأغشى لمعانه على أبصار المقاتلين . وكانت الوثبة الأولى مفرزة رهيبة سقط فيها عدد كبير من المهديين فى حومة الوغى وتحيلوا ان أمامهم جيشا عرمرما فلاذوا بأذيال الفرار

وتشتتوا في الغابات . وتتبعهم الجنود مستبسلين فأبادوا تقريباً جميعهم وشتوا
شملهم ولم يرجع الى الأمير كرم الله في أمادى إلا بعض من الجنود
المدبرين . وخوف هذا من قيام جنود الحكومة بهجوم أحرق أمادى بأسرها
وألقى بالمدافع في النهر وانسحب هو ومن بقي من جيشه الى مديرية
بحر الغزال . وهكذا أنقذت واقعة ريمو Rimo مديرية خط الاستواء زمناً
من أيدي المهديين الذين ظهروا فيما بعد في الرجاف ودوفيليه .

وصول من نجا من جنود ريمو و أمادى الى مكراكا

وفي ٣١ مارس ورد لأمين بك رسالة من مكراكا جاء فيها خبر
وصول فرج افندى وجنوده وكذلك الضباط الثلاثة وهم عبد الله افندى
و مرجان افندى و على افندى ومعهم ٢١٣ جندياً ومهمات حربية ووصول
سليمان افندى ومعه الجنود الذين نجوا من أمادى .

وفي أول أبريل جاء الى لادو خبر يسر القلب وهو خبر وصول
كمية كبيرة من المهمات الحربية الى مكراكا بالسلامة . وهذه الكمية
كانت معدة لمحنة أمادى . وكان يساور أمين بك بصدها الخوف
والقلق .

إنذار الأمير كرم الله أمين بك بالتسليم وردده عليه

وفي ٣ منه تلقى أمين بك خطاباً من الأمير كرم الله و عثمان
ارباب يقصون له فيه ما وقع من الحوادث ويقولون له ان مرجان افندى
لم يذعن ويسلم بعد أن أنذر خمس مرات . وانهم اضطروا أن يضربوا
حواله حصاراً وأن العساكر تخلصت في نهاية الأمر ومن بقي حياً لاذ

بمكرا كا . وان المدافع والذخيرة وقعت في أيديهم ، وان مرجان افندى
الناصروري و رهيب افندى على وهو من الضباط البواسل قتلا في الطريق
وجيء برأسيهما الى أمادى . وأنه يوجد في هذه المحطة من اللاجئين زهاء
٢٠٠ نفس بينهم ضباط وجنود . وفي ختام الخطاب إيعاز الى أمين بك
بأن يسلم هو و وكيله و فيتا حسان و احمد افندى محمود و الضباط الى
الأمير كرم الله في ظرف عشرة أيام والا فهو يسير الى لادو وعندئذ يكون
عليه تبعة ما يحدث .

وروى حاملا هذه الرسالة وهما زنجيان ان كرم الله بارح امادى .
وجاوبه امين بك ردا على خطابه انه يجب عليه اولا رد الناس الذين سافروا
من لادو حتى يهدى روع من حوله .

وورد خطاب من مكرا كا جاء فيه انه ما زال يأتى يوميا
من امادى ضباط وجنود الى واندى وانه من غير الممكن معرفة عدد
من بقى حيا بالضبط .

من المسئول عن ضياع أمادى

وجاء في خطاب آخر من سليمان افندى ان مسؤولية تسليم الحصن
تقع على شبان الضباط الذين أغرروا الجنود بالسفر . اما عن نفسه
فيقول انه آخر من سافر وذلك عندما دخل العدو نهائيا المحطة . ويعزو
حامل الرسالة وهو جاويز من محطة كومي الخطأ الى المرحوم مرجان
افندى و سليمان اللذين امرا مرارا وتكرارا الجنود بتسليم اسلحتهم
وهؤلاء أبوا الامتثال .

قرار المجلس الحربى الانسحاب الى الشرق ومعارضة حواش افندى وغيره لهذا القرار

وكان امين بك قد أخبر فيتا حسان فى كتابه السالف الذكر الذى أرسله اليه مكتوبا باللغة العربية ان مجلسا حرييا مؤثقا من الموظفين الملكيين وكبار الضباط انعقد فى لادو وقرر الانسحاب لناحية الشرق وذلك بعد تحطيم الباخرتين « الخديو » و « نيائرا » واتلاف ما بالمستودعات من الأغذية . وكان من ضمن ما دون فى آخر هذا الخطاب أمر لفيتا حسان بأن يتفق مع حواش افندى بشأن تنفيذ هذا القرار . هذا وفى خطاب آخر سرى مكتوب بالايطالية نصح امين بك لفيتا حسان ان لا يضغط على حواش افندى فى تنفيذ هذه التدابير اذا أبى العمل بها .

وفى الحال عاد فيتا حسان وبلغ خور أيو فى نفس المساء وحصل من هذه الناحية بشق الانفس على ترجمانين ليرافقاه الى دوفيليه لأن حالة الجو كانت غاية فى الرداءة وما كان فى الاستطاعة المجازفة بالنسير بدون دليل . وكان المطر ينزل ثجاجة بدون انقطاع والليل أرخى سدوله والطريق غير مأمونة . وبعد ان قطع مسافة منه اختفى الترجمانان والتزم فيتا حسان ان يستمر فى السير مع خادمه وحلاق الحكومة كحرس له . ولحسن حظه اضطر تهاطل المطر ورداءة الجو الزنوج ان يستكنوا فى اكواخهم فوصل هو ومن معه الى دوفيليه بدون ان يلحقهم أذى اللهم إلا نفوذ المطر الى اجسامهم .

وسلم فيتا حسان الى حواش افندى الأمر الخاص به وهو فى

مغزى ومبنى خطابه فقراءه بترو وصاح وهو فى حالة تهيج : « إن تحطيم البواخر والسفن ، وإبادة المستودعات بما فيها من كميات الذرة البالغة ٣٠٠٠ أردب ، وترك الحقول الخصبة بمزروعاتها ، وتأليف قافلة من ١٠٠٠٠ نسمة مثلها نساء واولاد ، وزجهم فى بلاد مجهولة ليتركوا على قارعة الطريق طعمة للحيوانات المفترسة ، كل ذلك من المستحيلات بل هو جنون صرف وانى اعارض فى ذلك بكل ما أوتيت من قوة » .

ونبهه فيتا حسان الى أن هذا أمر رئيسهم ومن الواجب إطاعته وأن من المعلوم أن أميننا بك لا يجهل نتيجة ما يعمل وان ليس من شأن مرعوسيه انتقاد أوامره . غير انه لما كان أمين بك قد قال فى الخطاب السرى لفيتا حسان إنه لا ينبغى الضغط على حواش افندى استنتج فيتا حسان من ذلك انه ربما كان أمين بك لا يريد هو نفسه ان تنفذ أوامره . فلهذا السبب امتنع ان يمدى أى تشدد مع حواش افندى كما كان يتشدد حتما اذا لم يصل اليه الخطاب الثانى وينجح فى تشدده .

وكان الجميع فى دوفيليه من موظفين وضباط متحدين على معارضة قرار المجلس الحربى فى لادو . وأبلغ فيتا حسان فى نفس ذات اليوم أميننا بك أمر هذه المعارضة الاجماعية .

ومشروع الانسحاب نحو الشرق هذا تقدم به كازاتى الذى كان قد وصل الى لادو من أمد يسير . والدليل على ذلك هو ان أميننا بك لم ينبس عنه من قبل بينت شفة البتة إذ لم يكن واضعا نصب عينيه سوى طريق الجنوب . وبما ان الخطر كان يزداد

يوما بعد يوم حتى أمست المديرية مهددة قرر امين بك الانسحاب امام المهديين وعند ذاك ألحف كازاتى فى الاتجاه صوب الشرق . ولما كان امين بك يريد من صميم قلبه ان يرفع عن عاتقه بعض المسؤولية فى هذه الظروف الحرجة عرض هذه الخطة على كبار ضباطه وهؤلاء وافقوا عليها فى الحال . ووقتئذ ارسل امين بك الى فيتا حسان وحواش افندى الامر السالف ذكره لأنه كان يرى ان من المخاطرة السير بجمع غفير من الناس وسط وديان وارض مجبولة . وكان لم يزل باقيا على رأيه الأول وهو الانسحاب عن طريق أوغندة غير انه كان لم يزل قائما دواما امامه مسألة إباء الجنود السير شطر الجنوب فلا تترك له سيلا لتنفيذ إرادته . على أنه كان من السهل مع استعمال قليل من الحزم تبديد مخاوفهم وحملهم على الطاعة وذلك بالعثور على من عزا الى امين بك ازماعه يبع الجند لكباريجا ، ومعاقبته عقابا صارما .

نتائج واقعة ريمو وانسحاب الجنود الى لادو

وفى ١٥ أبريل قدم بريد من ريجان افندى فى ريمو . ومن اخباره ان الواقعة التى حصلت فى هذه الناحية قتل فيها كثير من المهديين وانه استولى على علم وصندوقين من الذخيرة . أما خسارة الحامية نخمسة قتلى من بينهم ضابط صف واحد ، وثمانية جرحى منهم ٥ من الجنود و ٣ من الضباط . ومن بين هؤلاء الآخرين اليوزباشى فرج افندى يوسف وهو مضاب بجرح بليغ . ومن اخباره أيضا أنه يريد الآن الانسحاب الى الرجاف .

وقال الجاويش الذى أتى بالبريد ان مدد لادو المؤلف من ٥٠ جنديا وصل الى بيدن وانه لاستعجال ريجان افندى فى كتابة الخطاب لم يلتفت لأهمية الاسلحة والذخيرة التى أخذت غنيمة . وانه كان فى ريمو كثير من الجنود وان بعض الخطرية ظلوا مخلصين وقتلوا قتال الابطال . وقد حدث الجاويش المذكور عن بسالة الجنود .

وفى ١٧ أبريل وصل على افندى الى الرجاف قادما من ريمو ومعه ٥٧ جنديا . وفى الوقت نفسه ورد خطاب من عبد الوهاب افندى طلعت من مكرأكا وكان هذا الخطاب قد تأخر وصوله . وقد جاء فيه انه بادر بالسفر وبهذه الكيفية بلغ ريمو فى ٦ من هذا الشهر ومعه المقدمة والمرضى ، وأن بلال افندى من كاييندى و فرج افندى الجوك من ممبتو قد انضموا اليه .

وفى ١٨ أبريل جاء الى امين بك مكتوب من ريجان افندى يذكر فيه انه يأمل ان يصل الى بيدن فى ١٤ من هذا الشهر وأن فرج افندى يوسف الذى كان قد جرح فى واقعة ريمو مات متأثرا بجراحه وان العساكر تامة العدد .

وفى ١٩ أبريل وردت الأخبار من ريجان افندى ومن عبد الوهاب افندى طلعت انهما وصلا مع جنودهما الى بيدن وسافرا منها فى الحال الى لادو .

وفى ٢١ منه جاء خطاب من ريجان افندى يقول فيه انه وصل هو و ٥٥٤ جنديا الى الرجاف ومن بين هؤلاء المرضى والجرحى وهم

جميعا الجنود الذين أمكنهم النجاة . وان العمل جار بهمة في سبيل نقل الأسر والامتعة الى غندوكورو .

وفي ٢٣ أبريل وصل الى لادو ريجان افندى و سليمان افندى وضباط آخرون ومعهم ١٣٠ جنديا لتقوية حامية هذه المحطة .

عقد اجتماع للنظر في الحالة واصدار قرار

وفي ٢٤ منه استدعى امين بك جميع الضباط ليتداولوا في الاحتياطات التي يلزم اتخاذها لتلافيا للمجاعة ولمقاومة الخطر الذي يهدد المديرية . وبعد ان بين الغرض من هذا الاجتماع انسحب وفوض رئاسة المجلس الى البكباشى ريجان افندى حتى يكون للضباط الحسرية التامة في وضع قرارهم . أما كازاتى فحضر ايضا هذا الاجتماع . وهذه صورة ما قرره المجلس بعد المداولة :

« حيث ان محصولات الجنوب في لادو و الرجاف و بيدن الخ . . . غير كافية لتموين الأهالى بعد اخذ حاجتنا منها . وانه سيمر وقت قبل حصاد المحصول الجديد ، وان تنجيز الطلبات يستهلك المؤونة القليلة الباقية في حوزتنا ويدعنا تحت رحمة الزنوج . وحيث انه من المستحيلات الحصول على حبوب بأية وسيلة اخرى ، فقد تقرر نقل النساء والاولاد والامتعة في الحال الى الجنوب والاحتفاظ بالمحطات مؤقتا وذلك بواسطة احتلال عسكري فقط والانسحاب منها عند الضرورة وحشد كل قواتنا في الجنوب . وان خط الانسحاب سيكون شطر الجنوب لأن طريق الشمال بعد بور غير مطروق واخبار الخرطوم مقطوعة وغير معلوم ان

كانت سقطت يقينا في يد العدو أم لا . أما في الجنوب فدوفيليه و وادلای صالحتان لجمعها محطتين اساسيتين وبهما الشئ الكثير من الجيوب وضواحيها خصبة ومنهما الامل الأخير للاتصال بمصر عن طريق زربار واذا وقعنا في اسوأ الاحوال فنلجأ عندئذ الى كباريجا أو الى ابن متيسا .

وبناء على هذا القرار أصدر امين بك في الحال الاوامر اللازمة وقرر نقل قاعدة المديرية الى وادلای حيث تكون الحكومة في مأمن ويمكنها منها الاتصال بسهولة مع الاونيورو وأوغندة .

وهذا المشروع في الحقيقة كان احسن المشاريع غير ان حاميه لادو رفضت اخلاء المحطة وذلك إما من باب العناد أو خوفا من المسير في اتجاه الجنوب مع أن أمينا بك حاول أن يضطرهم الى إخلائها بواسطة تسفير ونقل المستخدمين الماكين . وأخيرا وعدت الجنود بتسفير أسرهم الى وادلای وان يبقوا هم في لادو ليمنعوا المهديين عن التقدم اذا حاولوا المسير الى الامام . والتمسوا من أمين بك أن يرسل اليهم فقط الزاد بانتظام .

ولم ينقد أمين بك في هذه المسألة لأحد إلا لما أوحى به بصيرته وفي الواقع لو كان العدو قدم لحصار لادو لكانت العاقبة بلا ريب تكرار نفس ما حدث لحامية أمادي أي المجاعة والتخاذل وتكون الخاتمة مجزرة عامة . نعم كان أمين بك قد ألف أورطة بقيادة ريجان افندى الذى ترقى الى رتبة بكباشى مكونة من ثمانية بلوكات كل بلوك فيه

١٠٣ من الجنود فيكون المجموع ٨٢٤ جنديا . وكانت ثلاثة بلوكات منها مرابطة في لادو والباقي في غندوكورو و الرجاف و كري و بيدن . ولكن مع هذه القوات الضعيفة لا يكون في استطاعة لادو أن تحمل حصارا طويلا . ثم ان تجريد هذه المحطات لتقوية لادو معناه تعريض تلك المحطات لخطر كبير من جانب قبائل الزنوج . و خطة أمين بك القاضية بنقل قاعدة الحكومة الى الجنوب كانت الوحيدة التي في تنفيذها بعض الأمل بالنجاة .

وفي ٢٥ أبريل شخص أمين بك الى غندوكورو مع موظفيه وأسرته ليراقب مسألة النقل صوب الجنوب . وقد كان في الامكان أن يلاحظ في غضون ذلك بوادر العصيان إلا أن هذه العلامات لم تبد علانية ما دام أمين بك في لادو .

وودع أمين بك على ظهر السفينة الشراعية التي كانت مقالة له شطر الجنوب بشيء قليل من الاحترام والتشريفات العسكرية إلا أنه ما كادت السفينة تتمخض به عباب اليم حتى أخذ جندي من الجنود السودانية يسخر قائلا : « تعلق مديرنا بأذيال الفرار » . وتردد صوت هذه السخرية في لادو ولا كتبها الألسن وشاعت في سائر انحاء شمال المديرية .

وقد علم أمين بك ذلك وهو في غندوكورو واتصل به كذلك خبر فحواه ان ضباط لادو بعد رحيله قرروا الانسحاب نحو الشمال بدلا من الجنوب فأرسل اليهم في الحال مندوبا ومعه مذكرة الى القائد يأمره فيها بمنع كل محاولة من هذا النوع . فأتاه رد اجماعي على هذه المذكرة موقع عليه من جميع الضباط يؤكدون له فيه تأكيدا كليا شدة اخلاصهم ويرجون له

أن يذهب هو نفسه الى الجنوب في أول فرصة بطريقة يأمن معها سرعة ارسال الجبوب الى بيدن و الرجاف و لادو حيث المـؤن نقصت نقصا كبيرا .

فوقع كل ذلك في نفس أمين بك موقعا دعاه الى الارتياح فيهم وعدم التعويل عليهم عند الحاجة . هذا عدا أن الحوادث الماضية قد أقامت الدليل على ذلك ومع كل فكان الأصبوب أن يرجع الى لادو ليفند بوجوده فيها اشاعة الهروب السخيفة التي اذاعوها عنه .

واقام امين بك مع ذلك زهاء خمسة عشر يوما في غندوكورو حيث يندر ايضا وجود الجبوب . وبعد ان اعطى اوامر صريحة بصدد وجوب حسن معاملة قبائل الباريين حتى لا يدعوا لهم سيلا للثورة ، واوامر اخرى بارسال الجنود بقدر ما يستطيع الى بور بقصد سحب الجنود التي فيها . هذا اذا كان لم يزل هنالك الوقت الكافي . لذلك انتقل امين بك الى الرجاف وكان قد اتصل به ان جنود هذه المحطة ينوون اخذه اسيرا فاسرع على قدر الاستطاعة في الذهاب اليها ليرى اذا كان في استطاعة أحد ان يتجاسر حقيقة على وضع يده عليه ولكنه قبول فيها بالخفاوة العسكرية حسب المعتاد وحسن سلوك جميع الحامية من ضباط وجنود لا يمكن ان يدع سيلا للارتياح في نية أحد منهم .

وانتقل امين بك من غندوكورو الى بيدن ولحق به في الطريق اونهاشي كان المهديون قد قبضوا عليه ولكنه استطاع الافلات منهم وقص عليه انه لحق بهؤلاء في امدى و ريمو خسائر فادحة وان ذخيرتهم أوشكت أن تنتهي . وانهم يواصلون ليلهم بنهارهم في جمع الرقيق وارساله الى بحر

الغزال وان الأمير كرم الله أصدر أمرا من « كمارى » Kamari بأعداد كل شىء والتأهب للسير نحو هذه المديرية حيث ينتظر قدومه عمما قليل . وان عددا من الناس كان قد قدم من مديرية بحر الغزال ولكنه رجع اليها وان الستة والعشرين جنديا الذين أخذوا أسارى كانوا مصنفين بالاغلال ومجبرين أن يخدموا كمالين . وقص أيضا انه عندما سمع ذلك قرر هو وثلاثة من رفاقه الياذ بالفرار غير انه يجهل مصير رفاقه لأنه تركهم ليجتاز النهر ساجحا بالقرب من أمادى وان الأسارى تركوا بين مخالب الجوع يكابدون أشد آلامه . وأن الدناقة احتفلت بسقوط الخرطوم وذلك باطلاق ٢٥ مدفعا .

انتقال أمين بك من بيدن الى موجى وارساله مؤونة الى لادو

وبعد ذلك ببضعة أيام قدم رفاق الاونباشى الثلاثة وأيدوا ما قصه ويلوح ان أمينا بك مر بمحطة كرى ولم يقف بها وقد انتقل من بيدن الى موجى وأقام فى هذه مدة غير قصيرة وحالفه التوفيق إذ تمكن من أن يرسل الى لادو كمية كبيرة من الحبوب ومن الفول السودانى لتستخرج منه الزيوت . وفى غضون هذه المدة قدم من أمادى الى لادو اناس آخرون من الفارين وأجمع الكل على القول ان الدناقة يستعدون بسرعة للتوجه الى بحر الغزال ويستنتج من ذلك ان مؤونتهم استهلك منها المقدار الأكبر وانهم لا يرغبون أن يفاجئهم فصل الأمطار فيتعرضوا لخطر قطع الطريق عليهم وهم فى أرض ضربت فيها المجاعة أطنابها . وقد يحتمل أيضا انهم كانوا مهتمين بالجوع الى الخرطوم ويجوز من جهة أخرى أن يكون المهدي قد أصيب بهزيمة فأخذ فى لم شعث شمل رجاله وحشدهم فى

موضع من المواضع . وعلى كل حال فمن الصعب معرفة السر في تصرف المهديين بهذه الكيفية .

الدسائس التي كانت تحاك لعرقلة أعمال أمين بك

وورد لأمين بك في موجى خطاب من اليوزباشى سليم افندى مطر من دوفيليه جاء فيه ان حواش افندى يابى هو ورجاله أن يسلك طريق الشرق ولكنه هو يأخذ على عهدته مع الارتياح هذه المأمورية اذا أمرته الحكومة بذلك وأنه يتعهد أن يقوم بها خير قيام وأنه يرى ان هذه الخطة هي الخطة المثلى وأنه من رأى جميع الموظفين الانسحاب نحو الشرق .

وكان أمين بك يبعض كل فكرة ترمى الى الانسحاب صوب الشرق وكان من جهة اخرى قد وافق على قرار المجلس الحربى الذى انعقد في دوفيليه واتفقت فيه آراء جميع الضباط اتفاقا نهائيا على رفض الانسحاب لجهة الشرق وكان من جملتهم سليم افندى مطر والموظفون أى نفس هؤلاء الذين أصبحوا الآن يرغبون فيما رفضوا قبوله من بضعة أيام .

وأسخط هذا الموقف الغامض الذى يحجب وراءه دسيسة جديدة أميناً بك وأغضبه . وكان قد رأى وعان سابقاً من الأورطة الأولى ما فيه الكفاية . ولما كان لا يود أن يعاضد سليماً افندى مطر في موقفه المفعم بالعداء لرئيسه أرسل الى حواش افندى خطابه وزوده بتوقيع حكم عليه بحجزه عن الخروج من الحجرة مدة سبعة أيام وحبس جميع الموظفين الذين اشتركوا معه في هذه المؤامرة وعزل رئيسهم ميخائيل افندى سعد .

وكان أمين بك يعرف معرفة تامة - وقد قامت الادلة على ظنه هذا فيما بعد وأيدته - ان سليما أفندى مطر وهو ضابط زنجي وأمي لا يعرف القراءة والكتابة أعجز من أن يدبر بنفسه دسيسة وان الذي حاكها هم الموظفون المملوكيون في دوفيليه إذ أن هؤلاء برهنوا فيما سلف على انهم من أصحاب الكفايات في مثل هذه التدابير .

وقد لاح على سليم افندى في أول الأمر أنه ينجح للتمرد وعدم تنفيذ الحكم الصادر عليه إلا أنه لما أرسل له حواش افندى نسخة من قرار الايقاف أذعن وانقلب في وداعة الحمل . والسر في هذا الانقلاب المدهش في الموقف هو تبليغه الأمر كتابة .

ويقول فيتا حسان ان الزنجي لا تؤثر فيه أصعب الكلمات وأشدّها وان الذي يؤثر فيه ما كان مسطورا . فالأمر الذي يعطى شفويا يترك في زوايا النسيان أما الأمر الذي يكون أسود على أبيض فهذا ينفذ بكل عناية ودقة . ويظهر ان الورقة هي « عفريت » الجوزع الأكبر في نظر الجنود السودانية .

وسافر أمين بك من موجي الى لابوريه ومن هذه أرسل كمية كبيرة من الحبوب الى لادو . وبلغه وهو في لابوريه أن المهديين انسحبوا نهائيا بدون ان يصله تفصيلات هذا الانسحاب . وعندما كان في هذه المحطة أذيعت اشاعة بأن أمينا بك يريد أن يجعل فيها قاعدية المديرية وأنه أعاد هناك دارا له غير انه بعد ذلك بأربعة أيام انتقل الى محطة خور أبو ومنها استدعى البكباشي حواش افندى ليتداول معه في تأليف الأورطة الثانية إلا ان هذا الضابط لم يحضر ولم يكتب ليعتذر عن تخلفه

عن الحضور .

وهنا يتساءل المرء عن السبب في عدم احترام أوامر الرئيس .

وللجواب على ذلك نقول ان السبب بلا مرء هو دسائس المملكين وسوء نيتهن إذ أن هؤلاء كثيرا ما كانوا سببا في حدوث ارتباكات وقيام عراقيل أمام أمين بك . ولا عجب فهؤلاء الاشخاص ينتقون من بين صفوف أرداء الموظفين الذين أساءوا السلوك في الخرطوم فصدرت الأوامر بنفيهم الى خط الاستواء ليكفروا عما اقترفوه من الذنوب . وكان ايضا الضباط غير السودانين ما عدا القليل منهم محكوما عليهم من مجالس عسكرية وأتوا ليقضوا مدة العقوبة المحكوم عليهم بها في السودان . وما كانت تنقطع قط دسائس الزوج وغيرهم وكانت النتيجة رفض الأورطة الاولى اطاعة المدير بالمسير في اتجاه الجنوب .

وكان امتناع حواش افندى عن تلبية طلب أمين بك ناشئا عن دسيسة دسها كذلك الموظف الملكي احمد افندى رائف ذلك بأن قال له ان في ثنايا استدعائه الى خور أبو شركا نصب لوقوعه فيه .

الترتيبات الجديدة

ولما كرر أمين بك استدعائه لحواش افندى مرارا لم يستطع هذا الاستمرار على الامتناع عن الذهاب اليه خوفا من أن ينسب اليه التمرد . وعندما مثل أمامه قابله بالأنس والبشاشة حتى عرف انه لم يقع في محال الخدع . وبعد أن لامه أمين بك بطريقة أبوية لتخلفه طويلا عن الحضور رقه الى رتبة البكباشي نظرا للخدمات العظيمة التي

أدائها للمديرية وليستوى هو ورفيقه ربحان افندى قومندان الأورطة الأولى في المرتبة . ثم أخذ يشغل معه في ترتيب المستخدمين المالكين وضباط الأورطة الثانية التي كان سيؤخذ منها حاميات المحطات الجنوبية .

وعملت الترتيبات العسكرية في المديرية بالكيفية الآتية :—

أورطتان كل واحدة منهما مؤلفة من ٨ بلوكات في كل بلوك ١٠٣ بين ضباط و ضباط صف و جنود فيكون مجموع الأورطة الواحدة بما في ذلك القائد ٨٢٥ ويكون مجموع الاورطتين ١٦٥٠ ما بين ضباط و ضباط صف و جنود . وتم توزيع هاتين الاورطتين بهذه الكيفية وهي :—

توزيع الأورطة الأولى بقيادة البكباشي ربحان افندى ابراهيم

أركان حرب الاورطة والمدافع والبلوك الأول والثاني في لادو .
والبلوك الثالث في غندوكورو .
والبلوك الرابع والخامس في الرجاف .
والبلوك السادس في بيدن .
والبلوك السابع والثامن في كري .

وهذه اسماء ضباط الاورطة الاولى كما وردت في بيان أرسله إلينا عبد الرحمن افندى رحى نجل المرحوم البكباشي عثمان افندى لطيف وكيل مديرية خط الاستواء في عهد حكمدارية امين باشا :—

		عدد
اليوزباشى	حامد افندى محمد	١
»	سليم » مطر	١
»	ابراهيم افندى آدم	١
»	سالم » خلاف	١
»	محمد » الصياد	١
»	عبد الواحد » مقلد	١
»	سعيد » عبد السيد	١
»	فرج » يوسف	١
الملازم الاول	فرج » الجوك	١
»	جادين » احمد	١
»	على » جابو	١
»	عبد المين » شلى	١
»	نجيت » برغوت	١
»	سليمان » السودانى	١
»	حسن » الجوهري	١
»	مصطفى » احمد	١
»	نجيت » المصري	١
»	نجيت » كاسا	١
»	حسن » بريمه	١
»	فرج » دنكاوى	١



البكباشي حواش افندی منتصر

توزيع الاورطة الثانية بقيادة البكباشى حواش افندى منتصر

- اركان حرب الاورطة والمدافع والبلوك الاول والثانى فى دوفيله .
 البلوك الثالث فى لابوريه .
 البلوك الرابع فى موجى .
 البلوك الخامس فى فادييك .
 البلوك السادس فى فاتيكو .
 البلوك السابع فى وادلاى .

وهذه أسماء ضباط الاورطة الثانية كما وردت فى بيان عبد الرحمن
 افندى المذكور :-

عدد			
١	اليوزباشى	عبد الوهاب افندى طلعت	
١	»	مصطفى	العجمى
١	»	محمود	العجمى
١	»	احمد	الاسيوطى
١	»	خير	مرتنيك(امريكانى)
١	»	كودى	احمد
١	»	فضل المولى	الامين
١	»	احمد	على
١	الملازم الاول	عبد الله	محمد
٩	نقل بعده		

عدد	٩	م قبيل	
١	الملازم الاول	عبد الله افندى منزل	
١	»	عبد الله » العبد	
١	»	سرور » على	
١	»	بنخيت » محمود	
١	»	فرج » الزهيري	
١	»	فرج » زغالول	
١	الملازم الثانى	محمد » موبى	
١	»	حسين » محمد	
١	»	سليمان » عبد الرحيم	
١	»	خالد » احمد	
١	»	اسماعيل » حسين	
١	»	محمد » عثمان المصرى	
<hr/>			
٢١			
<hr/>			

* * *

وفى عدا تنقلات الجنود التى تستلزمها ضرورات الاعمال أو اخلاء بعض المخططات واحتمال لغيرها استمر هذا الترتيب بهذا الوضع لغاية نهاية الادارة المصرية .

فكان على ذلك البكباشى ربحان افندى يتولى القيادة من لادو

الى كرى ، و البكباشى حواش افندى فى قسم المديرية الجنوبي ابتداء من كرى . وقد شمرنا عن ساعد الجـد وواصلوا ليهم بنهارهم فى اصلاح الأسلحة وترتيبها فكانت نتيجة ذلك صلاحية بنديتين أو ثلاث للاستعمال من كل عشر بنادق كانت غير صالحة للاستعمال . وبهذه الكيفية صار فى حيز الامكان ايجاد بنادق يبلغ مجموعها ٢٥٠٠ بنديّة . ولهذا المناسبة أصدر امين بك عدة أوامر بترقيات حملها حواش افندى معه وهو مسافر .

وكان قبل ذلك زمن يسير قد فصل احمد افندى محمود المأمور الملكى وعبد الوهاب افندى طلعت المأمور العسكرية جزاء ما عزياه الى امين بك من الاقوال المقتراة . ولوساطة فيتا حسان عفا عنها امين بك حسب عادته المألوفة غير أنهما فى نفس ذات اليوم الذى عفا فيه عنها عادا الى القدح فيه بقولهما انه ليس بأهل للحكم . وهذا ما جعل فيتا حسان يتميز من الغيظ وهم بأن يطلب من امين بك ان يوقع عليهما أقصى عقوبة غير انه ما لبث أن عدل عن فكرته هذه وأخذ هو نفسه يستعطف أمينا بك قائلا : ينبغي ان يعفو الانسان عن الزلات .

نقل قاعدة المديرية الى وادلاى

وقال امين بك لفيتا حسان ، وذلك قبل رجوع حواش افندى الى دوفيليه ، إنه يريد الانتقال صوب الجنوب ليقم قاعدة حكومته فى وادلاى ، وانه يود أن لا يذهب الى هناك إلا بدافع من الاورطة الثانية . ولعل ذلك كان لخوفه من ان انتقاله الثانى هذا يحمل الاورطة المذكورة على الاعتقاد فى صحة اشاعة هروبه . وقد يجوز أيضا ان يكون ذلك صادرا

من طريق غريزته التي كانت دواما تحمله على اتخاذ طرق ملتوية معوجة ليتوصل الى حل المسائل البالغة منتهى البساطة .

وكان فيتا حسان يعتقد جـواز الأمرين . غير أن أميناً بك قدم الى حواش افندى سببا لا يمت بصلة ما لغرض من هذين الغرضين وأقنعه بأن يطلب منه انتقاله الى وادلاى لأسباب طبيعية يبررها العقل . وهي ان المواصلات بين خور أيو و دوفيليه غير ممكنة إلا برا ، وبالتالي يصعب قطعها على الجنود وعلى الأهالى الذين يستخدمون كمالين بينما يمكن قطع المسافة بين دوفيليه و وادلاى بانتظام فى سائر ايام السنة بواسطة الباخرتين « الخديو » و « نيازرا » .

وكان فيتا حسان حاضرا مع المدير فى نفس البرهة التي عرض فيها طلب حواش افندى على أمين بك الذى تناوله فى الحال وتصفحه بسرعة البرق وأقره .

انشغال المدير بشحن الغلال الى الشمال
وتطبيب مرضى أمادى وجرحاها

وشخص حواش افندى الى محل وظيفته فى دوفيليه ولبث امين بك فى خور أيو يشرف على شحن الغلال الى الشمال وعلى تطبيب مرضى وجرحى امادى . أما اليوزباشى كازاتى الذى كان لم يزل مقيما فى لادو فقدم وقابل امينا بك فى خور أيو وأبلغه انه علم ان ترجمانا من الباريين أتى الى لادو وأخبر أن المهديين أخذوه معهم من مكرا كا وان هؤلاء دمروا هذه المحطة تدميرا تاما بعد ان أخلوها .

وقرر امين بك السفر الى دوفيليه بعد ان أرسل الى لادو زهاء ٤٠٠ اردب من الحبوب وكان ذلك عقب أن ورد له إخطار رسمي من البكباشي قائد الاورطة الثانية في دوفيليه فحواه عدم استطاعته ارسال حبوب الى خور أيو بعد ان كلف بتموين لادو بالحبوب .

أما اليوزباشي كازاتي فقد رحل قبله الى وادلای .

سفر المدير الى دوفيليه وخطر الطريق الموصل اليها

وكان امين بك قد قرر السفر من خور أيو الى دوفيليه في ٢٣ يونيه وأعد كل أدوات السفر غير أن الجمالين لم يأتوا الى الساعة التي توارت فيها الشمس بالحجاب . فدعت الضرورة أمينا بك أن يؤجل سفره الى الغد لأن الطريق كانت غير مأمونة ويستطيع ان يهاجمه فيها عدد قليل من الأهالي بسهولة . وكان هؤلاء في الواقع ونفس الأمر منذ ثورة الماتويين Metus التي قمعها حواش افندى قبل ذلك بستة أشهر قد صيروا الطريق مخوفة إذ أقاموا فيها المكامن على مقربة من خور الطين Khor El Tin في منتصف الطريق بين خور أيو و دوفيليه ليهاجموا منها عابري السبيل الذين لا يكون لديهم الحرس الكافي .

ولما كان احمد افندى محمود السالف الذكر ليس في امكانه الانتظار سفر والدته وشقيقته مع أربعة من الخدم وأربعة من الجمالين فجرت عليه هذه المجازفة أعظم المصائب وأكبر الويلات إذ هاجم هذه القافلة الصغيرة منسر من الزوج في خور الطين فأبادهما ولم ينبج منها

سوى خادم واحد تمكن من الوصول الى دوفيليه نخشى عندئذ حواش افندى من الاغارة على قافلة امين بك فأرسل ليلا أربعين جنديا ليحافظوا عليه لغاية دوفيليه . ودخل امين بك هذه المحطة في ٢٤ يونيه .

وأقام أمين بك نحو عشرة أيام في دوفيليه ومنها استمر في تصدير الحبوب في اتجاه الشمال . وتلقى في اثناء اقامته في هذه المحطة خطابا من ريحان افندى في لادو فخواه أنه قام بغارة خلف جبل لادو في اتجاه فادجيلو Fadjelu فنجحت وغنم ذرة ودخنا بمقادير كافية لتموين الجند زمنا .

مبارحة المدير لدوفيليه
وتكليفه حواش افندى القضاء على دسائس الموظفين

وعند مبارحته دوفيليه وجه الى حواش افندى في مواجهة الجند والموظفين مجتمعين في المرسى الكلمات الآتية .

« لقد حاق بي من الهم والاذى ما فيه الكفاية . وليس لي متسع من الوقت لاشتغل اكثر مما مضى بدسائس وسخافات الموظفين . فأنا افوض لك الأمر في كبح جماحهم وعدم خروجهم عن حد الواجب . وارك لك مطلق الحرية وأؤيد سلفا ما تتخذه من التدابير » .

وسافر امين بك من دوفيليه في ٤ يولييه ودخل وادلاي في ١٠ منه واقام بها عامين تقريبا في هدوء نسبي لغاية قدوم استانلي أول مرة ووقوع الحوادث التي قلبت المديرية رأسا على عقب .

ووجد امين بك في وادلاى زريبة كبيرة بها معدات الراحة كانت قد اعدت له من قبل فنزل بها وقدم اليه فيها رئيس هذه الناحية وكان من عاداته ان لا يأتى قط الى المحطة ووعدته بان يرسل اليه رجالا وتراجمة .

واول عمل اقدم عليه امين بك في وادلاى عزل احمد افندى محمود إذ ان شخصيته أمست لا تطاق بسبب رداءة سلوكه وشدة وقاحته .

ورأى امين بك انه قد أضح عن عاتقه الاهتمام بمشاكل المهديين وتمرد الاورطلة الأولى ودسائس الموظفين زمنا ما فأخذ يشغل بتحسين حالة المديرية بنشر الزراعة وأرسل كذلك رسله سرا الى كباريجا ملك الاونيورو ليجس نبضه عن مقاصده نحو المديرية وعن اجتيازه بلده إذا طرأ ما يدعو الى ذلك .

الغرض من محاولة أمين بك إيجاد مخرج له في أونورو

وقد كان امين بك من جهة اخرى ينوى مد حدود مديريته الى ما وراء بحيرة البرت نيازا حتى اذا جدد المهديون غاراتهم تكون البحيرة فاصلة بينهم وبينه . ولم يكن قصد امين بك من تلمس مخرج له في أرض الاونيورو الرغبة في ترك المديرية ومبارحتها ، بل كان غرضه الوحيد من ذلك إيجاد طريق للانسحاب مفتوحة ليسلكها عند الحاجة إذ أنه كان مغرما بمديرية خط الاستواء ويرى نفسه سعيذا بوجوده فيها وبدلا من ان يتركها كان يأمل ان يوسعها ويقويها

ويجعلها مقرا سعيدا . غير ان انقسام الجنود السيء العاقبة وخيانة المستخدمين وعويلهم كل ذلك كان يجعل تنفيذ هذه الخطة من الامور الصعبة بل المستحيلة .

ولقد أطارَت بادیء الامر غارة المهديين غير المتوقعة لب امين بك إلا أنه حتى في هذه الآونة العصيبة لم ييأس من النجاة . والدليل على ذلك كلامه الذى فاه به عشية اليوم السابق لوصول الأمير كرم الله وتناقلته الألسن وحرفته تحريفا مشثوما وهو :—

« إن فى استطاعتى بعون الله وحوله أن أحافظ عليكم وأسير بكم عن طريق أوغندة . وأخذ على عاتقى ان اوصلكم الى القاهرة . هذا اذا أوليتمنى الطاعة . وفى قدرتى ان اقود الكتبة والضباط وأسلك بهم من طريق أونيوورو و أوغندة . أما الجنود فهؤلاء لا اظن ان كباريجا يسمح لهم بالمرور من أرضه . والحدود ليس فى حاجة الى بعض جنود سودانية والى بضع بنادق رمنجتون عتيقة . والأفضل ان يظل السودانيون فى بلدكم .

لقد يخالجنى الأمل بأنكم لو اطعتمونى استطيع ان اوصلكم الى القاهرة*
سالمين » .

وفى غضون حصار أمادى لم يعد امين بك يفكر فى انسحاب قد يمكن ان تكون عاقبته القضاء المبرم عليه وعلى سائر من معه لأن نقل عدة آلاف من الاشخاص بينهم بوجه خاص النساء والاطفال فى جوف غابات افريقية أمر غاية فى الصعوبة ان لم يكن مستحيلا كما جرب ذلك بضعة

الاشخاص الذين امكنهم بلوغ ساحل البحر مع استانلى .

وكان امين بك على بينة من هذه الصعاب التى كانت الباعث الوحيد فى ترده كلما دعت الحالة الى سفر أو انسحاب . وكان من ناحية اخرى اغلب اناس مديرية خط الاستواء سواء أكانوا جنودا أم أسرا لهم من الزوج وهم يرتاحون لوجودهم فى تلك الاصفاع ولا يميلون إلا قليلا لترك مسقط رؤوسهم ليذهبوا الى مصر بعد ان يقاسوا فى الطريق من المشاق والصعاب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت .

والموظفون المصريون الذين يرغبون فى الرجوع الى بلدهم كانوا اقلية لا تذكر وكان السفر معهم وحدهم فى رحلة كهذه أمرا مخوفاً بالأخطار . وعدا ذلك فان أمينا بك شغوف بخط الاستواء وفى نيته الإقامة فيه . فلقد كان مجذوبا اليه بهوائه العليل ، وسكانه الهادئين هدوءا نسبيا ، وعيشته الرخية . ولو أراد حقا اخلاء المديرية لما استطاع ذلك إلا بعد موافقة الجنود . واذا وافق هؤلاء فليس هنالك شئ أسهل من الرحيل مع ال ١٦٥٠ جنديا المسلحين سلاحا تاما والمزودين بالمؤونة التى فى حوزتهم . اما مملكتا أوغندة والاونيورو فهاتان لا يمكن ان يخطر ببالهما الوقوف فى طريق جيش عرمرم كهذا لتعترضاه .

ولم يكن أمين بك يفكر إلا قليلا فى انسحاب كهذا بعد القيام به تقريبا من الاشياء المستحيلة بل كان بالعكس يرغب فى اخلاء المنطقة الشمالية ونقل المديرية الى القسم الجنوبى ليخضع الاهالى النازلين بين بحيرتى البرت نيانزا و تنجانيقا . ونقل قاعدة الحكومة الى وادلاى هى أول خطوة خطاها فى سبيل تنفيذ هذه الخطة . وتهيئة المديرية على هذه

الصورة يصير لها بحيرة البرت نياترا بمثابة حصن يقيها هجوم المهيدين على انه لا يظن ان هؤلاء يقومون بأى هجوم بعيدا هكذا عن قاعدتهم .

غير ان تنفيذ هذا المشروع يتوقف على عدم تمنع الجنود وخصوصا الاورطة الاولى عن تقديم المساعدة . وكان امين بك ينتظر ان يتكفل الزمن بتذليل الأمور فكان الزمن وحده كفيلا بان ينتزع من قلب الجنود ما زرعه يد أولئك الطغام السيئى المقاصد من الأفكار الخبيثة ويرجع اليه الثقة والطمأنينة .

وكان أمين بك يرتقب من حوادث الأيام أن يطـرأ من جانب المهيدين هجوم على لادو يضطر الجنود الى إخلاء جهة الشمال والانسحاب صوب الجنوب . وفى انتظار حدوث ذلك كان أمين بك يشغل فى سبيل اكتساب ثقة الأورطة الأولى وإزالة الصعوبات التى كانت قائمة أمام امتداد المديرية لشطر الجنوب وذلك بمحاولة عقد صلات مع الرؤساء والامراء المستقلين .

وفى ٢٥ يوليه جاء مع بريد لادو خبر مشوم مؤداه ان جنود بور اتخذوا سبيلهم مولين وجوهم شطر غندوكورو حسب الأوامر التى كان أصدرها اليهم أمين بك فى يناير وذلك عندما انتقل اليها عثمان افندى لطيف وكيل المديرية فهاجموا أثناء الطريق ولم ينبج من مجموعهم البالغ ٤٥ نفسا سوى ١٣ نسمة وان هذا العدد وصل الى لادو . وعد أمين بك ربحان افندى مسئولا عن هذه الكارثة لأنه رغما عن الأوامر المتعددة التى بعث بها اليه لم يرسل جنودا عندما كان

لم يزل لديه الوقت الكافي وبعد فوات الوقت أرسل ٢٠٠ جندي بقيادة فضل الله افندي .

وفي ١٦ أغسطس وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاي قادمة من دوفيليه وورد بها بريد لادو ومن ضمنه بلاغ من عوض افندي فـواه ان ترجمانا من الفارين من « جور غطاس » روى ان الأمير كرم الله كان آخر من بارح مكراكا وانه أحرق وهو سائر في طريقه جميع ما صادفه من النقط العسكرية واقتاد معه كل من كان بها .

وفي أوائل سبتمبر بلغت أمينا بك أخبار من مكراكا أتى بها اناس كان قد أمر بارسالهم من الرجاف . وخلاصة هذه الأخبار ان المحطات جميعها سليمة غير انها خاوية خالية وان بعض الرؤساء اقتادهم المهديون معهم الى بحر الغزال وان هؤلاء لم يتركوا منهم أحدا لا في مكراكا ولا في أمادي .

وفد كباريجا ملك أونيوورو الى امين بك

وفي ٢٠ سبتمبر جاء وفد الى وادلاي من قبل كباريجا ملك أونيوورو مؤلف من ثلاثة مندوبين ليزور أمينا بك ردا على زيارة الرسل الذين كان قد بعث بهم اليه . وكان الوفد المذكور يحمل معه هدايا من منسوجات ودخان وبن . ومن مهمته أيضا أن يؤكد لأمين بك أميال الملك الحمية واستعداداه لأن يحضر الى أونيوورو الطيب جونكر الذي كان محبوزا لدى أنفينا . وأقام الوفد أياما عومل فيها أحسن معاملة وقدم له أمين بك في نهاية الأمر جملة هدايا ذات قيمة برسم الملك

وكلّفه بأن يعرب له عن تشكراته لآظهار استعدادده لآحضار جونكر من عند أنفينا ويؤكد له صداقته .

ووزع أمين بك المنسوجات المرسلّة من طرف كباريجا على ضباط الأورطتين . فاتخذت خيانة المستخدمين من هذه المسألة وسيلة لبث دسائس جديدة فزعم أحدهم وهو شخص يقال له باسيلي افندى بقطر كاتب الأورطة الأولى فى لادو ان هذه المنسوجات لم تأت من عند كباريجا بل هى آتية من قبل أمين بك و فيتا حسان . أما القول بأنها هدايا مرسلّة من الملك المذكور فهذا ادعاء القصد منه حمل الجنود على المسير صوب الجنوب حيث يسمون الى كباريجا ثمنا لمرور امين بك ، بل حدث ما هو أدهى وأنكى إذ تطرفوا وشطوا فى الادعاء فقالوا ان النسيج مسموم وأرسله أمين بك بقصد اهلاك ضباط الأورطة الأولى ومواراتهم عن الأعين . واحتفظ بكباشى الأورطة المذكورة ريحان افندى بهذا النسيج ولم يشأ أن يستعمله قط وأرسل واحدا من ضباطه وهو اليوزباشى على افندى سيد احمد الى أمين بك ليستعلم عن حوادث وادلاى ويفيده بالنتيجة .

تدمير الزنوج محطة بور وارسل حملة لتأديبهم

وان هو إلا أن سافر الوفد المرسل من كباريجا حتى قدمت باخرة من دوفيليه تحمل أخبار الخراب والدمار . ذلك ان محطة بور قد دمرها الزنوج فى آخر الأمر وان هذا التدمير حدث تماما فى اللحظة التى كانت فيها حاميتها على أهبة الذهاب الى لادو . ويظهر انه على الرغم من الأوامر الصريحة الصادرة من أمين بك لم يخطر ببال البكباشى قومندان لادو

أن يرسل جنديا واحدا الى بور ولكن عندما نزل القضاء ووقعت الواقعة بأدر بارسال ٢٠٠ جندي بدون أن يكون من وراء ارسالهم أمل ما وبدون أن يحسب ان هذا العدد غير كاف .

ووصلت هذه الحملة الى بور بدون أن تصاب بضرر وغنمت بعض المؤن غير انها بدلا من أن تقنع بهذه الغنيمة وتعود توجت شطر الشمال ولربما كان ذلك حسب أوامر البكباشي الآف الذكر . ولدى وصولها الى بحر الزراف أحيطت بجموع كبيرة من الزنوج وأيدت تقريبا .

وتمكن الى الآن ٤٣ جنديا فقط من المائتي الجندي المذكورين من الرجوع وكانت نتيجة هذه الكارثة ان ثار الباريون الذين ارتاحوا لوهم الحكومة وضعفها .

إيفاد امين بك فيتا حسان الى أنقينا
لاسترجاع الدكتور جونكر

وحاول أمين بك الاستفادة مما أبداه كباريجا من الاستعداد لاسترجاع الدكتور جونكر من لدى أنقينا حيث مر عليه ثمانية أشهر وهو عنده بدون أن يستطيع أن يقوم بحركة أو أن يرسل خطابا أو يصل إليه شيء من ذلك ، فعمد أمين بك الى الضابط سليمان افندي عبد الرحيم القيام بهذه المهمة فاستصحب هذا بعض الجنود وشخص الى فودا Foda عاصمة ماجونجوو ومحل وجود جونكر ، غير ان ما أبداه الأهالي من العداوة اضطره الى الرجوع من « خور جالوبا » Khor Galuba الواقع في منتصف الطريق . ورأى عندئذ أمين بك أن

يكلف ضابط مراسلته عبد الوهاب افندى طلعت ومندوبه الأول احمد افندى رائف بهذه المهمة لكنهما أبيا القيام بها .

وقد طلب أمين بك من فيتا حسان أن يأخذ هو هذا الأمر على عاتقه فلبى الطلب وقام على متن الباخرة « نيازرا » في ١٠ أكتوبر . ويكون غاطس هذه الباخرة كبيرا ولا يمكنها الوصول الى « تور » Tor اضطر فيتا حسان أن ينزل منها في « فاكأنجو » Fakango وسار في طريقه هو و الجاويش عبد الجبار و جندي ظانا أنه ليس من أصالة الرأي استصحاب عدد كبير من الجند لأن ذلك لا يكون من ورائه غير لفت الانظار وزيادة الاحتراس بينما أن اثنين أو ثلاثة أشخاص يستطيعون السير بدون أن يراهم انسان .

وبلغ فيتا حسان في ظرف أربعة أيام فودا عاصمة ماجوننجو وفيها قابله الرئيس أنفينا ، وكان قد بلغه خبر قدومه ، عند باب داره ببشاشة وائناس أدهشاه . وكان الرئيس يرتدى ملابس غريبة وطربوشا وحذاء حتى أن من رآه يخاله موظفا مصريا وهو لا يلبس هذه الكسوة إلا في الاحتفالات الرسمية كاستقبال رسول من طرف الحكومة المصرية . ويتكلم أنفينا اللغة العربية باتقان بكيفية مكنت فيتا حسان من محادثته بدون احتياج الى ترجمان .

وقد أحضر أنفينا الى ضيفه قهوة وهذا أمر يقوم به عادة رؤساء الزوج الآخرون .

ولا يمتاز رجال الماجونجو الذين يسكنون هذا القسم عن الأقوام الرحل

الآخرين الذين سبق وصفهم إلا بنظافتهم وكثرة استعمالهم الملابس . وأكثر ما يشتغلون به الفلاحة وقليل منهم يشتغل باقتناص الفيالة . وأهم أغذيتهم الموز ويحصلون عليه من مزارع لهم واسعة من هذا النوع . ولهم عادة تعد من أعجب العادات ذلك ان بنات ملك هذا البلد يملكن تماما بلا حياء أن لا يتزوجن . وهن مع ذلك غير ملزمات أن يبقين أبكارا لأن كل رجل يعجبهن يجب عليه أن يظل طوع ارادتهن غير انهن متى قضين منه وطهرهن أمرن باعدامه حتى لا يستطيع الافتخار بما نال منهن من تنعم . ولا ينجو من الاعدام إلا من ساعده الحظ وانغرست محبته في قلوبهن فهذا عندئذ يرفع الى مرتبة « ماتونجولى » أى وزير . وعدا ذلك فان الرئيس له وحده امتياز الزواج من اخته .

وكانت « فودا » التى يقيم فيها أنفينا نقطة مصرية فى السابق تابعة لمركز فويرا وأخلت فقط عند هجوم المهديين . ويشق هذه القرية نهير ويوجد على الضفة المقابلة مسكن الطبيب جونكر . وهناك على هذه الضفة أمر أنفينا ببناء مسكن فيتا حسان ولا يفصله عن المسكن الأول غير حديقة صغيرة . ورافق أنفينا فيتا حسان لغاية حافة النهر وأمر بانزال متاعه فى مركب ولم يبق فى هذا البر سوى بغلته .

وأحضر أنفينا خلال عبور الأمتعة مقعدين جلس هو و فيتا حسان عليهما متفيئين ظلل شجرة من أشجار التمر هندى وأخذا يتجاذبان أطراف الحديث . فسأل أنفينا فيتا حسان عن الداعى الى سحب الجنود من بلده قائلا ان وجودهم يحميه من غارات كباريجا الذى يخافه ويخشاه كثيرا . ورجاه أن يطلب من أمين بك باسمه رجوع الحامية وانه يتعهد أن يقوم بلوازمها .

وأردف أنقينا أنه كان دائماً أبداً مخلصاً للحكومة وأنه ليس من العدالة في شيء تركه هكذا تحت رحمة كباريجا وأنه سيأتي بلا ريب يوم يدمر فيه ذلك الملك بلده .

فهدأ فيتا حسان روع أنقينا وطمأنه من ناحية مقاصد كباريجا ووعدته بأن يكلم أميناً بك في هذا الموضوع . ثم سلم عليه وعبر وحده النهر فوجد جونكر في انتظاره ولدى مقابلتها صافح كل منهما الآخر معبراً عما يمكنه له من الشوق وبعد ذلك وليا وجهها شطر منزل الطبيب .

وظل الطبيب جونكر في هذا المكان ثمانية أشهر لم يستطع في خلالها أن يرسل جواباً واحداً الى ساحل زربار . أما أوغندة فكانت في حرب مع ماجونجو ولم يكن في استطاعة انسان أن يجتاز أرض ملك أوغندة المدعو موانجا Mwanga وهو ابن متيسا الذي توفي وقد تولى عرش أوغندة بعد وفاة والده . ولقد جرب جونكر كل الوسائل للخلاص من هذا الأسر فلم تنجح منها وسيلة وكان يقضى أوقاته في فلاحه بستانه ومتابعة دروسه .

إرسال حامية من الجنود المصرية الى عاصمة ماجونجو

وبر فيتا حسان بوعدته لأنقينا وكتب الى أمين بك ليرسل ثلثة من الجنود الى فودا . ويقول فيتا ان الأيام التي قضاها في هذه القرية هي أطيب الأيام التي قضاها من حياته في السودان . وكان أنقينا يقدم لهما بانتظام الذرة واللحم وفي كل مرة يطلب منهما اللحاح على أمين بك بإرسال حامية مصرية .

وفي نهاية الأمر أتى الى فودا في أوائل ديسمبر ضابطان وهما سعيد افندى عبد السيد و بجيت افندى ومعهما ١٥ جنديا . وهذا العدد الأخير من الجنود مكلف بالاقامة في القرية السالفة الذكر بصفة حامية .

وفي ١١ ديسمبر بعد أن ودع فيتا حسان و جونكر أنفينا انطلقا في السير مع الضابطين مولين وجوههم شطر فكواج Fakwadj الواقعة على بعد ١٥ دقيقة من بحيرة البرت نيازنا فبلغوها بعد سفر أربعة أيام ونزلوا في دار رئيس القرية منتظرين حضور الباخرة « الخديو » وقد وصلت في اليوم التالي الموافق ١٦ ديسمبر وعلى ظهرها أمين بك . وعاد الجميع معا الى وادلاي .

ويقص لنا فيتا حسان قصة في تدوينها هنا شيء من الفائدة والفكاهة ، قال :

« مما يلفت الانظار ان أسماء القرى الكبرى الواقعة في المنطقة التي بين النيل الأبيض ونيل فكتوريا ابتداء من دوفيليه لغاية بحيرة البرت نيازنا حيث توجد مساقط مورشينزون ، تبتدىء تقريبا جميعها بحرف « ف » وذلك مثل :

« فاديبك . فويرا . فاتيكو . فالورو . فابو . فادوللي . فارابوجو . فاتانجا . فارادجوك . فارشيلا . فاتاجورا . الخ . . .

« وهذه المائلة في بدء هذه القرى بحرف الفاء لم تأت عفوا فلقد حفظ الأهالي سيرة عجيبة بصدد هذه المسألة تلقاها الخلف عن

السلف . ذلك انه في زمن بعيد جدا ظهر في تلك المنطقة شيخ من شيوخ العرب ومن أولياء الله الصالحين . ولم يكن معه من الأتباع سوى رجل واحد من المؤمنين وكان كل ما لديه من السلاح قرع أخضر يستعمله كمنسأة يتوكأ عليها . ورأى الأهالي في ظهور هذا الرجل الأبيض الذي لم يسبق لهم أن رأوا مثله آية من الآيات ومعجزة من المعجزات . ولم يلبث أن صار موضع إعزاز الأهالي واحترامهم بحسن سلوكه وطيبته وصلاحه . وكان ذلك الشيخ يعرف كيف يتوصل الى إفهام الأهالي ما يريد إفهامهم إياه وكيف يطفىء جذوة حذتهم عند المخاصمات وكيف يصالحهم . فقدر له الناس صلاحه حق قدره الى أن علا صيته وشاع وذاع وملاً الاصقاع وصارت كلماته لها منزلة الوحي المنزل .

« وكان الشيخ فرج ، وهذا هو اسمه ، ينسب الأهالي بأنه سيأتى يوم يظهر في هذه البلاد اناس بيض نظيره ويوصيهم بمقابلتهم كاخوان لا كأعداء (وربما كان يلوح الى المصريين) . ولكيلا تسمى تعليماته نسيا منسيا كان يضيف على اسم النواحي التي يمر بها أول حبرف من حروف اسمه وهو الفاء . وقال للناس ان أسماء هذه النواحي يجب ان تذكركم على الدوام بالشيخ فرج وتعليماته حتى لا تكونوا سببا في حدوث أذى يلحق باخوانكم البيض عندما يأتون .

« فاذا سألت من أين أتى هذا الشيخ ومن هو والى أين ذهب فلا تجد مجيبا . وان الذين بلغوا من الكبر عتيا هم وحدهم دون سواهم الذين ادعوا ذكر ولى مر ببلدهم مرور الطيف ولكنهم لا يعطونك من أوصافه شيئا غير أمره الناس بالمعروف ونهيهم عن المنكر . »

حوادث المديرية اثناء غيبة فيتا حسان

أما الحوادث التي وقعت في المديرية خلال غياب فيتا حسان عن وادلاى فها هي :-

في ١٤ أكتوبر وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى على حين فجأة قادمة من دوفيليه وذلك في الساعة التاسعة والنصف مساء وجاء معها الخبر الآتى وهو :

انتقل ريجان افندى الى غندوكورو في ٢ أكتوبر ليتفقد فيها أشغال الدفاع الجارية بها . وفي ٤ منه ورد له خطاب من اليوزباشى محمود افندى العجيمى أخبره فيه انه عند بزوغ الشمس نبهه رئيس تراجمة الباريين الى ما يأتى :

ان رئيسى الباريين المقيمين بجوار المحطة وهما وادمارى Wad Mari و واديانجا Wad Ianga أخذوا أبقار الحكومة ليلا ونشرا هما وأتباعها راية العصيان . وبعد ذلك بساعتين هاجم جمع غفير من الزوج محطة لادو فصوبت عليهم ثلاث طلقات من أفواه البنادق فولوا الأدبار غير ان لادو محصورة وجميع المواصلات مع الرجاف مقطوعة .

وقدم تراجمة الباريين مبكرين وطلبوا ذخيرة فصرف لكل منهم ربطة بها عشرة مظاريف وذهبوا ليحضرُوا الى المحطة عشائهم ومتاعهم غير انه لم يرجع منهم سوى أربعة رجال بسلاحهم وبعض رجال آخرين بدون سلاح .

وأخبر ترجمان ظل مخلصا للحكومة ان الذين قاموا بالهجوم على لادو و غندو كورو هم عشائر الشير Shirs ، و الدنكا Dinkas ، و النيامبارا Niambaras ، و الألياب Elliabs ، الذين انضموا الى الباريين . ويقول ريحان افندى علاوة على ذلك ان الرئيس بافو Befo كان روح العصابة وان هذا الرئيس من الباليان Belinien . فأرسل أمين بك في الحال ضباطا مزودين بالتعليمات اللازمة وأرسل معهم المؤونة الكافية برسم لادو و الرجاف وهي عبارة عن ١٥٠٠ اردب تقريبا لاذ أن الباريين أرسلوا أولا الحبوب الى الحكومة وبعد ذلك ثاروا .

وفي ١٨ أكتوبر قدم اناس من قبل كباريجا بقيادة أمسيجي Msigi ترجمان أمين بك سابقا وكانت مأمورية هذا تنحصر في أن يتأكد اذا كان رئيس الأتراك (أى المصريين) هو نفس صديق كباريجا قديما أى أمين بك وانه اذا وجدته هو بعينه يضع نفسه في خدمته . أما اذا ظهر له عكس ذلك ينقلب راجعا لأن كباريجا لا يريد أن يكون له صلة ما بالحكومة .

وقص أمسيجي على أمين بك ان موانجسا ملك أوغندة الجديد أعدم سائر كبار الرجال الذين كانوا في بلاط أبيه ولم يستبق منهم إلا صديقه الوزير الأول . وان أربعة من الأجانب نزلوا في أوغندة وان العلاقات بينها وبين الأونيورو متوترة ولكن السلع ما زالت تغدو وتروح بدون أدنى عائق حتى ان العرب يصدرون ويستوردون البضائع والمراسلات من غير ارهاق ولا اعنات .

وهمس أمسيجي في أذن أمين بك ببعض تعليمات سرية خواها ان
كباريجا يعرض عليه أولا ان ينتقل هو ورجاله إليه وذلك عند مسيس
الحاجة أو ان يقدم له الوسيلة بان يجتاز بلده متجها نحو الجنوب .
وكان يعلم امين بك ان في هذا الأمر سرا غامضا وان وراء الأكمة
ما وراءها .

ومن حوادث المديرية أيضا ان اليوزباشى على افندى سيد احمد الذى
أرسله ريحان افندى الى وادلاى ليتصيد الأخبار كما ذكرنا قبلا ، سافر منها
راجعا في ١٤ أكتوبر وبلغ الرجاف في ٢٤ منه ووجد الطريق مسدودة
من اسبوعين بين لادو و الرجاف و غندوكورو فطلب ١٠٠ جندى
وذخيرة . واختفى تراجع الرجاف كافة وأخذوا معهم اسلحتهم وظل
الرئيس لاكى Laki وحده على عهده مع الحكومة والله يعلم الى متى يظل محافظا
على هذا العهد .

وفي ١٤ أكتوبر كتب ريحان افندى ان البارين جددوا غاراتهم وانه
لو تراءى ان لادو في غير استطاعتها الثبات تتراجع حاميتها الى الرجاف .
وان الطريق في جنوب هذه الناحية خالية للرائح والغادى لغاية
هذا اليوم .

وفي أول نوفمبر أرجع امين بك رسل كباريجا على متن باخرة الى
محطة كيبيرو Kibiro الواقعة على بحيرة البرت نيازا بعد ان زودهم بالهدايا
والخطابات واصبح الآن كل شيء معلقا بحسن ارادة كباريجا ولكنه اذا
رفض وآل ذلك الى الفشل يقول امين بك انه يبقى لديه وسيلة ارسال
١٥٠ جنديا الى أوغندة عن طريق مرولى حتى لو دعت الحالة

الى استعمال القوة .

وفي ١٧ نوفمبر وصلت الباخرة « الخديو » في البكور الى وادلاى آتية من دوفيليه وبها خطابات من على افندى سيد احمد في الرجاف علم منها ان الرئيس لاكي انضم الى الثائرين ، وعلى هذا أمسى بلد الباريين برمته متمردا حاملا راية العصيان ، وان لادو ما زالت محصورة وان جمعا غفيرا من السود الباريين و الدنكا هاجم الرجاف فصد بعد ان منى بخسارة قدرت بـ ٥٠٠ قتيل وكثير من الجرحى ، وان الزوج قاموا بهجوم آخر فصدوا ايضا بخسائر فادحة وان الرجاف محصنة تحصينا منيعا وممونة تمويها حسنا وعلى ذلك تعد كل هذه الغارات تافهة ولا يؤبه لها . وأرسل امين بك نجدات وكرر أوامره بصدد انسحاب الحامية .

وكان أمين بك قد أرسل ثلة من الجنود كما ذكرنا قبلا لينشئ محطة في فودا لدى اتقينا وأرسل معها حاملين ليعودوا بجونكر و فيتا حسان . وكان الأول قد فشل في مأموريته وهى فتح باب المفاوضات مع زنبار عن طريق أونيوورو و أوغندة ثم علم في ١١ ديسمبر بوصولهم الى فاجانجـو Fagango الواقعة على شاطئ بحيرة البرت نيازا فأقلم في الحال على ظهر الباخرة « الخديو » للاتيان بهم ورجع هو وهم الى وادلاى .

وفي ١٥ ديسمبر قدمت الباخرة « نيازا » الى وادلاى آتية من دوفيليه ومن اخبارها ان جنود الرجاف قاموا بغارة كللت بالنجاح وغنموا فيها من الباريين كثيرا من الانعام .

وفي ٢٣ منه قدم الى وادلاى جماعة كباريجا الذين كان أنيط بهم

مرافقة الطبيب جونكر الى أونيسورو . وكانوا يحملون خطابا من ملكهم الى أمين بك يقول فيه ان سبب تأخير أولئك الجماعة هو عدم وجود سلع لدى العرب على ان أمين بك علم انه لم يرخص لتجار زنبار بالذهاب الى وادلاى .

وقرر جونكر السفر فى الحال الى أونيسورو وان يحاول الذهاب منها الى أوغندة ومنها الى زنبار . وعين أمين بك فيتا حسان وكيلا للحكومة لدى كباريجا وأصدر له أمرا بالسفر مع جونكر .

وكان جونكر محتاجا الى شىء من النقود ليدفع أجر خادمة حبشية وهى أرملة ضابط خطرى . وكانت هذه الخادمة فى بادىء الأمر فى خدمة ماركو بولو . هذا عدا احتياجه الى شراء ما قد يطرأ عليه من اللوازم خلال السفر . ولما فاتح فيتا حسان بما هو فيه من الحيرة أشار عليه بأن يخاطب فى ذلك حواش افندى لأنه سخى وكريم فلا يبخل بشىء ثم انه الوحيد فى المديرية الذى يملك نصابا كبيرا من النقود .

وكان حواش افندى يملك عددا كبيرا من الرقيق يستخدمه فى كل أنواع الاعمال مثل زراعة البصل والقطن وصناعة الدامور والاحذية وكانت قطعانه العديدة تستطيع ان تفى بالشطر الأكبر من حاجات المديرية بل تأتى له بقدر طائل من الايرادات .

وكان حواش افندى من جهة اخرى ليس بالرجل الشحيح ولا من أولئك الذين تأبى نفوسهم اسداء المعروف ولا يمكنه أن يرفض شيئا يطلبه صديق له لاسيما إذا كانت المسألة مسألة دراهم والطالب

جونكر الذى تربطه وإياه رابطة صداقة متينة وله فى نفسه منزلة سامية .
فوضع حواش افندى بسرور مبلغ سبعمائة ريال تحت أمر الطيب جونكر وتعهد
هذا ان يدفعه لاسرته عندما يصل الى القاهرة .

واتفق جونكر و فيتا حسان على ان يقيما وليمة وداع لأمين بك و كازاتى
ولكبار الضباط والموظفين فى وادلاى . فأكلوا هنيئا فرحين إذ كان يخامرهم
الأمل بأن يفتحوا طريق الاتصال بالعالم المتمدين .

١ — ملحق سنة ١٨٨٥ م

رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء (١)

القسم السابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

تموين محطة بور وإرسال حملة لانقاذها

قرر أمين بك في مستهل هذا العام إرسال حبوب الى بور لتموينها واستدعى على افندى سيد احمد من الرجاف سريعا ليختار الضباط والعساكر اللازم اشتراكهم في الحملة التي عزم على إرسالها الى بور لانقاذ من بقى بها على قيد الحياة فشحن بمركبين ٤٠ اردبا من الحبوب وأنزل بهما ٤٠ جنديا بقيادة ضابط معه عثمان افندى لطيف مأمور المديرية . وتقضى الأوامر الصادرة اليهما انه اذا رؤى ان حامية هذه المحطة في غير استطاعتها أن تثبت زيادة عما مضى يجب عليها عندئذ اخلاؤها والرجوع الى غندوكورو برا . أما الامتعة والمرضى فينقلون بالمركبين . وبعد أن تزودت الحملة بهذه التعليمات اتخذت طريقها في اليم .

وكانت الأخبار قد انقطعت عن أمادي مدة . وكانت حاميتها في ذلك

(١) — راجع الجزء الثالث من كتاب « رحلات في افريقية » للطبيب جونكر .

الوقت مؤلفة من ٥٠٠ جندي مسلحين ببنادق رمنجتون . أما قوة العدو فكانت غير معلومة إلا أنه يؤخذ من الاشاعات الذائعة أنها مؤلفة من رجال عبد الله و على كركوتلى ويمدهم العرب الذين فى الناحية وهذا كل ما لديهم .

إنذار عثمان أرباب أمينا بك بأخذ أمادى

وبعد الانتظار وصلت مكاتبات من أمادى فى أوائل شهر يناير . ووردت أيضا خطابات من عثمان أرباب بمسكر الشوار يقول فيها انه عاد من بحر الغزال ومعه ٤٠٠ مقاتل ويصرح فى عبارات سداها ولحمتها التعصب بأنه صار من كبار انصار المهدي ويهدى دهشته من انه حين رجوعه وجد اخوانا يقتلون ويصرح فيما يتعلق بشخصه بأن مقاصده سليمة وينذر أمينا بك بعد ذلك بأنه اذا لم يأت اليه فى ظرف عشرة أيام لوضع حد لسفك الدماء فانه يستولى على أمادى برجاله .

ومما قاله انه ما كان ينتظر ان يلاقى الحرب ولذلك لم يحضر إلا ٤٠٠ رجل غير انه عند الحاجة يرسل بلا توان ٢٠٠٠ مقاتل من جور غطاس .

وورد كذلك عدة رسائل من الثائرين لموظفى المديرية يحرضونهم فيها على الانضمام الى المهدي ورسالة من الأمير كرم الله يقول فيها ان المهدي نازل امام الخرطوم .

رد أمين بك على عثمان أرباب

وعلى أثر ورود هذه الأخبار بعث أمين بك برسل ليستدعوا على افندى السيد احمد من الرجاف و احمد افندى محمود من مكركا .

وهذه اجابة أمين بك لعثمان أرباب :-

« ان الذين أضرموا نيران العداوة هم العرب أنفسهم وان الموقف تغير تغيرا كبيرا بهرب ابراهيم افندى جورجورو وفرار العرب . وانه هو - أى أمين بك - لا يمكنه أن يبارح المديرية وانه ينذر عثمان أرباب بصفته مرءوسا له بأن يحضر للمثول بين يديه فى لادو » .

موقف المديرية واستعدادها للطوارئ

أما الموقف فى المديرية فى ذلك الوقت فكان كالآتى :

أخلى قسم كبير من المديرية وحشدت الحاميات التى كانت مرابطة به فى المحطات المهمة لأن هذه الحاميات لم يكن فى استطاعتها وهى على ما كانت عليه من التشتت أن تثبت فى أماكنها فى الظروف الحاضرة . وريحان افندى الذى كان يرتقب يوميا مجيئه من ممبتو ليذهب ويتولى القيادة فى مكركا كما لم يحضر بعد . أما المائة الجندى النظامى الذين سيحضرهم معه فسيرسلون الى أمادى . واذا رأى انه فى غير حيز الاستطاعة ابقاء قاعة المديرية فى لادو عندئذ يكون من الأفضل اخلاء هذه المحطة فى أقرب وقت ممكن من المالكين ، وان لا يترك فيها إلا حامية عسكرية كما تراهى ذلك فى العام الماضى .

والظاهر ان هذا الرأي الأخير أقرب الى الصواب لأنه لو حصل انسحاب من أمادى يعقبه فى الحال قحط فى الجبوب فى لادو . وهذه المادة نقص الوارد منها الى لادو نقصانا بينا منذ ظهر العدو أمام محطة أمادى . أما عن مقدار الجبوب الذى يمكن استيراده من مكراكا فهذا لا ينبغى التمويل عليه لو سقطت أمادى . وكان من الضرورى التراجع الى المحطات الجنوبية لأنه لم يكن فى حيز الامكان اخلاء محطات دوفيليه و وادلاي و فاتيكو لوجودها فى قلب بلد غنى بمحاصلاته من الجبوب لاسيا المحطة الأولى إذ أن بها الترسانة النيلية والباخرتين « الخديو » و « نيازرا » اللتين هما روح المديرية ولا يمكن ان يحدث مثل هذا الاخلاء إلا عند الضرورة القصوى . أما لو حدث شيء كهذا من باب الاتفاق عندئذ يجب الرجوع الى احتلال محطات الجنوب التى تركت ونقل قاعدة المديرية الى ماجونجو (١) حتى يكون فى الاستطاعة الاتيان إليها بالباخرتين المذكورتين . وهذا وان كان يستلزم كثيرا من المشاق فى نقل الأهالى من مدينين وعسكريين لكثرة عددهم لكن فيه من جهة اخرى امتياز وجودهم فى بلد مضاف للحكومة لأن أنفينا طلب من أمين بك احتلال بلده وكرر هذا الطلب . وعدا ذلك فإنه من المحتمل بل فوق المحتمل ان المهديين لا يتبعونهم لغاية هذه النواحي . القصية . تلك هى آراء أمين بك يشاركه فيها أيضا جونكر مشاركة تامة .

ونقل رسل انفينا الذين كانوا قد قدموا للمرة الثانية ان الخطابات التى سلمت اليهم ما أمكن ارسالها الى متيسا و المبشرين المقيمين عنده وذلك

(١) — عند مصب النيل فى بحيرة البرت نيازرا .

بسبب عدوان كاميزوا Kamiswa وان هذه الخطابات ما زالت عند رئيسهم انقينا .

وقدوم رسل انقينا هذا بعث في نفس جونكر فكرة سفره صوب الجنوب هذه الفكرة التي كانت خامرته قبلا ولذا استبقى هؤلاء الرسل في لادو بغية السفر معهم .

وشرع أمين بك في تنفيذ مشروعه فأرسل الى لابوريه و دوفيليه عدة شحنات من الأمتعة . وبعد بضعة أيام جاء على افندى سيد احمد الى لادو وأتى توا على اثره فيتا حسان من أمادى . ولم يأت هذا الأخير بأخبار كثيرة لم تكن معلومة من قبل . وأبلغ عن كثير من الخرق في الأعمال وسوء التصرف الذى شاهده وكان هذا سببا في ارسال خطاب تعنيف الى مرجان افندى وتغيير مكتبته .

وروى فيتا حسان انه وان كانت حامية أمادى مؤلفة من ٥٠٠ جندى فلم يكن أمامها سوى ٣٠٠ من الثوار وان جميع التقارير التي أرسلت قد بالغ فيها عمدا الكاتب عثمان افندى .

وجمع أمين بك كبار الموظفين وأحاطهم بخطته وترك لهم الخيار في ارسال أمتعتهم في الحال أو تأجيل ذلك إلا انه صرح لهم بأنه قد يحتمل ان يتمكن فيما بعد ان يجد لهم حمالين . أما جونكر فحزم متاعه وأرسل بعضه وانتظر مجيء كازاتى و احمد افندى محمود من مكراكا المرتقب وصولهما يوما بعد يوم لكي يستقى منهما الأخبار .

وفي ٢٠ يناير وصل كلاهما ومعه توابع كثير عديدهم . وأيد احمد افندى محمود أقوال كازاتى بأن الحالة فى مكراكا ليست مرضية إلا قليلا وأنه لغاية سفر جونكر لم يكن ريجان افندى قد بارح ممبتو ولم يكن قد جمع السلاح من العرب النازلين فى المحطات النائية ، وان هؤلاء لا ينوون تسليمها لأنهم ينجحون للثورة وانه من المحتمل ان يغيروا على المحطة قريباً .

أما فيما يتعلق بأمدى فان مرجان افندى لا ينفك يطلب لها ذخيرة على انه يوجد فى المستودعات حسبا هو مسطور فى الدفاتر ١٠٠.٠٠٠ مظروف وانه لم يقع حول المحطة وقائع هامة . والظاهر ان مرجان افندى لم يكن أهلاً للمهمة التى أُلقيت على عاتقه رغمًا عن كونه اشترك فى حرب المكسيك . وفوق ذلك فانه يصرف همه فى تعاطى المسكرات ولـكـونه أمياً يجهل القراءة والكتابة كان الكتبة لا ينفكون عن أن يلعبوا به . ونظرا لهذه الحالة قدم احمد افندى محمود نفسه للذهاب الى أمدى مع انه لم يسترح من وعشاء السفر فى مكراكا لكي يأتى بمعلومات صحيحة لأمين بك عن الحالة السائدة فى تلك المحطة ، وسافر فعلاً .

سفر جونكر الى لا بوريه

ظل جونكر بعد ذلك عدة أيام مع كازاتى ثم سافر من لادو فى ٢٦ يناير . وكل من كان عليه أن يبقى بها سار معه الى ما بعد الباب الكبير . وبعد ان صافح الجميع - وقد صافح أغلبهم مصافحة الوداع الأخير - امتطى حماره ولحق بحماله .

وتسلم جونكر اشياء كثيرة منها ١٥ حملا من امين بك و ١٠ من على افندى سيد احمد ، وهذه الأشياء يجب توصيلها الى لابوريه . وتسلم كذلك كمية من الرسائل برسم تصديرها ان امكن الى زنبار ومنها الى القاهرة . وسلمه امين بك ايضا تقاريره لترسل الى الوزارة في القاهرة وخطابات برسم المبشرين في أوغندة وبرسم شوينفورث Schweinfurth في ديار مصر .

وأخذ جونكر من الرجاف حملين من الملح لأن هذه المادة مطلوبة كثيرا في البلاد الجنوبية . وفي هذه المرة قطع المسافة بين بيدن و كرى برا لأن السفينة التى سافر عليها فى المرة الأخيرة قد غرقت ومع انها انتشلت كان لا يرجى منها نفع فى ذلك الوقت .

وكان جونكر قد عقد النية على أن يقيم يوما فى كرى عند احمد افندى الاسيوطى الذى أكرم مشواه عند زيارته له فى رحلته الأخيرة . وبما ان احمد افندى المذكور كان قد انتقل الى محطة موجى فقد استمر جونكر آخذا فى السير وعندما وصل الى هذه المحطة علم ان ابراهيم افندى حليم قد استدعاه فى لابوريه لأن هذا كان قد صحت عزيمته على القيام بغارة . وبعد أن قضى فى هذه المحطة الليل انطلق فى سبيله وعندما بلغ لابوريه استقبله هذا الضابط وأزله فى ديوانه .

سفر جونكر الى دوفيليه

أقام جونكر فى لابوريه يوما وأحاط الضابطان بما حدث فى لادو كما أبلغهم الأخبار التى جاءت اليهما . وتسلم ابراهيم افندى حليم الاحمال

التي أرسلها أمين بك و على افندى سيد احمد الى جونكر . وبما ان حواش افندى كان قد اصدر الى ابراهيم افندى حلیم أمرا بأن يحضر مع جونكر الى دوفيليه فقد سافرا معا ووصلا أولا الى خور ايو وقضيا فيها الليل في ضيافة قائد المحطة مصطفى افندى .

وفي ٣ فبراير سافرا من خور ايو وبلغا دوفيليه . وكان حواش افندى وقتئذ غائبا في وادلاى ولعدم وجود باخرة اضطر جونكر أن يقيم فيها ليلية ٩ فبراير .

وكرثت عليه خلال اقامته طلبات الموظفين الذين يريدون مرافقته بصفة كتبة لأن أمينا بك كان قد سمح له بقصد تسهيل مأموريته أنه يأخذ معه الموظف الذى يريده . وكان فيتا حسان مستعدا لمرافقته ثم قدم عبد الوهاب افندى لهذه الخدمة وفي نهاية الأمر استقر رأى على انه اذا جرت الأمور في مجرى غير حسن يسافر معه حواش افندى الى زربار وبعدها الى القاهرة .

وطلب أيضا احمد افندى رائف استخدام بصفة مندوب فوق العادة لأنه كان يخشى كثيرا أن يقع في مخالفات الثائرين ولكن جونكر رفض طلبه لشدة خوفه وجزعه . وتظلم الكاتبان القبطيان باسيلي افندى و توما افندى له من سوء معاملة حواش افندى لهما وطلبا السفر معه مصحوبين بزوجتيهما القبطيتين فقبل جونكر ذلك في بادىء الأمر ولكنه عدل واستقر به رأى أخيرا على ان لا يأخذ معه احدا .

ووصلت في نهاية الأمر الباخرة « نيازرا » من وادلاى بدون أن

يكون فيها حواش أفندى وعلى ذلك رجع إبراهيم أفندى حليم الى لا بوريه وأراد جونكر أن يجعل بالسفر ولكنه استحصال عليه أن يسافر قبل ٩ فبراير . وكانت الباخرة مقلة عددا كبيرا من الركاب وليس بها غرف للمسافرين إلا أنه عندما وضع قدمه على ظهرها تخيل له انه وضعها في أرض المدينة . وتسلم من دوفيليه كثيرا من الخطابات برسم القاهرة والخرطوم وهذا ما زاد في حجم طرد البريد الموكول اليه توصيله زيادة كبرى .

سفر جونكر الى وادلاى

استمر السفر فى أول يوم الى ساعة متأخرة لأن قاع النهر كان مأمونا ومعلوما تماما . ووقفت بهم الباخرة جملة مرار لأخذ الوقود الذى أحضره الأهالى الخاضعون للحكومة . وكانت محطة أبى نخرة القائمة على الضفة الغربية فى نصف الطريق بين دوفيليه و وادلاى والى بنيت فى العام الماضى قد أخليت وتركت .

وفى اليوم الثانى وصلت الباخرة الى وادلاى بعد الزوال . وكان حواش أفندى هناك وكان قد أرسل ١٧٥ جنديا ليقوموا بغارة فى أرض الماديين ابتغاء الحصول على مغنم من الأنعام . وهذا الممدد يؤلف أكبر قسم من الحامية .

وكانت وادلاى قائمة على هضبة فى الضفة الغربية مشرفة على بلد اللور الواقع فى الجنوب على امتداد النهر .

وكانت المحطة مكثفة بالتاريس وقلاع من الاتربة مثل دوفيليه .

وتمت هذه الأعمال في الشهر الأخير . وكان الزنوج في النواحي المجاورة يعرفون حق المعرفة انه من سنين مضت لم ترد أية باخرة من الخرطوم وكانوا يشاهدون المحطات تترك الواحدة تلو الاخرى ولا يخلو الأمر من ان هذا يدع أثرا سيئا في نفس الأهالى من جهة الحكومة أو يستتجون منه ان يومها مالت شمسها الى المغيب وعلى ذلك يرفضون الدخول في خدمتها بل يشورون في بعض الأحوال .

سفر جونكر الى كاميزوا لتسهيل طرق المواصلات مع أوغندا

وكان من الواجب على جونكر أن ينتظر الى حين رجوع الجنود الذين كانوا قد ذهبوا لشن الغارة إلا أنه مرت الأيام تترى ولم يحضروا بل أذيع انهم ذهبوا بعيدا عما كان مقررا في الخطة التي رسموها أولا . وعلى ذلك أدرك حواش افندى ان جونكر لا يستطيع الانتظار أكثر مما مضى وقرر تسفيره بالباخرة « الخديو » الى نقطة يقال لها « خط الطور » ومنها يسلك برا الى أن يصل الى محل اقامة أنفينا وان يؤلف حرسه من بضعة جنود وتراجة ويأخذ معه حمالين من « اللوريين » . وركب قسم من أعضاء هذه الحملة في الباخرة والقسم الآخر في مركب حديدى قطرته الباخرة . وكان لهذا المركب أهمية خاصة لأنه احد المركبين اللذين طاف عليهما جيسى حول شواطىء بحيرة البرت نيانزا لأول مرة .

ورفعت الباخرة « الخديو » مراسيها في ٢١ فبراير وكانت أكبر من الباخرة « نيانزا » وبها معدات للراحة أكثر منها أيضا وكان بها غرفة صغيرة أقام بها جونكر . وكان منسوب ماء النهر قد هبط هبوطا

كبيراً وبعد أن سارت الباخرة زمناً أمسى غور الماء قريباً جداً وتعذر متابعة السير وعلى ذلك قرر الربان الرجوع الى وادلاى ولكن جونكر أمر بوقفها على مسافة بضع ساعات من المحطة ونزل الى البر بقصد متابعة السفر .

وفي ٢٢ فبراير انطلق في السير مخترقاً أرض الشولى ووصل في ٢٧ منه الى النيل قرب محطة فودا التي كانت قد أخلت . وكان أنفينا ينتظره فيها هو وعدد من الرؤساء . وكانت سلطة أنفينا قد تضاءلت وضعفت ضعفاً يئسنا بعد سفر العساكر لأن هؤلاء كانوا يحمونه من عت كباريجا و كاميزوا واستبدادهما .

ودعاه خوفه من بطش هذين الجارين الى أن يرحل ويقيم في جزيرة صخرية في وسط النهر وابتعد عنه كثير من رعاياه وتركوه والباقي نرح الى الجزيرة وأقام معه فيها .

وفي ٢٧ فبراير عبر جونكر النيل ونزل في محطة الحكومة القديمة وكانت الأكواخ قد احترقت إلا أن اثنين منها بقيا في حالة حسنة فأتخذهما سكناً له .

وكانت مهمة جونكر الرئيسية تنحصر في أن يعمل على مرور المراسلات التي معه الى أوغندة وتسهيل المواصلات معها وأن يتصل بكاميزوا بن ريونجا من أجل هذه الغاية . وكانت الخطابات التي أرسلت من لادو قبل ذلك بزمن ما زالت عند أنفينا ولم يقبل أحد أن يتكفل بنجاز هذه المهمة . وعلى هذا كتب جونكر الى كاميزوا خطابات يقول له فيها انه يريد الحضور عنده لزيارته ويطلب منه

المعونة لتسهيل سفره .

وفي ١٢ مارس أرجع جونكر الجنود الذين رافقوه في رحلته من وادلاى وحملهم رسائل برسم أمين بك ولم يحجز إلا ترجمانين و ضابط صف يقال له عبد الرجال وقد عزم على ارجاعهم فيما بعد .

وفي ١٥ منه ورد رد كاميزوا بالسماح لجونكر بالحضور عنده إلا أنه يحظر على أتباعه أن يدخلوا أرض أنقينا . وعلى هذا قرر الانطلاق اليه وان كان لم يرتح لهذه الاجابة إلا قليلا .

وفي ٢٥ منه أرجع جونكر الترجمانين الباقيين عنده الى وادلاى واحتفظ بضابط الصف الذى كان قد اعتزم على ان يدعه فى المحطة مع متاعه عندما يسافر لزيارة كاميزوا وأرسل مع هذين الترجمانين خطابات لأمين بك وتبغا لفيثا حسان .

وفي ٢٧ مارس سافر ووصل الى حيث يقيم كاميزوا ولم يعترضه شئ فى طريقه ونزل فى كوخ كان قد أعد له . وقابل جونكر كاميزوا مرارا وعلم منه ان متيسا ملك أوغندة قد قضى نحبه وخلفه على العرش ولده . « موانجا » وانه يوجد لدى هذا ثلاثة من البيض .

وحصل جونكر على وعد من كاميزوا بأن يتكفل بتوصيل المراسلات الى هؤلاء البيض وأن يرسل إليه الرد الذى يأتيه منهم عند وروده فى الحال .

وفي ٢ أبريل استأذن جونكر من كاميزوا وبلغ المحطة فى اليوم التالى وبادر

لدى وصوله بإحاطة أمين بك علما بما عمله .

وقبيل منتصف شهر أبريل ورد إليه خطاب من وادلاى وطرد به ليمون إلا أنه لم يصل إليه شيء من أمين بك . ومما جاء في هذا الخطاب أنه ورد لحواش أفندى وهو في لابوريه أمر بأن يرجع الى دوفيليه ويؤلف بها على قدم الاستعداد نجدة من ٢٥٠ جنديا ويسافر معها الى أمادى .

سقوط أمادى وما جرى من الحوادث أثناء سفر جونكر

وفي ١٩ منه وردت من أمين بك أخبار طويلة ومزعجة ذلك ان ما كان يخشاه الناس طرا قد وقع فعلا فأمادى سقطت وأمست في قبضة الثائرين وان بعضا من الجنود شق له طريقا بين صفوف الأعداء وهو يقاتل وتعلق بأذيال الفرار . وهالك ما حدث منذ أن سافر جونكر من لادو في شهر يناير من هذا العام (١٨٨٥ م) :

بعد أن عاد عبد الوهاب أفندى من بور يحمل أخبار الخسائر التى لحقت هذه المحطة أرسل عثمان أفندى لطيف ومعه مركبان مشحونان بالحبوب وبعض الجنود لنجدها . ورجع هؤلاء في آخر يناير وقالوا ان الحامية استقر رأيها على أن تقاوم الى أن تأتيا امداد لترجعها الى غندوكورو وعلى ذلك اجتمع سائر العساكر غير النظاميين الذين في المديرية تحت اشراف واد الملك الذى ذاع صيته من عهد سير صمويل بيكر وسافروا لاسترجاعها .

أما الأخبار الاخرى فكانت مسطورة في عدة مكاتيب نذكر كل واحد

منها بتاريخه وما حواه من الأنباء فيما يأتي :

في ٢ فبراير كتب أمين بك ان سليمان افندى قام بغارة مع قسم من الحامية على زريبة الثائرين أمام أمادى ولدى اشتداد وطيس القتال سقطت قنبلة في زريبة المدو فأحدثت بها حريقا وانفجر ما فيها من الذخائر فقتل عدد كبير من الأعداء وجرح عبد الله ومات بعد ذلك متأثرا بجراحه .

وفي ٢١ منه كتب أمين بك انه ورد له خطابات من مرجان افندى وضمها نداء من المهدي كالنداء السابق ونداء آخر منه له يدعو فيه الى الانضمام الى الأمير كرم الله . ورسالة من هذا الأخير يقول فيها لمرجان افندى انه قادم بنفسه الى أمادى ويطلب منه أن يسلم عاجلا . ويقول علاوة على ما ذكر انه استحضر معه ٢٠٠٠ مقاتل وانه من الواجب على مرجان افندى أن يخضع في الحال بدون مخافة أمين بك في هذا الشأن .

وكتب عثمان ارباب الذي كان بصحبة الأمير كرم الله رسالة الى مرجان افندى أيضا بمبنى ومغزى الرسالة السابقة وجاءته رسالة اخرى من عثمان بدوى الذي كان سكرتير لبتون بك . وطلب مرجان افندى قبل كل شيء حبسها و ١٠٠ جندي ليستطيع الانسحاب الى لادو .

وقال أمين بك انه أرسل عبد الوهاب افندى الى مكراكا ليرسل الحبوب وعين فرج افندى لمرافقة الجنود الى أمادى وان جميع الضباط الذين

في هذه المحطة مؤيدون لخطّة الانسحاب في اتجاه الجنوب .

وفي ٢٧ فبراير كتب أمين بك ان الأمير كرم الله حاصر محطة أمادي من جهاتها الأربع وقطع عنها الماء وان الجنود حفروا بئرا في داخل المحطة . وفي خلال ذلك كان فرج افندي قد سافر من مكراكا ومعه ٧٠ جنديا و ٥٠ قبلة و ٥٥٠ حملا من الحبوب وبلغ الى مسافة ١٠ ساعات من أمادي من جهة لادو غير انه لم يتمكن من الانضمام الى مرجان افندي . وأرسلت في الحال من لادو قوة مشكلة من ١٢٠ جنديا و الف حزمة مطاريق رمنجتون وقنبيلات وعدد من قاذفات الاله لانجناد فرقة فرج افندي لأن الموقف في أمادي أمسى ميئوسا منه واضطرت الحامية الى أكل جلود الأبقار ليظفئوا حرارة الجوع . وكان ريحان افندي قد وصل الى مكراكا قادما من ممبتو ومعه جنوده . وسافر أيضا من دوفيليه ضابط ومعه ٥٠ جنديا و ٥٠ بقرة لامداد فرج افندي . وكان حواش افندي قد وصل الى لادو قادما من دوفيليه ليلحق بالجيوش التي سافرت لأمداد أمادي ولكنه رجع الى دوفيليه على أثر الاضطرابات التي أذيع انها حدثت في هذه المحطة الأخيرة .

وفي ١٩ مارس كتب أمين بك ان فرج افندي أخبره ان سائر الفرق انضمت الى بعضها وانه هو على وشك السير على رأس ٢١٠ من الجنود لمعاونة أمادي .

وفي ٢٣ منه ورد الى أمين بك خطاب من فرج افندي انه سار نحو أمادي وهاجم متاريس الشائرين ولكنه لم يستطع أن يتخطاها رغما عن استيلائه على ثلاث زرائب وانه اضطر أن يقتاتل منسجبا وانه خسر

١١ قتيلا من بينهم ضابط من لادو يقال له ضياء افندى و ١٦ جريحا من بينهم فرج افندى إذ أصيب في فخذه . وقال الرجل الذى أتى بهذا الخطاب علاوة على ما ذكر ان حامية أمادى خرجت لتنضم الى الفرقة المساعدة فلم تتمكن بسبب انسحاب فرج افندى بسرعة .

وفي ٢٧ مارس ورد خطاب من عبد الله افندى فحواه انه بذل مجهودا آخر بقصد نجدة أمادى وان هذه المحاولة فشلت كالمحاولة الأولى وان فرج افندى رجع الى مكراكا وان عبد الله افندى شرع بمعاونة ضابطين آخرين في جمع العساكر والرجوع الى مكراكا .

وفي ٢٩ منه وصل الى لادو ثلاثة جنود من أمادى وقالوا ان العساكر الذين كانوا يموتون جوعا طلبوا بلجاجة مرارا من رؤسائهم لاسيا من مرجان افندى القيام بخروج فلم يلب أحد لهم طلبا وانهم في نهاية الامر تركوا المحطة بقيادة ضابط وشقوا لهم طريقا في صفوف الأعداء ثم ولوا وجوههم شطر مكراكا . وانهم تركوا وراءهم في أمادى ضابطين سودانيين و ١٥ جنديا جميعهم مرضى وانهم أخذوا معهم أسلحتهم وذخيرتهم وتركوا المدافع بقنابلها .

وفي ٣١ مارس ورد بريد الى لادو من مكراكا جاء فيه ان فرج افندى وجنوده قد وصلوا وكذلك عبد الله افندى والضابطان اللذان كانا معه وهما مرجان افندى و على افندى ومعهم ٢١٣ جنديا وذخيرتهم . وقدم أيضا من أمادى سليمان افندى و ٢٣ جنديا . أما مرجان افندى الدناصورى فقتل وقت الخروج وفصل رأسه وأرسل الى معسكر الثائرين ووصل ريحان افندى الى كابايندى وعينه أمين بك

قائدا لمكراكا .

وفي أول أبريل كتب أمين بك انه صرف النظر عن الانسحاب صوب الجنوب إذ أنه أذيع في لادو ان النية عقدت على اقتياد الجنود في ذلك الاتجاه وبيعها لمملوك الزوج هناك والتعلق بأذيال الفرار فيما بعد . ويعزرون هذه النية الى أمين بك و جونكر و فيتا حسان . وان أمينا بك عقد اجتماعا تقرر فيه استدعاء جونكر وأخذ رأيه . وتقرر كذلك اخلاء فاتيكو ، و وادلای ، و لابوريه ، و موجي والاحتشاد في لادو ، و بور ، و مكراكا ، و غندوكورو ، و الرجاف ، و بيدن ، و كري ونبذت ظهريا مسألة طريق الجنوب مع انها كانت قد نالت الاستحسان في بادئ الأمر .

وفي ١١ منه كتب أمين بك انه تلقى رسائل من الأمير كرم الله و عثمان أرباب من أمادي فذكر الأول ما وقع في هذه المحطة وان مرجان افندي أبي أن يسلمها مع انه انذر خمس مرات ، ويستحث أمينا بك على الاتيان عنده هو و فيتا حسان و احمد افندي محمود والضباط مؤكدا له بأنه لا يمسه أدنى أذى أما إذا أبي فانه يأتي الى لادو في عشرة أيام والمسئولية تقع على رأسه . وخطاب عثمان أرباب في مبنى ومغزى الخطاب السابق .

والخطاب الثالث مرسل من العساكر الذين أخذوا أسارى من أمادي وهؤلاء يلقون كل خطأ على عاتق الضباط ويقولون انهم اضطروا الى أكل أحذيتهم ويستعجلون أمينا بك في التسليم . ويقول أمين بك ان سليمان افندي وهو من الضباط الذين نجوا من أمادي يوجه كل

الـوم فى سقوط المحطة الى الضباط الشبان الذين حرضوا العساكر على العصيان وانه هو نفسه كان آخر من هاجم من المحطة . وقال أمين بك علاوة على ذلك ان حواش افندى لم يقبل أن يترك فاتيـكو ولا أن ينضم اليهم ويستعجله بالانتقال الى الجنوب . ويقول أمين بك ان تلبية طلبه أمر مستحيل نظرا لمسلك جنوده ولأن الضباط قدموا له التماسا يعربون فيه عن رغبتهم جميعا فى ابقاء لادو وانهم يأخذون على عاتقهم أمر تحصينها الى أن يصير فى حيز الامكان ايجاد طريق .

وفى ٢٥ أبريل كتب أمين بك يقول انه بعد أن زالت الجنود أمادى احتشدت فى واندى وتتبعها المهديون وأرسلوا اليها انذارا يدعونها فيه الى التسليم فلم تعبأ بانذارهم واستمرت فى الانسحاب فوصلت المقدمة بقيادة عبد الوهاب افندى الى ريمو فى جنوب واندى فى ٦ أبريل ومعها الجرحى والمرضى وانضمت اليها المؤخرة بقيادة ريجان افندى فى اليوم التالى . ووجدت الجنود فى ريمو الذخيرة والنقود التى كان يلزم ارجاعها الى لادو وتوقف رجوعها لعدم وجود حاملين . وكان بهذه المحطة بلال افندى من كابايندى و فرج افندى الجوك من مبيتو .

وهاجم المهديون الذين كانوا يقتفون أثر الجنود المذكورة محطة ريمو فصدهم هذه بقيادة ريجان افندى وحملتهم خسائر فادحة وقتلت منهم خلقا كثيرا واستولت على عدد كبير من الأسلحة وكمية جسيمة من الذخائر وعلى علم واحد . وقد تعلق المهديون بأذيال الفرار وتتبعهم الجنود مسافة عدة ساعات وقد أصيب فرج افندى يوسف بجروح بليغة ومات بعد أيام

متأثراً بها . وانسحبت الجنود عقب هذا النصر الى محطة بيدن الواقعة على النيل منقسمة الى جملة فرق . وبلغ عدد الجنود الذين وصلوا الى هذه المحطة ٥٥٤ جندياً بما في ذلك الجرحى .

وفي ٢٣ أبريل وصل الى لادو الجنود الذين كانوا قد أعدوا لتقوية حامية هذه المحطة وعددهم ١٢٣ جندياً ومعهم ريحان افندى وسليمان افندى وضباط آخرون كان قد استدعاهم امين بك ابتغاء لخص الموقف ووضع قرار بالخطة الواجب اتباعها .

وتلقى امين بك كذلك من الأمير كرم الله خطاباً يخبره فيه بسقوط الخرطوم . ووردت اخبار سارة من بور ذلك ان المركب التي كانت قد أرسلت اليها في ١٥ مارس عادت تحمل خبراً مؤداه ان الزنوج هاجموا المحطة فصدمتهم الحامية وحملتهم خسائر فادحة .

وفي اليوم التالي لوصول ريحان افندى أى يوم ٢٤ أبريل انعقد مجلس برئاسة هذا الضابط مؤلف من كازاتى و احمد افندى محمود و عوض افندى ومن ٦ من الضباط المصريين و ٦ من السودانيين . اما امين بك فامتنع عن الحضور . وقد وافق الجميع ما عدا الثلاثة الأولين على الانسحاب فى اتجاه الجنوب والاحتشاد فى دوفيليه ، و وادلاى ، الخ . . . وقال امين بك علاوة على ما ذكر انه على وشك الشخوص الى غندوكورو ليعمد المعدات اللازمة للانسحاب .

ولم ينفذ مع ذلك هذا القرار ولم تنسحب الجنود من لادو لأن المهديين الذين كان يظن انهم سيتابعون التقدم بعد انتصارهم ويغيرون

على هذه المحطة انسحبوا بغتة لأسباب غير معلومة وارتدوا الى بحر الغزال .

وأحيط جونكر علما بالقرار الأول الخاص بالانسحاب نحو الجنوب وكتب له أمين بك انه أمر حشواش افندى أن يرسل له حرسا ليأتوا به ثانية . وبما أن ذلك كان مناقضا لرأى جونكر رد عليه هذا بأنه يرفض العودة ويطلب منه أن لا يشغل نفسه به لأنه يريد أن ينتظر الرد على الرسائل التي بعث بها الى أوغندة ولهذا فرح فرحا جزيلا عندما علم بتغيير هذا القرار .

وفي ٢٦ مايو كتب أمين بك من موجى انه بلغ هذه الناحية وهو آخذ في طريقه نحو محطات الجنوب وانه شرع ان يرسل اليه الكاتب سليمان افندى وبعض التراجمة ويرجوه الحضور لمقابلته عندما يصل الى وادلاى .

وبعد انسحاب المهديين عملت الترتيبات اللازمة وذلك بالكيفية الآتية :

أن يبقى ٣ بلوكات في لادو بقيادة ربحان افندى و بلوكان في بيدن و بلوك ونصف بلوك في كرى وبلوكان في لابوريه .

وكان على كركوتلى يتولى القيادة في أمادى وعندما وصلت اليه الأخبار بسقوط الخرطوم أمر باطلاق ٢٥ مدفعا .

وكان الأمير كرم الله قد أقام حاميات في جميع محطات مكراكا ثم رجع الى أمادى . وكان أكبر قسم من المهديين قد سافر الى بحر الغزال

والقسم الباقي يتأهب لاقتفاء أثره . وما كان يدري أحد الباعث لهذا الرحيل الذي أتى فجأة فأنتقد المديرية حقا من شر غاراتهم .

وفي ١٠ يونيه كتب أمين بك من خورايو انه هو وحواش افندى حشدا جميع قوات المديرية وألغا منها أورطتين في كل أورطة ٨ بلوكات وفي كل بلوك ١٠٣ من الضباط والجنود . وعين لقيادة الأورطة الأولى البكباشي ريجان افندى وصار توزيع قواتها بين المحطات من لادو الى كري بما فيها هذه المحطة الأخيرة . اما الأورطة الثانية فعين لها حواش افندى وشرعت تحتل سائر المحطات القائمة جنوب كري . وشرع في تصليح البنادق وباتمام ذلك يكون لدى الجنود ٢٥٠٠ بندقية صالحة للاستعمال .

وفي ١٠ يولييه وصل أمين بك إلى وادلای وأسس فيها قاعدة المديرية وكتب بذلك الى جونكر ولكن هذا كان قد دخل في مكاتبات مع كباريجا ويرغب ان يبقى بعد ذلك مدة يحاول فيها الحصول على ترخيص له بالمرور أو بمرور خطاباته التي يريد ارسالها الى المبشرين الذين كان قد سمع أنهم في أوغندة .

وفي ٢٥ يولييه كتب أمين بك من وادلای ان حامية بورأخت هذه المحطة ولدى انسحابها نحو غندوكورو أغار عليها الزنوج فلم ينج من جنودها البالغ عددهم ٥٤ جنديا إلا ١٣ جنديا لا غير . وان المسؤولية في هذه الكارثة تقع على ريجان افندى لاهماله ارسال فرقة في الوقت اللازم للملاقاة هؤلاء الزنوج رغما عن الأوامر المتكررة التي كانت صدرت له من أمين بك مع

أنه أرسل الآن ٢٠٠ جندي بقيادة فضل الله افندى .

وفي ١٦ أكتوبر كتب أمين بك من وادلاى ان الأهالى الباريين جميعهم شقوا عصا الطاعة وأضرموا نيران الثورة وانتفضوا على لادو خلال غيبة ريحان افندى فى غندوكورو فصب عليهم اليوزباشى محمود افندى العجيمى نيران المدافع واضطروهم الى الانسحاب ومع ذلك بقيت لادو محصورة ومنعزلة عن الرجاف إلا أنه يوجد فى مستودعاتها ١٥٠٠ اردب من الجيوب إذ أن الزنوج وردوا الجيوب قبلا ثم تمردوا . وان على افندى سيد احمد فى الرجاف يطلب ذخيرة و ١٠٠ جندي بصفة نجدة وان تراجمة هذه المحطة فروا جميعهم ومعهم أسلحتهم وانه لو أمست المقاومة فى لادو غير ممكنة عندئذ يصير إخلاؤها وحشد الجنود فى الرجاف .

وفي ٢١ نوفمبر كتب أمين بك من وادلاى ان الباريين بعد الغارة الأخيرة التى قاموا بها على لادو شنوا غارة أخرى على الرجاف وكان عدد المغيرين فى هذه المرة ٥٠٠٠ زنجى ولكنهم صدوا وبلغت خسارتهم ٣٠٠ من القتلى وكثير من الجرحى وأخذت أنفاس الثورة تماما وضربت على الباريين غرامة فادحة ووردوها .

وانتظر جونكر لغاية أكتوبر بلا جدوى وبدون ان يفوز بإشارة يستدل منها على امكان نياله مبتغاه وكان ينتظر كذلك بفارغ الصبر الرجال الذين كان امين بك قد وعده بارسالهم اليه . وبينما هو على هذه الحالة إذ أتاه خبر فى ١٧ أكتوبر ان فيتا حسان وصل الى ضفة النهر الأخرى فهرع جونكر لعبوره ورجع الى مسكنه بضيفه فرحا مسرورا برفيق متمدين يستطيع ان يطارحه اطايب الحديث .

وبعد ان أقاما معا لغاية آخر شهر نوفمبر وبعد ان يثسا من الحصول على افادة من كباريجما مع طول الانتظار استقر رأى جونكر على الرجوع الى وادلای وعلى هذا رحل هو و فيتا حسان فبلغا النهر في ٩ ديسمبر وأتى أمين بك على ظهر باخرة في ١١ منه لاستقبالهما وكانا قد أبلغاه خبر قدومهما ورجعوا مما الى وادلای وفيها وجدوا كازاتى .

وفي ١٣ ديسمبر أى بعد وصولهم بيومين الى وادلای جاء اليها حواش افندى من دوفيليه ليقابل امينا بك ورجع منها في ١٧ منه مع جونكر الذى اقترض منه مبلغ ٧٠٠ ريال لمصروفات سفره على شرط ان يدفعها لأسرة حواش افندى في مصر عند وصوله اليها . وبعد ان قبض هذه القيمة اشترى بعض المتاع وعاد الى وادلای في ٢١ منه فدخلها في اليوم التالى وفيها علم بوصول وفد من قبل كباريجما وبالقرار الذى أصدره أمين بك بأن يرسل معه فيتا حسان الذى سيكون بصفة وكيل رسمى للحكومة لدى هذا الملك .

عودة جونكر الى بلده

وانتهى جونكر من اعداد معمدات السفر وكانت آخر ليلة من عام ١٨٨٥ م هي ايضا آخر ليلة من ايام اقامته فى وادلای . وجمعت الكل فى تلك الليلة حفلة باهرة . وفى الغد بعد ان ودع الحاضرين الذين لن يراهم بعد أجل الوداع ركب هو و فيتا حسان متن الباخرة « الخديو » فأقلعت بهما وأخذت تشق عباب الماء ووجهتها بحيرة البرت نيازرا .

وفي ٤ يناير من عام ١٨٨٦ م بلغا كيبيرو القائمة على الضفة الشرقية للبحيرة

وهناك نزلا وقتلت الباخرة راجعة الى وادلاى . أما هما فاتخذا سبيلهما برا وسافرا معا إلى أونيوزو وبعد ان أقاما شهرا تقريبا فى هذا البلد افترقا من بعضهما فسافر جونكر الى أوغندة ورجع فيتا حسان الى كييرو .

وأقام جونكر مدة فى أوغندة وشخص منها الى زنبار فدخلها فى اول ديسمبر سنة ١٨٨٦ م وأقلم من هذه المدينة فى ٢١ منه ووصل الى عدن فى ٣ يناير سنة ١٨٨٧ م ووصل الى السويس فى ٩ منه ومن هذه انتقل الى القاهرة حيث أقام لغاية شهر مارس لى يقابل استانلى الذى سيتولى قيادة الحملة المزمع ارسالها على ما يقال لاغاثة امين بك مع أنها فى الحقيقة كانت مرسلة لاقتلاعه من مديريته واخفاء آخر أثر من آثار مصر الرسمية وذلك لفتح الطريق لغيرها ممن يرنون بعين الطمع الى تلك الاصقاع من زمن بعيد وهم أولئك الذين انتهزوا هذه الفرصة مسرورين كل السرور ليشبعوا بطونهم ويشفوا امراض مطامعهم بالحاق الضرر بمصر .

وبعد ذلك بارح جونكر بلاد مصر وولى وجهه شطر بلده بعد ان غاب عنه ثمان سنوات .

٢ — ملحق سنة ١٨٨٥ م

رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديريةية خط الاستواء

القسم السادس

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

استيلاء المهيدين على أمادى

لم يكن طالع عام ١٨٨٥ م أحسن حالا من العام الذى سبقه إذ كانت أخبار الخرطوم قد انقطعت ولم يعد بعد إلا قليل من الأمل فى الحصول على معونة .

والوفد الذى أرسل الى الأمير كرم الله انضم الى العدو . وكتب عثمان ارباب وهو من أعضاء الوفد فى ٦ يناير انه جاء أمام أمادى ومعه ٤٠٠ جنودى وانه فى انتظار ورود امداد وانه يقدم النصيح بالخضوع ويتكفل باقتياد الجنود والموظفين الى ديم سليمان لتقديمهم للأمير كرم الله . وحدثت ثلاث وقائع فى أمادى ولم يأت منها فائدة تذكر رغما عما تحمله الجنود من الخسائر . هذا عدا ان اختلاف الرؤساء وتمرد جنود الحامية جعل نجاح الهجومات التى تخرج وتقوم بها أمرا مشكوكا فيه وجنود ممبتو لم تمثل الى الآن للأمر وتراجع الى مكراكا .

وأذعن كازاتى أخيرا لرغبة أمين بك وجونكر وطلبتهما المتكررة وبارح واندى فى ٢٠ يناير ميمبا لادو فدخلها بعد رحلة خمسة ايام ولم ير أى تحسين فى الحالة وكانت ترسل امدادات الى امدادى .

وفى ٢٦ يناير سافر جونكر الى الجنوب ابتغاء الحصول على اخبار عن طريق أونيوورو و أوغندة .

وفى ٢٢ فبراير رجع رجل كان امين بك قد أرسله الى امدادى لاستكشاف الاحوال فيها . وقدم هذا تقريراً عباراته معقدة ومتضاربة . ومما جاء فيه ان الأمير كرم الله قدم الى ساحة الحرب على رأس عدد كبير من الدناقلة ورغمما عن جميع ذلك ختم تقريره بانه يرى ان المقاومة ممكنة . وبناء على ذلك أرسل أمين بك امدادات جديدة ومؤونة . ويعتبر كازاتى ان هذا التصرف ضرب من العمى يعجز العقل عن ادراك كنهه . ويقول انهم وان كانوا يمدون الحامية وينودونها بالمؤن إلا أن المحاصرين من جهة اخرى ما كانوا قاعدين مكتوفى الأيدى وعمما قليل تنقطع المواصلات مع الحصن . وبعد أن لبثت الأخبار مقطوعة مدة أتى فى ٢٩ مارس ثلاثة من جنود حامية امدادى يحملون خبرا مشئوما ألا وهو خبر اخلاء محطة امدادى . ذلك ان الجوع لما نهش احشاء الجنود خرجوا خروج اليأس ومعهم أسلحتهم وشقوا لهم طريقا بين صفوف المحاصرين فى اتجاه مبراكا وذلك رغم ممانعة ضباطهم وجروا معهم هؤلاء على غير ارادتهم وصير المهديون بطبيعة الحال هذا الخروج مجزرة يشيب لهولها الولدان واختلط فيها الحابل بالنابل والرجال بالنساء والاولاد . هكذا كانت آخرة امدادى وهكذا ضاع فيها عدد عظيم من قوات المديرية الحربية .

انذار الأمير كرم الله أمينا بك بالمسير الى لادو
وتقرير إخلائها والانسحاب الى الجنوب

وفي ٣ أبريل على اثر كارثة أمادى التى اعتبرها المهديون الحد الفاصل
والطور الأخير من أطوار هذه الحرب كتب الأمير كرم الله الى
أمين بك خطابا يخبره فيه بما ناله من الفوز وبوفاة القائد مرجان افندى
الناصرى . وزاد على ذلك ان قال انه اذا لم يحضر أمامه فى ظرف عشرة
أيام يسير الى لادو . فاجتمع الضباط والمستخدمون بهيئة مجلس وقرروا
باجماع الآراء رغبة منهم فى مرضاة أمين بك ، اخلاء لادو والانسحاب
صوب الجنوب . وعلى هذا جاوب أمين بك الأمير كرم الله بمكتوب جاء
من ضمن ما سطره فيه ان الجنود مانعة له من الذهاب عنده كما
كان يريد .

وكان أمين بك فى أشد حالة من التهييج وقد يستطيع المرء أن يدرك
ذلك بسهولة عندما يفكر فى المسؤولية الملقاة على عاتقه . فعندما تناقش هو
وكازاتى فى الموقف عرض عليه هذا حشد الجنود على الضفة الشرقية فى
غندوكورو ثم الانسحاب الى بور فالى اتجاء شمالى شرقى شطر السوبات .
فأظهر أمين بك انه مقتنع بهذا رأى ولكنه كان يرى استشارة مرؤوسيه وفعلا
استدعاهم من أجل ذلك فى اليوم التالى .

وانعقدت الجلسة بكرة ذلك اليوم وبعد أن عرض عليهم كازاتى
خطته صودق عليها باجماع الآراء وبناء على ذلك صدرت الأوامر .
إلا أن هذه الأوامر أمست بعد قليل من الزمن حبرا على ورق لأن

قائد دوفيليه وضباطها وموظفيها لم يقبلوا العمل بهذه الخطة لأنها حسب رأيهم تجر خسائر فادحة على المالية المصرية بتدمير الباخرتين . أما أمين بك فكان لا يشاطر كازاتى رأيه ووجد الفرصة سانحة بوجود سبب يرتكز عليه فى إهمال تلك الخطة .

محاولة الأمير كرم الله اخضاع مكراكا وانهزامه فى ريمو

وفى خلال ذلك كانت جنود ممبتو قد وصلت الى مكراكا وانضمت الى الجنود التى نجت من واقعة أمادى وبهذا تجمع فيها ٦٠٠ من الضباط والجنود .

وأراد الأمير كرم الله اخضاع مكراكا قبل أن يزحف على لادو وشجعه على اقدامه هذا انتصاره فانقض فى أوائل أبريل من عام ١٨٨٥ م فى ريمو على الجنود السالف ذكرهم وقد كانوا عندئذ يستعدون للتراجع الى لادو . وبعد أن دارت رحى حرب طاحنة أظهر فيها الفريقان المتقاتلان منتهى الصرامة والشدة انهزم المهديون انهزاما تاما وولوا الادبار صوب أمادى تاركين عددا كبيرا من رجالهم فى حومة الوغى .

دعوة الأمير كرم الله موظفى المديرية الى الخضوع والطاعة وعقد اجتماع للنظر فى الحالة

وأخذت كتب الأمير كرم الله تترى الى المستخدمين والضباط يدعواهم فيها الى الخضوع والطاعة . وعلن أمين بك أنه قادم اليه بنفسه عوضا عن أن يرسل اليه وفدا مؤملا أن لا يكون قد قصر فيما

تقتضيه اللياقة . ووردت في نهاية الأمر رسالة من الأمير كرم الله ومعهما صورة مكاتبة من نفس المهدي مؤرخة من الخرطوم في ٢٨ يناير سنة ١٨٨٥ م معلنة الاستيلاء على هذه المدينة وقتل غوردون باشا واعداد كافة اعدائه . وقد ختم المهدي مکتوبه متمنيا ان يكون الأمير كرم الله قد استطاع هو الآخر ان يكلل اعماله بالنجاح . ويستطيع المرء ان يدرك بسهولة ما يحدثه خبر كهذا من الشعب والاضطراب في لادو .

وصار توزيع الجنود التي كتب لها الظفر بالاعداء في ريمو على المحطات الواقعة على النيل وتركزت مكررا كالاعداء وأصبح يخشى الآن ان يخطر ببال الأمير كرم الله ، وقد أغراه انتصار المهدي الذي امتلك الخرطوم فصار المتحكم في شئون السودان ، ان يهتم بالقيام بضربة قاضية .

ودعيت جمعية عمومية للانعقاد في ٢٤ أبريل وكان انعقادها على اثر الانفعال الأليم الذي أحدثه هذا الخبر الأخير الحزن وقررت الانسحاب في اتجاه الجنوب . ودعى كازاتي الى هذا الاجتماع ولكنه انسحب إذ رأى ان الأصوات لا تعطى عن اخلاص وصفاء نية بل كانت تعطى محاباة للمدير ابتغاء كسب رضاه .

انسحاب أمين بك الى الجنوب وتقرير عدم اخلاء لادو

وبارح أمين بك في بكرة اليوم التالي الموافق ٢٥ منه لادو . ولم يحضر لتسوديعه عند الاقلاع من المرسى غير كازاتي وريحان افندي قائد المحطة . ورأى كازاتي ان في هذا التخلي من جميع مرؤوسيه معنى واضحا وانه نذير طالع مشئوم .

وقد كان لريحان افندى ابن أخ يقال له عبد الله ولقب بـ « نيامبارا » وكان نيامبارا هذا قائدا لحطة مديرفى الى أن شبت الثورة وامتدت حتى اتصل لهما بمديرية خط الاستواء . وقد عرف كيف يجمع حوله ٧٠ من الدناقلة ويقوم هو وهم بخدم جلى . ولم يتورع الحزب المسكرى عن أن ينهز كل فرصة تسنح له لالصاق التهم بهذا الرجل ورجاله ابتغاء الحاقهم بصفوف المشبوهين مع أنهم اظهروا اخلاصا لا يمكن للكائن أن يمارى فيه .

وعندما وضع على بساط البحث مسألة اخلاء لادو وارجاع قاعدته المديرية مؤقتا فى غندوكورو تكفل عبد الله بتموين مستودعات هذه الحطة الأخيرة وفعلا أحضر ٧٠٠ حمل من الحبوب وتركها فى الرجاف مع مرؤوسيه السبعين المدججين بالسلاح قبل أن يرجع الى لادو . وبينما أمين بك يكيل له المدح والثناء ويرفع درجته ويزيد مرتبه كان قومندان الرجاف يحاول تجريد رجاله من الأسلحة والقبض عليهم لكن هؤلاء قاوموه وانسحبوا الى الجبال المجاورة . ولما لم يجد عبد الله رجاله عند رجوعه الى الرجاف تحرى عنهم فعلم بما تم فذهب ليلا وانضم اليهم ومنذ ذلك التاريخ لم يرو عنه أحد خبرا .

ويعزو ريحان افندى كل الجور والمظالم التى حاقت بقريته الى الرغبة فى الانتقام لثأر قديم يرجع الى ما كان يظهره عبد الله من الميل الى القائمقام بخيت بك عندما حصل شقاق بين هذا و أمين بك . وكان ريحان افندى لا يحاول أن يكتم غضبه فلقد كان رجلا متقدما فى السن من صفاته الصلاح النادر والصلابة مع الرحمة وقد كانت الجنود تحترمه

كثيرا وتجه حبا جما .

وما غابت سفينة أمين بك عن الانظار حتى شاع وذاع وملا الاسماع
ان أمينا بك فر هاربا .

واجتمع مجلس غداة يوم سفره وقرر عدم وجود ضرورة لاخلاء لادو
وتكليف أمين بك بتموين هذه المحطة . وفي خلال ذلك شرع في الحال بالقيام
باعداد وسائل الدفاع .

انسحاب المهديين من مكراكا و أمادی

بادر كازاتي بالكتابة إلى أمين بك يخبره بما حدث ويرجوه أن
لا يتعد أكثر من غندوكورو اذا كان يريد أن يتجنب الانشقاق الذي
بات حصوله قاب قوسين ولكن أمينا بك لم يعر هذا الكلام
أذنا مصغية واستمر آخذا في طريقه الى الجنوب جاء لاله مستقبلا
مجردا من السطوة والاحترام مملوءا كدرا غير ان العناية الالهية أظلت
بوارف رحمتها المديرية أيضا هذه المرة فنزع الأمير كرم الله عن
مكراكا و أمادی فجأة لأمر لا يعلمه إلا علام الغيوب وانسحبت قواته الى
مديرية بحر الغزال .

موالاة امين بك الانسحاب الى الجنوب وتوطنه خور أيو

وما زال أمين بك يتابع السير منسجبا نحو محطات الجنوب ذلك
الانسحاب الذي نعتة الرأي العام بالفرار . فهاج الضباط وأرادوا حجزه في
الرجاف لكنه تشبث برأيه ومع ذلك وعد بالاقامة في لابوريه بل
أصدر أمرا باقامة المباني اللازمة في هذه الناحية الأخيرة على ضفة

النيل اليمنى . وسكن روع الأهالى فى بيدن ، و كرى ، و موجى ،
و لا بوريه بشأن المستقبل . ولما لم يستطع ان يسترجع ثقتهم به ذهب
وأقام فى خور أيو . ومن هذه الناحية أمر بتصدير الجيوب الى
الأورطة المحتلة لادو ولاحقاتها مؤملا بذلك تهدئة الخواطر والتمكن من
سحب الحاميات الضاربة شمالا فيما يستقبل من الزمان . ولقد ارتكب
أيضا أمين بك خرقا آخر فى رأى ذلك بأن منح زيادات فى رواتب جنود
الأورطة الثانية .

ارسال امين بك فرقة لاستطلاع أخبار حامية بور وابادة الدنكاوية لها

وكان امين بك قد وطد العزم وعقد النية على ان يذهب الى
مناطق البحيرات ومع ذلك بعث بحملة بقصد التأكد من الخبر الذى
كان قد أذيع عن قتل حامية بور ثم يواصل السير بعد ذلك صوب
فاشودة لاستطلاع اخبار الثورة . وألفت فرقة لهذا الغرض من ١٨٠
جنديا ومشت فى طريقها الى ان بلغت بحر الزراف . وهناك دبت عقارب الخلاف
بين صفوفهم فقريق كان يرى اتمام المأمورية وفريق يرى عكس ذلك . وأخيرا
استقر رأى على النكوص على اعقابهم وبعد مسير ثمانية ايام وقعت الفرقة فى
كمين نصبه الدنكاوية وأييدت تقريبا . وأتى بهذا الخبر المحزن الجنود القلائل
الذين نجوا منها .

سفر كازاتى الى موجى ومنها الى لا بوريه و دوفيليه

لما كان كازاتى لا يميل البتة الى التدخل فى اشغال المديرية حيث

كان يرى والأسى ملء جوانحه المسائل الشائكة والأعمال المعقدة تتراكم
فقد نزع عن لادو في ٩ مايو من سنة ١٨٨٥ م ووصل الى موجى في ٢٣ منه
وعاش بها في مسكنه وحيدا فريدا .

وكان كازاتى يعتقد اعتقادا راسخا أنه ليس هناك سلامة ترجى
من وراء الذهاب الى الجنوب . ويرى ان نتيجة التجارب الاخيرة
ليست مرضية إلا اقل من القليل فكتب الى امين بك يخبره انه نوى
مبارحة المديرية موليا وجهه شطر الشمال الشرقى فى اتجاه فادازى
Fadasi فرد عليه المدير بأنه لا يتسنى له ان يسمح باجابة طلبه نظرا
للمسئولية الكبرى التى تقع على كاهله إذا حدث له حادث . فكتب له كازاتى
جوابا أخلا فيه من كل مسئولية غير أن أمينا بك ظل ثابتا على رأيه
رافضا السماح له بما طلب وكتب اليه يستقدمه لزيارته فى لابوريه .
فامتثل كازاتى وسافر الى هذه المحطة الاخيرة وقابل فيها امينا بك .
وعندما تناقشا معا فى الموقف عرض عليه كازاتى نقل قاعدة المديرية موقتا
الى كرى ريثما تتمكن جنود لادو و الرجاف و بيدن من التراجع
صوب الجنوب . فقبل امين بك ان يعمل بهذا رأى وبعد ذلك بضع
ساعات عدل عنه الى نقيضه وسافر الى دوفيليه ولحقه فيها كازاتى فى ٢٣ يونيه
من سنة ١٨٨٥ م .

وكانت دوفيليه عندئذ تموج بالجنود والأهالى فالأولون كانوا نازلين
بها بسبب ما نالته محطتها من الاهمية بغتة والآخرين كانوا قد قدموا
اليها ليستبدلوا بمحصولاتهم خرزا ونحاسا .

واستقر رأى بأمين بك على ان ينتقل الى وادلای غير انه أبعد احمد

افندى محمود سكرتيره و عثمان افندى لطيف وكيل المديرية وعهد بإدارة قلم الحسابات الى البكباشى حواش افندى .

سفر كازاتى الى وادلاى

وصلت الباخرة « الخديو » فى مساء ٢٦ يونيه من سنة ١٨٨٥ م من وادلاى وعلى ظهرها قائد هذه المحطة . وقتل فى الطريق رجل وهو يحاول تخليص الرفاس من الأعشاب المشتبكة به لأن الرفاس تحرك قبل ان ينتهى الرجل من عمله .

• وزايل كازاتى فى ٢٨ منه دوفيليه قاصدا وادلاى ولحقه فيها أمين بك فى ١٠ يوليه . وابتدأت الأشغال فى المحطة واتسعت المحطة لدرجة نستطيع معها أن نقوم بما يطلب منها من الأعمال وأحييت بمخندق .

وكلمة « وادلاى » التى وضعت علما على المحطة هى اسم لرجل طويل القامة ضخم الجثة لدرجة صار معها شنيع الخلقة غير قادر على الحركة ولذا يعيش متنما فى أحضان عدد كبير من النساء ويكره الحروب ويرغب فى الحياة الهادئة هدوءا شاملا .

واللور رعايا وادلاى هم والشولى النازلون فى ضفة البحيرة الغربية من عنصر واحد إلا أن الأولين لا يشتركون مع الآخرين فى ميولهم الحربية بل بالعكس ينجحون للسلم ويميلون للسكينة وهم علاوة على ذلك من خيرة المزارعين ولهم باع طويل فى تربية الماشية . وعادت الثقة والطمانينة الى نفوس اللور وأخذوا يميرون المحطة وكفل لهم وجود المدير بينهم وقوف الجنود عند حدهم .

إغارة الباريين على لادو وانتصار حاميتها عليهم

وفي أكتوبر ورد خبر إغارة قبائل الباريين هم وحلفائهم الدنكاويين على لادو و غندوكورو و الرجاف .

وقد حدا سوء استعمال السلطة المعطاة للقواد التي تخولهم مطلق التصرف في الأمور من جهة وموقف الحكومة الحرج من جهة أخرى الى تحزب الرؤساء بقصد محاولة ضربها ضربة قاضية .

وأرسلت الامداد والذخيرة على وجه السرعة واستمرت المعركة حامية الوطيس يذكي نارها الحقد والضغينة .

وفي لادو انقضت جموع الغيرين الساحقة على الخنادق وازدروا بالموت الزؤام وأذكت هميتهم اصوات الابواق والطبول . وكدسوا حزما من العشب والخطب لسهولة المرور الى داخل الحصن . وبينما كانت تشتد حميا وثوبهم لدرجة خيل معها ان النصر امنى ولا ريب حليفهم إذا برصاصة أصابت جبين كبير سحرتهم وألقته بأسفل المتراس . وكان هذا أول من وصل الى القمة . وشل صياحه المزعج الوثوب ووقفه وقفا تاما وأحال الخوف الذى حاق بهم رعبا لا مبرر له وبذا نجت لادو ووضعت الحرب أوزارها على ان الباريين وخدمهم دفعوا نفقات هذه المعامع ذلك ان الدنكاويين وقد شق عليهم موت كبير سحرتهم نهبوا البلد وسلبوا كل ما صادفهم فى طريقهم من الماشية عند رجوعهم .

اما الحامية ، وقد سكرت بخمرة النصر ، نغالت أنها لا تغلب بعد ذلك

وعوضاً عن ان تتراجع الى كرى و موجى و لآبوريه عقدت النية على اعادة احتلال مكرامكا بغية الحصول على الجيوب اللازمة للمحطات القائمة على النهر وبشرت تنظيم المديرية من جديد بالكيفية التى سولها لها شيطانها من غير ان تتنازل وتستشير المدير .

عودة المواصلات بين أونيورو
وطلب كباريجا تعيين وكيل لديه من قبل الحكومة

وأتى رسل قبيل آخر أكتوبر يحملون مكاتيب من طرف العرب المقيمين فى بلاد اونيورو وقد آبوا حاملين الرد فى أول نوفمبر وبذا انفتح باب المواصلات .

ووردت فى ٢٣ ديسمبر رسائل اخرى من قبل كباريجا ملك اونيورو يخبر فيها امينا بك انه يرغب فى ان يرى لديه وكيل من قبل الحكومة وانه يأذن بنقل المراسلات الى أوغندة عن طريق بلده وانه يجود بهذه المنحة لأجل صديقه الدكتور امين ذلك الصديق القديم الذى مازال له عنده منزلة احترام عظيمة وصداقة ولكي يرضى امين بك الملك كلف جونكر و فيتا حسان بهذه المهمة .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الاول للسنة القادمة .

سنة ١٨٨٦ م

من

حکمدارية أمين باشا

تعيين فيتا حسان نائبا عن الحكومة في أونورو

في أول يناير من هذا العام رافق امين بك و كازاتى الى المرسى الدكتور جونكر وفيتا حسان . وكان ينتظر هذين فيها لتوديعهما كبار موظفى المحطة من ملاكيين وعسكريين . وبعد ان ودعهما الجميع صعدا الى ظهر الباخرة « الخديو » التى لم تلبث إلا قليلا حتى أطلقت صفارتها ايزانا بالسفر . واقتلعت المراسى وتحركت الآلات وأخذت الباخرة تبتعد والمودعون يلوحون بمناديلهم البيضاء الى ان توارت عن الأبصار .

ولم يكن فى عزم الطبيب جونكر ان يقيم ردحا طويلا فى أونورو بل كان عاقدا النية على ان يعاود المسير شطر الساحل عند سنوح اول فرصة . اما فيتا حسان فحاله كانت كما يأتى :-

« لقد كان معينا نائبا عن الحكومة المصرية لدى كباريجا ملك أونورو . وكان لديه أمر بالسفر الى تلك الديار والاقامة فيها والسير على حفظ العلاقات الودية والسياسية بين البلدين وان يرافق الدكتور جونكر الى أونورو ويساعده على اجتياز اوغندة حتى يتمكن من الذهاب الى زنبار عند سنوح أول فرصة . وان يقوم بعمل اللازم لدى

الملك ليهيء طريقا في مملكته ينسحب منها موظفو المديرية المصريون عند الحاجة وان يباشر مشترى المنسوجات والاشياء الاخرى التي تلزم لمستخدمى المديرية ويبادل عليها بالعاج الذى يرسل اليه من وادلاى . ويجب عليه كذلك ان يجتهد باقواله واعماله حتى يحصل على ثقة الملك وصادقته ويحافظ عليهما حتى ينال منه اجزل ما يمكن من الفوائد خلال قيامه بالمهمة التى عهد اليه اتمامها .

سفر فيتا حسان مع جونكر الى أونورو

سافر فيتا حسان ووجهته الاونورو مزودا بهذه التعليمات ومصحوبا بالطبيب جونكر و جنديين و مندوبى كباريجا الخمسة وأخذ معه ٣٠ نابا من انياب الفيلة هدية من امين بك الى كباريجا وكبار موظفى اونورو . وبعد مسير ست ساعات وصلت الباخرة « الخديو » الى مصب بحيرة البرت نيازا وكان من المحتم ان تقف عنده لتستوفى ما يلزمها من الوقود وتقضى ساعات الليل . وسافروا فى اليوم التالى وبلغا كيبورو القائمة على شاطئ البحيرة بعد الظهر . وعرض عليهما كاجارو Kagaro رئيس الناحية الضيافة الى ان يتمكننا من جمع ما يلزمهما من الحمالين وبعث لهما بخروف ومقدار من الملح .

وكان كاجارو معينا من قبل كباريجا مأمورا لانتاج الملح وبسبب هذه المادة التى تأتى بدخل كبير صار لكيبورو أهمية كبرى .

وأقاما فى كيبورو يومين جمع فى خلالهما الرئيس ٣٢٠ حمالا لنقل المتاع والعاج . وليس فى جسامه هذا العدد ما يوجب الاستغراب

متى علم ان الزوج لا يودون حمل الاشياء الثقيلة . فاقصى ما يحمله الواحد منهم يتراوح بين ٢٠ و ٢٥ كيلو جراما . وهذه المسألة جعلت السياحة في افريقية امرا صعبا .

وفي اليوم الثالث انطلقا في السير وبعد سفر ثلاثة ايام دخلا امبارا Mpara محل اقامة الملك ووجدا على بعد ربع ساعة من الناحية خمسة اكواخ جديدة أعدت لاقامتها بأمر كباريجا فنزلا فيها نزول صاحب الدار في داره . وامبارا هذه كرسى مملكة اونيورو . وقدم في المساء ماتونجولى ، أى وزير ، لزيارتها وليتمنى لهما نيابة عن الملك قدوما سعيدا . واستفهم عما اذا كانت كل الأمور قد جرت في مجراها الحسن في غضون سفرهما ، وعما اذا كانا قد قوبلا من رعايا الملك بمقابلة طيبة . واحضر لهما علاوة على ما ذكر من قبله زادا مشتملا على ثور و مريسة و دقيق ذرة و تبغ و بن و بطاطة و فول احمر و موز و حطب وكل هذا بمقادير وافرة . وكان الملك يوصيها ايضا ان يأخذوا الراحة التامة ليستريحوا من وعناء السفر فكلفنا الماتونجولى ردا على ذلك ان يبلغ الملك تشكراتها القلبية .

وأتى في اليوم التالى ماتونجولى آخر وحياتها باسم الملك واحضر لهما مقدارا من الماريسة وخمسة عشر عذق موز على ان المؤونة التى قدمت لهما بالأمس كانت لم تزل على حالتها تقريبا غير انه من عادة السودانيين ان لا يظهروا امام ضيوفهم وايديهم خاوية وذلك من باب اللياقة والمجاملة .

ولم يبارح فيتا حسان و جونكر سكنهما في الثلاثة الايام الاول

لانشغالها بترتيب واعداد متاعها وتأثيث منزلها . وكان القائم بأذهانهما ان الملك سيستدعيهما بين آونة وأخرى ولكن سكوته عن هذا الاستدعاء في هذه المدة بعث في نفوسهما بعض الدهش .

وزارا في اليوم الرابع المدينة بموجب الأذن الذى كان أعطى لهما بزيارتها . ولم تكن هذه سوى قرية بسيطة مثل باقى قرى الزنوج لكنها كبيرة ومأهولة كثيرا بالسكان وهى تتألف من اكداش من الاكواخ المصنوعة من الخيزران والقش موضوعة على الارض بلا نظام ولا ترتيب . واتخذوا الترجمان الذى عين لخدمتهما عند قدومهما مرشدا لهما أثناء هذه الزيارة .

ولم يبلغها الملك خبر استعداده لاستقبالهما إلا فى اليوم السابع . وكان فى الامكان حصول هذا الاستقبال فى اليوم الاول إلا ان الملك الذى كان من شيمه المكر والخداع فضلا عن الجبل رأى ان يموه عليهما بتكليفهما الانتظار . فدعاهما ماتونجولى يقال له « كاتاجروا » Katagrua كان قبلا وزيرا لكمرازى والد كباريجا وكلفهما بان يرتديا احسن ملابسهما حتى يكونا فى حالة تليق بمقابلة صاحب التاج إذ أنه لشدة كبريائه يمنح للتأثير على رعاياه بأبهة ملابسهما ونخامتها ويستطيع ان يفتخر بان لديه ضيوفا بلغوا هذا الشأو من علو المنزلة .

مقابلتهما لكباريجا ملك أونيوورو

حضر قبيل ظهر ذلك اليوم الماتونجولى امسيجي Msigi ليقدم فيتا حسان و جونكر للملك . وقابلا على بعد خمس دقائق من محل اقامتهما ثلة صغيرة

من الجند وعند رؤيتها لهما اصطفت على جانبي الطريق ثم بعد ذلك بقليل قابلتهما ثلة اخرى وأدت لهما التعظيم بتقديم الأسلحة عند مرورهما وفي اثناء ذلك كان ينفخ في الابواق وتدق الطبول وهذه كل آلات العزف التي يمتلكونها .

ويسمى هؤلاء الجنود « الباناسورا » Banassuras ويتألف منهم جيش منظم مجموعه ١٥٠٠ نسمة يرتدى الملابس الحسنة ويحمل بنادق بشطف أو سريعة الطلقات .

ونظم هذه الهيئة عساكر من جنود الحكومة المصرية يبلغ عددهم زهاء الثلاثين كانوا قد فروا من محطتي كيزوجا Kisoga و كيروتو اللتين كان قد أنشأهما غوردون باشا في بلد اونيورو وذلك في خلال حصول مجاعة . وعند هروبهم أخذوا معهم اسلحتهم وآلاتهم الموسيقية ولم يحتفظ الباناسورا بشيء من تلك الآلات الا لهم إلا بالأبواق والطبول وذلك لسهولة استعمالها . ولا يصرف للباناسورا راتب ولا جـراية ويتعين عليهم ان يعيشوا من الطلبات التي يأذن لهم بها الملك والتي تعمل ليتخذوها مبررا لنهب الأهالي نهبا منظما . وبما ان الملك وحده هو المتولى اقامة العدل واصدار الاحكام بدون بحث ولا مناقشة والباناسورا هم المتولون تنفيذ تلك الاحكام استباح هؤلاء اتخاذا اسمه ذريعة لسوء استعمال السلطة في احوال كثيرة وعزوا ذلك اليه تعسفا وظلما . ولقد ابعد قلوب الأهالي عن هؤلاء الجنود وأحنقها عليهم وعلى سيدهم « أى الملك » ما يرتكبونه من السلب والنهب لدرجة صار معها وجود هؤلاء السلايين النهائيين ضروريا لأمن الملك الذى أصبح لايهابه شعبه إلا خوفا من هؤلاء الطغام المرتدين لباس الجندية .

ويتألف قصر الملك من سور كبير داخله مجموعة من الكواخ تسكنها نساؤه الكثيرات الممدد وخدمه . وأقيم حيال هذا السور كوخ على شكل دائرة له مدخلان وبه حاجز يقسمه قسمين . ويتألف هذا الحاجز من سدول مختلفة الانواع من سجاد و منسوجات حريرية وقطنية مزركشة بالذهب والفضة وغير مزركشة ملتزمة ببعضها فيتألف من مجموع هذه الألوان الزاهية النظرة منظر يأخذ بالألباب . ويجلس الملك كباريجا في الوسط خلف القسم الذي مدخله في الامام على مقعد كبير مكسو من نوع كساء الحاجز . ووراء هذا يقف ثمانية من الغلمان اعمارهم تتراوح بين اثنتى عشرة وست عشرة سنة . يحملون قرايىنت وينشستر Winchester ويرفعون من وقت الى آخر طرف الستار المقيم بمستلزمات الحراسة او ربما كانوا مدفوعين في ذلك بغريزة حب الاستطلاع ويلتقون بنظرة في الكوخ الملكى . وهؤلاء يكونون الحرس الملكى الذى كان يتغير كل نصف يوم . وكان كبار اعيان الانيسورو يجلسون صفا على الارض على يمين كباريجا ويساره وكانت الارض مفروشة باوراق البردى بزى السجاد . ويحيط بالكوخ في الخارج على بعد أربعة أمتار منه ثلة من الجند واقفة على شكل دائرة .

ورافق جونكر و فيتا حسان اتباعا لأوامر الملك الجنديان اللذان قدما معها وكانا يحملان مقعديهما . ولم يتحرك الملك عند دخولهما وعند وصولهما الى مسافة وجيزة من الملك حياه فيتا حسان باللغة العربية قائلا : « السلام عليكم ياأيها السلطان » اما جونكر فرفع قبعته . ووضع الجنديان مقعديهما على يمين الملك فجلسا عليهما بين الوزراء « الماتونجولين » .

وكان الملك يلبس سروالا و سترة « استامبولينا » وطربوشا ولم يكن على جسمه قميص ولا في قدميه حذاء . وبعد ان جلسا التفت الملك الى جونكر وكان يعرفه تمام المعرفة لانه كان قد طلب ارساله وسأله بلهجة تم عن الكبرياء والعظمة عن الغرض من سياحته مع ان موظفى أمين بك عرفوه من زمن سابق السبب .

وترجم هذه الأسئلة الترجمان أمسيحي وهو ذلك الذى كان ترجانا لأمين بك في رحلته السابقة الى بلد أونيسورو في مدة غوردون باشا . وأجابه جونكر بأنه قدم ليجتاز أوغندة حيث يريد أن يجتمع باخوانه البيض المبشرين اذا كان ذلك في حيز الامكان .

أما فيتا حسان فقال ان لديه خطابات من أمين بك يرغب في ارسالها الى رؤسائه في القاهرة بواسطة الملك عن طريق أوغندة و زنبار . وما أتم كلامه حتى صاح ماتونجولى قائلا : « واذا لم يشأ الملك ارسال هذه الخطابات ؟ » . فأجاب فيتا حسان : « ان الملك هو صاحب الشأن وله وحده أن يأمر بأن ترسل أو لا ترسل وانه لا يطلب ذلك من باب الالتزام بل يطلب بالنيابة عن أمين بك أن يفعل ذلك منه وكرما . وعلاوة على ما ذكر فانه لا يطلب من الملك ارسال هذا البريد بدون أن يجنى من وراء ذلك فائدة بل مقابل هدايا تقدم اليه . وانه اذا أراد سلاحا أو ذخيرة حتى اذا شاء مدفعا فهو يقدم له كل ذلك عربون صداقة رئيسه للملك » .

ولم يتكلم فيتا حسان بهذه الكيفية إلا عملا بوصايا أمين بك وطبقا لارادته لأنه قد رسم له أن يعمل دواما بما تقتضيه سلامة الذوق . ورأى

فيتا حسان من رضا الملك ما دله على انه قد أصاب منه عرقا حساسا .
فأجاب كباريجا انه يعتبر أمينا بك كأخ له وانه سيعمل كل ما يرضيه .
وبعد أن وجه جملة أسئلة غريبة في بابها لم يتألكا عند سماعها من
الضحك إلا بشق الأنفس فض الجلسة بقوله : « ان أكوأخكما الحالية
لم تكن إلا وقتية وذلك ريثما تستريحان من وعشاء السفر وفي
استطاعتكما أن تختارا المكان الذي يوافقكما فأقيم لكما فيه مسكنا في
الحال » . وعلى هذا استأذنا جلالته ورجعا الى محل إقامتهما يصحبهما
ماتونجولى .

ووقع اختيارهما على ربوة صغيرة تشرف على كل نواحي المدينة .
وكانت أرضها مزروعة بطاطة فأمر الماتونجولى باقتلاعها فورا . وفي الغد
سلما رسم المسكن الى العمال وكان هؤلاء كثيرى العدد فأنجزوه في
عشرين يوما .

وفي خلال هذه المدة استدعاهما الملك ثلاث مرات وكان في كل
مرة يرتدى ملبسا يختلف عن ملبسه في المرة التى سبقها . وكان دوما يهتم
اهتماما خاصا بحالتهم الصحية ويستعلم منهما عن لوازمنهما وعما اذا كانت المؤونة*
التي تقدم لهما تكفى حاجتهما .

ولم تستدع الجنود وتقام الاحتفالات التى سبق ذكرها إلا لدى المقابلة
الأولى . وطلب الملك عند الزيارة الثانية أن يرى الخطابات التى يرغبان
إرسالها الى مبشرى أوغندة . وكان أحدها مرسلا من أمين بك والثانى من
جونكر وكلاهما برسم الأب ماكاي Mackay فتناولهما كباريجا وقال :
« سيصل اليكما الرد فى مدة تسعة عشر يوما » . وبر الملك فى الواقع بوعده

وفي اليوم التاسع عشر وصلت اليهما اجابة ماكاى ومعهما خطاب باللغة الفرنسية مرسل من نوبار باشا الى أمين بك . وهذا الخطاب ظل لدى هذا المبشر زمنا طويلا بدون أن يتمكن من توصيله للمرسل اليه .

وبادر فيتا حسان بارسال خطابى نوبار باشا وماكاى الى أمين بك .

وما وضعنا أقدامهما فى مسكنهما الجديد حتى تلقيا بطريقة سرية رسالتين لإحدهما باللغة العربية والاخرى بالفرنسية من شخص يقال له محمد برى تاجر من أهالى طرابلس .

ورأى فيتا حسان فى مساء يوم عند افول الشمس رجلا زنباريا يقال له حموده قادما ودخل عليهما مع ترجمانهما ليقدم لهما تحيات شيخ الزنباريين فى أونيوورو . وتمكن حموده هذا من أن يلقى تحت المائدة خطابين بدون أن يلحظ ذلك أحد وما كاد يخرج مع الترجمان حتى تناولهما فيتا حسان ودش عندما رأى ان بهما توقيع محمد برى .

وكان المكتوب الفرنسى برسم جونكر والعربى لفيتا حسان . ويقول محمد برى فى كتابه الثانى ان موطنه طرابلس وانه مقيم بين الزنباريين بصفة تاجر وانه يكون سعيدا اذا تمكن من مقابلته وان الوسيلة لذلك هو أن يحصل فيتا حسان على اذن من الملك بالسماح له بزيارة حى الزنباريين وان فى امكانه معرفته بسهولة بقامته الطويلة النحيفة وأوصاه أن لا يكلمه إلا بالفرنسية أو التركية اذا قابله وكان معه أحد .

ويقول فى كتاب جونكر ان أحد الألمانين المدعو الدكتور

فيشر Dr. Fisher جاء الى أفريقية للبحث عنه وان الحكومة المصرية كتبت بصدد ذلك بعض الخطابات لمديرية خط الاستواء . ولم يذكر محل وجود هذه الخطابات ولكنه أظهر انه يريد أن يذكر ذلك شفويا عند أول فرصة .

ولقد كان من الفطنة واصالة الرأي أن يتصرف محمد برى هذا التصرف المستتر وأن يخشى انكشاف علاقته بفيثا حسان و جونكر لأن الملك كان بفطرته شديد الغضب . ويستوى في ذلك هو وجاره موانجا . وقد كان من طبع هذا الملك أن يراقب مراقبة مدهشة كل من يدخل بلده ويبحث عن الوسائل التي تعرقل اتصال الواحد بالآخر من الأجانب . فلم يكن ليعفيهما من أشد المراقبة وأدقها مع انهما أتيا بناء على طلبه وبصفة مرسلين من قبل أمين بك الذي كان يدعوه بصديقه وأخيه الأيضا .

وما كان الجنديان اللذان وضعتا تحت تصرفهما مكلفين بخدمتهما حسب بل كانا في الوقت نفسه مراقبين بل سجانين لهما .

وكان الملك لا يمنع عنهما أى شيء تتطلع اليه أنفسهما إلا أنه كان يعرف الطريقة التي بها يبعدهما عن الأجانب الآخرين . وكان لا يقول لهما شيئا مطلقا غير ان ترجمانه ما كان يكرم عنهما نصائحه الغالية وكان فيثا حسان و جونكر يقدران تلك النصائح حق قدرها وذلك باعتبارها كأوامر صادرة من ذات الملك . ولقد كابد أمين بك نفس هذه الريب والشكوك عند أسفاره في أوينورو و أوغندة في عهد غوردون باشا ففى البلد الأول لم يستطع أن يتصل بنور بك محمد وفى أوغندة لم يتمكن من الاتصال بميسون بك مع ان كليهما كان من موظفى الحكومة

المصرية كما ان أمين بك كان أيضا من موظفى نفس هذه الحكومة .
فهؤلاء الامراء الكثيرو الشكوك والظنون كانت لهم طريقة واحدة غاية
فى البساطة . ذلك انهم حالما يعلمون بقرب قدوم أجنبي يصرفون من كان لديهم
من الأجانب الآخرين فى اتجاه آخر .

وكانت المصلحة وحب الوقوف على الحقيقة يدفعان فيتا حسان
و جونكر لمقابلة محمد برى فى أقرب وقت فطلبا من كباريجما أن
يرخص لهما زيارة حى الزنباريين فلم يأذن لهما بذلك إلا بعد
يومين .

وزهدا الى الحى المذكور وحالا عرف فيتا حسان محمد برى بأوصافه
التي ذكرها وخاطبه بالفرنسية وكان هذا الأخير يتكلمها بسهولة إذ
أنه كان موظفا بالشركة البلجيكية الافريقية وساح فى أغلب نواحي
القارة الأوربية .

وبعد أن ساما عليه قص عليهما ثورة عرابي واحتلال الانكليز
لديار مصر بسبب هذه الثورة واخلاء الحكومة المصرية السودان وسقوط
الخرطوم وقتل غوردون . وكان لديه معلومات صحيحة فيما يختص
بأحوالهما وأكد لهما أنه يوجد لدى المبشر ما كاي مراسلات رسمهما
من نوبار باشا رئيس مجلس الوزراء . وعرض برى عليهما وساطته فى
توصيل ما لدهما من المكاتبات وفى انجاز كل أمر يريدانه . وعند
مبارحتهما له أوصاهما أن يأخذا الحذر من بابادونجو رئيس وزراء الملك
ومن رجل يقال له عبد الرحمن وهو شخص زنبارى له نفوذ كبير
عند كباريجما ودعاهما لتناول الطعام عند رفيقه الشيخ مسعودى ووعدهما بأن

يستأذن من الملك في أن يتناول عندهما الطعام مرة .

وكان الزنباريون شبه محترمين لتجارة أفريقية الوسطى فكانوا يوردون أنواعا متنوعة من السلع ويستبدلون العاج بها . وعلاوة على هذا النوع المباح تصديره كانوا يتجرون في الرقيق وما يحصلون عليه من داخل القارة يبيعونه في الساحل . ولو لم يكن التجار عرضة لأذى الملوك لكان في استطاعتهم الحصول على أرباح طائلة . وكان أولئك عندما يضعون مكاسبهم في مكان مأمون يرجعون الى الساحل . وهذا ما كان يعمل به أغلب تجار الخرطوم الذين يسافرون الى النواحي الواقعة الى الجنوب مخاطرهم بأرواحهم ابتغاء كسب الدراهم التي ينفقونها فيما بعد في هذه المدينة .

وكان العربي عند سفره من الخرطوم أو زنبار يردد لسانه هذه العبارة « الذهب الأحمر أو الموت الأحمر » .

وكتب فيتا حسان في الحال بعد أن ترك محمد برى الى أمين بك تقريرا مفصلا بما دار بينهما من الحديث وأضاف اليه جوناكر بعض كلمات ذيلها باسمه ووضع مع التقرير صورة الخطاب الذي تلقاه من المبرر ما كان بالأذن له من موانجا Mwanga ملك أوغندا بدخول مملكته وبعدم التمكن من الحصول منه على ترخيص كهذا لموظفى أمين بك .

وكان فيتا حسان لم يقدم الى كباريجا لغاية ذلك الوقت إلا هدايا صغيرة واحتفظ بالعاج لحين سنوح فرصة أكثر مناسبة فانهز فرصة قيامه باحضار البريد لهما من أوغندا وقدمه له دلالة على رضا الحكومة .

ففى اليوم التالى لوصول البريد قدم فيتا حسان ٢٠ نابا من انياب
الفيلة الى الملك وواحدا لبابادونجو Babedongo ، وواحدا لعبد الرحمن
الزربارى ، وواحدا للوزير كاتاجروا ، وواحدا للترجمان امسيجى ، وواحدا
لقائد الشرطة « باناسورا » ، وثلاثة الى بعض الضباط واحتفظ بثلاثة لما يطرأ
فى مستقبل الأيام .

وكان العاج ضالة الزربارين المنشودة وكان احدى الوسائل الهامة
فى المبادلة فى بلاد الاونيورو التى يندر فيها وجود هذا النوع لأن
الفيلة لا توجد إلا شمال بحيرة البرت نيانزا . وكان الزرباريون يشترون
الفرازيلا من العاج من الاونيورو بـ ٤٥٠٠ سيمبى Simbis والفرازيلا Frasila
عبارة عن ٢٠ نابا . و ٢٥٠ سيمبى تساوى ريالا مجيديا . وقيمة هذا الريال سبعة
عشر قرشا ونصف قرش وعلى هذا يكون ثمن الفرازيلا ١٨ ريالا أو
٣١٥ قرشا . ويبيعونه فى الساحل بثمان يتراوح بين ٨٠ و ١٠٠ ريال أى
من ١٤٠٠ الى ١٧٥٠ قرشا . إذ انهم كانوا يتكبدون نفقات كثيرة
للوصول الى الساحل .

ويتخذون فى الاونيورو « السيمبى » أساسا للمعاملة فى الصفقات
التجارية وهذه العملة ادخلها الزرباريون فى هذا البلد . وله قيمة
ثابتة لا تتغير . وكانت التجارة رائجة فى الاونيورو بفضل
ما كان يبيده الزرباريون من الهمة والنشاط فى الاسفار ذهابا
وايابا بين الساحل وأواسط افريقية بلا انقطاع . وكان ايضا فى
الاونيورو تنتظم الدقة المعاملات التجارية لأن ثمن كل سلعة كان محددًا
بمعرفة الملك فلا يتغير ولا يتبدل مطلقا وكان لديه معلومات صحيحة عن

كل ما يحدث في ارض مملكته .

وروى فيتا حسان انه ابتاع ذات يوم دجاجة ودفع ثمنها لها ٣٠ سيمي مع ان ثمنها المحدد كان ٢٥ فقط وبعد ذلك بقليل أتاه ترجان الملك وأعطاه الفـرق وقال له ان التاجر الذي عامله باجحاف سيوقع عليه الملك عقابا وأوصاه بان لا يدفع شيئا يزيد عن الثمن المحدد مراعاة لمصلحته واجتنابا لحدوث اضطراب في السوق .

واليك اتمان بعض الحاجات المهمة :-

أمة سواء اكانت عذراء أم امرأة من ١٢٠٠٠ الى ١٥٠٠٠ سيمي « ٣٦٠ الى ٤٥٠ قرشا » . صبي رقيق من ٨٠٠٠ الى ١٠٠٠٠ سيمي « من ٢٤٠ الى ٣٠٠ قرش » . بقرة حلوب من ٤٠٠٠ الى ٥٠٠٠ سيمي « من ١٢٠ الى ١٥٠ قرشا » . عجل ذكر من ١٢٠٠ الى ١٥٠٠ سيمي « من ٣٧ الى ٤٥ قرشا » . خروف من ٣٠٠ الى ٤٠٠ سيمي « من ٩ الى ١٢ قرشا » الخ .

ويجب على كل تاجر يقدم الى الاونيورو ان يقدم باديء بدء بعض السلع للملك فيختار منها ما يعجبه بدون مقابل وكان يدفع أوقاتا سنا مقابل ما يأخذه غير ان هذا يتعلق بمشيئة الملك على ان القاعدة هي ان يترك للملك ما يستحسنه من غير عوض .

وربما كانت الاونيـورو أغنى البلاد في نوع البقر فقطعان الملك وحدها تعد بمئات الألوف . والسبب في هذه الكثرة التي لا يتصورها العقل يرجع الى تحريم ذبح الأبقار تحريما باتا اللهم إلا اذا ظهر عقمها ظهور الشمس في رابعة النهار وحتى عندئذ لا بد من الاستئذان من الملك .

أما اذا شذ أحدهم عن هذا القانون فتصادر أملاكه وتباع أسرته في سوق الرقيق .

وكان الوزراء « الماتونجوليون » المكلفون بحراسة القطعان ملزمين بعرضها أمام الملك من وقت لآخر حتى يمكنه الوقوف على حالتها لأن هذه القطعان ثروته الوحيدة فهو يفوض أمر رعيها لرعاياه ويسمح لهم بأخذ ألبانها . أما الماشية فتظل ملكا له .

نشوب الحرب بين أوغندة و أوينيورو
واحتلال فيتا حسان جزيرة تونجورو

وفي ٢٥ فبراير أتى من وادلای رجال فيتا حسان . وكان أمين بك يحسب ان مدة اقامته في أوينيورو ستطول ولم يكن قد طرأ على فكر فيتا حسان نفسه ان الحرب بين أوغندة و أوينيورو قد صارت قاب قوسين أو أدنى وانه سيرى نفسه قريبا مضطرا أن ينسحب . ومع أن الفريقين كانا يتأهبان للحرب ويعدان عدتها كان كباريجبا قد أمر بملازمة الصمت وأن لا يبوح أى انسان بشيء ما ولم يأذن لرجال فيتا حسان بالقدوم إلا عندما يتقن أن العاصفة قد مرت وهذا الجو .

وأرسل أمين بك ٥٠ نابا من أنياب الفيالة الى فيتا حسان وأرسل اليه أيضا خطابا يأمره فيه بأن يسلمها الى جونكر بالاىصال اللازم إذ ربما دغته الحالة لأن يستعملها للمبادلة اثناء الطريق . ولم يشأ جونكر أن يقبل منها شيئا وقال انه متى بلغ أوغندة يسهل عليه كل أمر بواسطة البشر

ما كاي Makay .

وفي ٢ مارس سافر جونكر الى أوغندة وكان قد أخذ اجازة دخوله فيها وكان يرافقه في رحلته هذه ٣٠٠ حمال أرسلها اليه الملك والجندي سرور . وكان هذا مكلفا بحمل ثلاثة خطابات من أمين بك الى سمو الخديو .

وحاول جونكر أن يقنع فيتا حسان بأن يرحل معه وأجل سفره لحين أن يأتي إذن له من أمين بك بذلك فأبى فيتا حسان لأنه كان يرى ان واجبه يحتم عليه البقاء بجانب رئيسه . وقد أشار عليه حتى نفس كباريجا بالسفر قائلاً له ان الأجل به أن يرجع الى بلد اليض لا أن يستمر مقياً في بلد الزنوج السود .

وفي ٧ مارس وقت الظهر حضر الترجمان « واندو » بغتة الى محل اقامة فيتا حسان ومعه ٣٢ حملاً وأبلغه أمر الملك وهو يقضى برحيله عاجلاً لأن الواجاند Wagandas « وهؤلاء هم سكان أوغندة » على بعد نصف ساعة من المدينة ويلزمه أن يحمل معه من المتاع ما يقدر على حمله . وما يبقى يرسل اليه فيما بعد .

وكانت الحالة في الحقيقة حرجة ولما كان فيتا حسان يعرف طريقة الحرب في هذا البلد أدرك ان وقته أمسى ثميناً ولا ينبغي أن يضيع لحظة منه . وكان أول شيء يعملهُ الأهالي عندما يهاجمون هو حرق مساكنهم ثم ينسحبون . وما ادار عرض اكتافه للمدينة حتى أخذ اللهب يشتعل في جميع نواحيها وكان كلما تلفت بين آونة واخرى رأى ذلك المنظر

الهائل الشنيع . وناهيك بمدينة كبيرة مكونة من نقش تنحني كأنها بحر زاهر بالنيران .

ولما كان لا مفر له من الابتعاد عن ميدان القتال بتدريج يستطيع من السرعة سار هزيعا من الليل وحظ رحاله بالقرب من قرية . ورأى وقت السحر ان حماليه تركوه وان القرية أصبحت خالية خاوية وما ذلك إلا لأن الهلع كان قد استولى على أهلها فهاموا على وجوههم هارين ومعهم أمتعتهم وظل فيتا حسان على ذلك الحال وبقي معه جندياه وترجمانه ونفر قليل من شرطة أونيوورو « الباناسورا » . وأوعز الترجمان الى فيتا حسان بالانتظار لأن الأهل إلى أعلنوا بمروورهم وسيرجعون لمساعدتهم . وفعلوا قسيرا الظهر أتى خمسة رجال فعهد اليهم بزوجه السيدة وابنه موسى وترك متاعه في القرية . وكان من مصلحة فيتا حسان أن يبلغ كييرو في أقرب وقت لأن أمينا بك عندما اتصلت به أخبار الحرب أعطى أمرا للباخرة « الخديو » بأن تنتظره ثمانية أيام أمام هذه الناحية . وبما أن نصف هذه المدة كان قد انقضى اسرع الخطى ووصل بعد يومين الى كييرو فوجد فيها الباخرة . وشاهد مع الدهشة والارتياح ان المتاع الذي كان تركه في الطريق قد وصل أيضا .

وفي ١٣ مارس زایل فيتا حسان كييرو وبينما هو في طريقه رأى على ضفة بحيرة البرت نيازرا الشمالية جزيرة يفصلها عن الشاطئ ممر ضيق وهيئتها تدل على انها حديثة التكوين . وبما أنها واقعة قرب مخرج النيل وحاكمة على مدخل البحيرة بدا لفيتا حسان انها نقطة حربية خطيرة جدا لاسيما ان أمينا بك كان شارعا في توسيع مديريته من جهة الجنوب . ونزل

بها فلم يجد فيها سوى صياد واحد يسكن كوخا حقيرا وعلم منه ان الجزيرة تسمى تونجورو Tonguru وهى تابعة للرئيس سونجا Songa من رعايا كباريجا . وأقام فيتا حسان فى الجزيرة هو و الجاويش عبد الرجال الذى معه و الجندى عبد الجبار و شرطى كباريجا « الباناسورا » . وأرجع الباخرة الى أمين بك مزودة بخبر احتلال الجزيرة وطلب منه أن يمدّه بالتعليمات اللازمة قائلا له انه اذا كان موافقا على ما عمله يرسل اليه ثلثة من الجند لتقيم فيها بصفة حامية والا فليرسل اليه تعليمات بما يراه .

تخصين فيتا حسان جزيرة تونجورو وسفره الى وادلاى

وبعد انتظار ١١ يوما وصلت الباخرة نينازا وعلى ظهرها تجريدة من ١٠ جنود و ١٠ تراجمة بقيادة الملازم الأول محمد مسعود افندى ومعهم صندوقان من الذخيرة ومؤونة شهر . وكان بالباخرة أيضا الرد من أمين بك بالموافقة على احتلال الجزيرة وبوضع الباخرة تحت تصرف فيتا حسان حتى يذهب الى كيبيرو ويتسقط أخبار الحرب . وبمقتضى هذا الأمر سافر فيتا حسان اليها ثلاث مرات . ففى الدفعتين الأوليين وجدها خالية خاوية كما كان تركها لكنه فى الدفعة الثالثة وجدها مأهولة كما كانت قبل الحرب وعلم ان الواجندا « أى سكان أوغندة » بعد أن غزوا أونيوورو انسحبوا غاميين ١٢٠٠٠ رأس من الأنعام وعددا من الرقيق إلا أنه فى وقت انسحابهم انقض عليهم كباريجا وقتل قائدهم وحملهم خسائر فادحة وأبدى فى ذلك من البسالة وعلو الهمة ما دعا رعاياه ان يلقبوه « اتشوا » Tshua أى الأسد .

وأبلغ فيتا حسان أمينا بك هذه الأخبار طالبا امداداه بالأوامر وكان فى

أثناء ذلك مستمرا على إقامة المباني والتحصينات في الجزيرة . وبعد ثمانية أيام
أنه أمر منه بالتقدم الى وادلاي .

وقبل أن يبارح الجزيرة أحضر له الترجمان أمسيجي مكتوبا من
جونكر صادرا من حدود أوغندة يقول فيه انه مر عليه ٣٠ يوما وهو
مقيم هناك بدون أن يحصل على إذن من موانجا بالترخيص له بدخول
مملكته . وانه لو لم يسعفه كباريجا الذي يقرر له بالشكر لهلك
جوعا .

وكان أيضا لدى أمسيجي خطاب بالعربية من كباريجا برسم أمين بك
يحيطه فيه علما بما ناله من النصر الباهر مع ان عاقبة الحرب ما كانت مرضية
ويطلب منه عدا ذلك ارسال ذخيرة لاسيما رصاصا . وكان لدى أمسيجي
أمر بأن يزور في وادلاي الثلاثة الشبان « الوانيورو » Wanyoros الذين
أرسلهم اليها فيتا حسان بناء على طلب كباريجا لكي يتعلموا اللغة العربية
قراءة وكتابة .

وسلم فيتا حسان قيادة النقطة الى الضابط محمد مسعود افندي بعد
أن أعطاه الارشادات اللازمة ثم سافر الى وادلاي ووصل اليها في
الخمسة عشر يوما الأخيرة من شهر أبريل . وقابله أمين بك بالبشاشة
والبشر وقدم له تهنئه مع الشكر على ما بذله من النشاط في مأموريته
لدى كباريجا وعلى ما أبداه من اصالة الرأي باحتلال جزيرة « تونجورو »
Tonguru ورأى ان هذه الفكرة تبشر بطالع سعيد لأنه بذلك كسب
مركزا بين وادلاي وكبيرو يمكن الحصول منه على استيراد الاحطاب
للبواخر والعلم سريعا بما تصادفه هذه من العوارض وهي في البحيرة

ومن جهة اخرى فان امتلاك مركز في قلب مملكة كباريجا له أهمية كبرى من وجهة الفنون الحربية إذ أن احتلال هذا المركز يجعل في قبضة الحكومة منع الأونيورو عن النزوع الى الشر والمبادأة بالعدوان .

وأبدى أمين بك ان من اغراضه توجيه فيتا حسان الى أوغندة وارسال موظف آخر الى أونيوورو حتى يتيسر سرعة ارسال جميع مستخدمى المديرية المصريين بالتدريج نحو الساحل . أما الزوج الذين ليس لديهم قط ميل للذهاب الى مصر فيمكن تركهم في خط الاستواء مسقط رؤوسهم . وأمر فيتا حسان بالتوجه لمقابلة سكرتيره راغب افندى وأن يكتب بالاتفاق معه كشفا بكل ما يمكن ان يحتاج اليه في رحلته الى أوغندة وان يرجع الى جزيرة تونجورو لينتظر فيها الحصول على اذن الدخول فى البلد المذكور .

وذهب فيتا حسان عند راغب افندى حسب أمر امين بك وحرر معه كشفا بالاشياء التى تلزم لسفره . وبما ان الصنف المتوافر كثيرا بالمخازن هو العاج فقد أخذ منه ١٥٠ قطعة وهذه فى استطاعته ان يحولها الى انواع متنوعة من البضائع فى اوغندة كما هو الحال فى اونيوورو وأقلع ثانية ميمما جزيرة تونجورو ليرتقب فيها ورود الاذن بالذهاب الى اوغندة .

الحوادث التى وقعت فى المديرية أثناء غياب فيتا حسان عنها

أما الحوادث التى وقعت فى المديرية وقت غياب فيتا حسان فها هى :

وردت الأخبار لأمين بك فى وادلاى فى شهر يناير منبثة بأن
جموعا هائلة من الزنوج محتشدة خلف جبل لادو بقصد الهجوم على محطتى لادو
و الرجاف .

وفى ١٤ فبراير أحضر رجال من قبل كباريجا خطابات لأمين
بك من فيتا حسان و جونسكر شرحا له فيها ما وقع لهما من الحوادث
لغاية الوقت الذى قابلهما فيه جمودة الزنبارى الذى أحضر لهما خطابين من محمد
برى وذلك قبل ان يريا هذا الأخير .

وفى ١٨ منه أرسل اليهما امين بك ردا على خطابتهما كما بعث لهما
بجاويز مع رجال كباريجا ليحضر له ما عسى ان يكون جلبه لهما برى
من الأخبار . وكتب ايضا كتابا وديا لكباريجا يرجوه فيه أن لا يحجز
الجاويز وكذلك كتب مكتوبا خاصا الى جونسكر فى البريد عينه يقول فيه ان
الباخرة التى أقلت برسل كباريجا و الجاويز ستظل خمسة ايام ابتغاء ركوبه .
هذا فيما اذا أراد القدوم .

وفى ٢٦ منه رجع الجاويز يحمل بريدا ضخما من ضمنه مكتوب من نوبار
باشا هذا نصه :

القاهرة في ١٣ شعبان سنة ١٣٠٢ هـ (٢٧ مايو ١٨٨٥ م) .

الى امين باشا قائد جنود خط الاستواء في غندوكورو .

ان حركة الثورة التي شبت في السودان اضطرت حكومة صاحب
السمو الى اخلاء تلك الاراضى . وبناء على ذلك لا نستطيع ان نبث لكم
بأى امداد . ومن جهة اخرى نحن لا نعرف بالتدقيق موقفكم انتم
والجنود الآن . بل وليست متوافرة لدينا الوسائل لامدادكم بما يلزم
من الارشادات بصدد الخطة الواجب اتباعها . وعلاوة على هذا وذاك اذا
طلبنا منكم ارسال تقرير مفصل عن الموقف لبنى عليه ما نرودكم به من
التعليمات فان ذلك يستغرق زمنا طويلا وقد يكون ضياع هذا الوقت في غير
مصلحتكم .

والغرض من هذا الجواب الذى سوف يصل اليكم عن طريق زنبار
بواسطة السير جون كيرك قنصل بريطانيا في هذا البلد الأخير
هو منحكم الحرية التامة في العمل . فاذا رأيتم ان الأضمن لكم والجنودكم
الانسحاب والرجوع الى مصر فالسير جون كيرك وسلطان زنبار يكتبان
لختلفى رؤساء قبائل الزنوج الضاريين في الطريق ويبدلان ما فى وسعها لكم
يسهلا لكم الانسحاب .

ومرخص لكم الحصول على ما يلزمكم من العملة وذلك بواسطة
سحب سفايح على السير جون كيرك . واكرر لكم القول وأعيده بأن
لكم مطلق التصرف بما يناسب مصلحتكم ومصلحة الجنود . هذا وفى وسعنا
أن نفيدهم ان الطريق الوحيد الممكن عبوره فيما اذا لو أردتم مبارحة

غندوكورو هي طريق زنبار . ورجاؤنا هو انه عندما تستقرون على رأى أن
تشمرونا في الحال بما تقررونه .

وسيكتب لكم ايضا السير جون كيرك ليحيطكم بالوسائل التي سيحاول
اتخاذها ليسهل لكم الانسحاب عن طريق زنبار .

رئيس مجلس النظر

« نوبار »

* * *

ولم يرق في عين أمين باشا هذا الخطاب الذي لم يرد فيه حتى كلمة واحدة
تشف عن الاعتراف له بالجميل عن خدمة الثلاث السنوات التي قضاه في
العزلة يكافح المهيدين و الزوج ويقاسى ألم الجوع ويعيش معيشة الزهاد
بل ليس فيه كلمة تشجيع تبث في روعه الجرأة والاقدام في مستقبل الأيام
للقيام بالمهمة الكبرى التي أمامه ألا وهي مهمة ارجاع جنوده . إلا أنه قال
في نفسه انه قد اعتاد أن يعامل بمثل هذه المعاملة لأنه من عام ١٨٧٨ الى عام
١٨٨٠ م أى مدة الاثني والعشرين شهرا التي ظل النيل فيها مسدودا وظلت
مديريته في عزلة برهن ان في استطاعته ان يجعل المديرية تعتمد في احتياجاتها
على نفسها دون التجاء الى الخرطوم ولم تقدر الحكومة عمله هذا
حق قدره .

ومع ذلك قال أيضا ان الناس في مصر بل في غيرها لا يقدرن المتاعب
والمصائب التي يصطدم بها غيرهم ويتصورون الذهاب الى زنبار تصورهم زهرة

يقومون بها في حى شبرا .

وكان من الواضح الجلى انه لا يمكنه الاعتماد على أحد من ضباطه إذ أن الأغلبية فيهم لا تميل قط الى الهجرة من البلد لعدة أسباب منها ان لكل واحد منهم اسرة وخداما يتكون منهما حاشية كثيرة العدد وكل واحد منهم يمتلك قطيعا من الماعز والابقار . وكان يعرف الجميع ان الطريق ممتد كثيرا وان في سلوكه تعباً ونصباً وان أيام جوع ترتقبهم في ذلك الطريق .

أما الجنود فمعظمهم من أهالى البلد ولم يروا بأعينهم قط ديار مصر فكانوا يؤثرون بالطبع البقاء في بلدهم ليعيشوا فيه . وأما الضباط أو الجنود الزوج الذين قدموا أصلا من مصر أو من مكان آخر فقد تعودوا مناخ البلد وألقوه في السنين الطويلة التي قضوها في خط الاستواء لدرجة ان صاروا يعزونه معزة مسقط رؤوسهم .

وكان أمين باشا قد لفت مرارا فيما سلف من الأيام نظر حكومة الخرطوم الى هذا المحذور وبين لها ضرورة تغيير الضباط و الجنود ولو باستبدال عدد منهم كل عامين لكيلا تعترض حركات الجنود عوائق وعراقيل عديدة عند قيامهم بعمل من الأعمال الحربية ولكنها أعارت طلباته اذنا صماء ولم تجبه بكلمة . وكان أمين باشا قد كتب الى نوبار باشا من مدة انه سيبدل ما في وسعه ولكنه لم يتوسع ويخض في هذه المسألة بالتفصيل خوفا من ان تفتح خطاباته في اونيورو أو اوغندة أو غيرها .

وفي ٥ مارس طلب أمين باشا من جونكر أن يتكرم بتعجيل سفره

الى أوغندة ويتفق مع ملكها موانجا على أن يسمح لرجاله بالمرور عندما يصلون الى حدود بلده فلقد كان بلغه ان المهديين في « أجاك » وصار في غير حين الاستطاعة الانتظار . فان كان موانجا ينجح لأن يتقبلهم قبولا حسنا يكن ذلك منه منة وكرما وإلا فهو يبحث عن طريق آخر . ومن جهة ثانية فانه لم يعد من المحتمل الحصول على عاج من لادو لأنه لما كان رجالها يصعب عليهم تصديق ورود أمر من نوبار باشا أمسى أمر قدومهم بعيد الاحتمال وان أحسن خدمة يمكنه أن يقدمها لهم هو أن يعطف الملك عليهم حتى يمكنه أن يرسل إليهم رجالا . وانه اذا كان كباريجا قد هاجر عاصمة مملكته على أثر الحرب فانه يعتمد على الرحيل اليها والاقامة فيها ويتربص مجيء رجال موانجا .

وفي ٥ أبريل أعرب أمين باشا عن رأيه في الحرب بين أونورو و أوغندة فقال انها اتخذت دورا اكثر اهمية مما كان يظن وان كباريجا خير جوناكر بين أمرين إما الانسحاب معه أو السفر الى أوغندة فاختار هذا الأمر الأخير وسافر في ٢ مارس الى هذا البلد ومن رأى أمين باشا انه سيكون الآن قد وصل الى روباجا عاصمة اوغندة .

أما وكيله فيتا حسان فقد علم انه انسحب الى البحيرة ولبث ينتظر انسحاب الواجندا « سكان اوغندة » لينضم الى كباريجا وعلى ذلك أرسل اليه باخرة لتوصله الى كيبورو . وكان أمين باشا يود من صميم قلبه ان يحل بالواجندا كارثة تكون فيها عبرة وموعظة لهم حتى يخفصوا جناحهم لانه كان يبدو ان موانجا ركب هواه واستوى في ذلك هو .
و والده متيسا .

أما الحالة لدى أمين باشا فكانت مبهمة غامضة والأغلبية من رجاله غير ميالين للسفر وكان يرتقب قبيل منتصف الشهر وصول جواب حاسم من لادو . وكان يقول انه لو تيسر سفر المصريين فقط يتخذ العدة للبقاء في خط الاستواء .

وفي ٢٠ أبريل وصلت الباخرة من الجهات الشمالية وورد معها اخبار غير سارة . ولم يرد اى خبر من الضباط الذين أرسلهم امين باشا الى لادو تستفاد منه الحالة التى عليها الآراء فى هذه الناحية غير انه ورد خطاب خاص من احد الموظفين المصريين ومن ضمن ما جاء به انه حدث هياج شديد على اثر اذاعة اشاعة فُشواها ان عدة ضباط أخذوا طريقهم الى وادلاى لسرعة ترحيل الجنود صوب الجنوب وذلك لأن هؤلاء كانوا اتفقوا ان لا يسافروا فى هذا الاتجاه لأنهم يعتبرون ان الطريق الموصلة الى حكومتهم لا تتجه نحو الجنوب بل عن طريق لادو و الخرطوم وانهم يؤثرون الذهاب الى محال اقامتهم على الرحيل الى الجنوب .

وقدم رجال من قبل كباريجا وقالوا ان الهزيمة حلت بالواجندا فانسحبوا وان كباريجا يشتكى من الشكوى من الزنباريين المقيمين بأوغندة لأنهم أتوا مع الواجندا ونهبوا بلده .

تعيين كازاتى وكيلا عن الحكومة فى أونيورو
بدلا من فيتا حسان

وقرر أمين باشا ارسال كازاتى الى كباريجا بصفة وكيل بعد زمن

قريب . أما السبب في تغيير اشخاص الوكلاء فيرجع الى أن فيتا حسان عند سفره من عاصمة أونيورو خرق المتبع ودخل دار الملك عنوة فنشأ عن ذلك حدوث مشهد مكرره . فاشتكى كباريجا لأمين باشا وقص عليه الحادث وصرح له بأنه لن يقبل بعد فيتا حسان بحال من الأحوال بصفة وكيل وطلب منه أن يبعث بوكيل آخر . ولهذا السبب وقع اختيار أمين باشا على كازاتى وكانت أخبار جونكر قد انقطعت عن أمين باشا ويجوز أن تكون الحرب هي السبب في ذلك . على انه كان يأمل أن يصل اليه بعد زمن قريب رسل من قبل كباريجا يحملون له أخبارا عنه .

وكان مرض الجدرى قد انتشر في وادلاى منذ ثلاثة أشهر ومع ان وطأته لم تكن فتاكه إلا ان الذين كانوا يصابون به كثيرون .

وكان يوجد في فاتيكو في بلوك من الأورطة الثانية التى كانت مرابطة فيها ٦٢ من الخطرية الدناقلة وهؤلاء لا يمكن أن يتفقوا هم والعساكر السودانيون . وقد أضرمت أولئك الدناقلة نار فتنة فرأى أمين باشا أن الفرصة سانحة لأن يفضل ذينك الجنسين الواحد عن الآخر بأن يرسل الخطرية الى جزيرة تونجورو .

وبعد وصول فيتا حسان الى الجزيرة بوقت قليل قدم اليها ابراهيم افندى غطاس ومعه ٤٢ خطريا و ١١ ترجانا ومعهم خطاب من أمين باشا يأمر فيه فيتا حسان بارجاع العشرة الجنود النظاميين السودانيين وضابطهم الذين لديه ويؤلف الحامية من التراجمة العشرة الذين بها من قبل ومن الأحد عشر الذين قدموا حديثا والاثنيين والاربعين خطريا بحيث يكون المجموع ٦٣ . أما

المشرون خطريا الباقون فكانوا صنعا بين نجار وخياط وصانع أحذية وحائك وغير ذلك ولذا حجزهم حواش افندى فى دوفيله .

سفر كازاتى لتسلم منصبه فى أونورو

وفى ١٦ مايو سافر كازاتى من وادلاى ليشغل مركزه وهو وكيل الحكومة المصرية فى أونورو عند كباريجا ليسهل مرور البريد الذى سيرسل عن طريق أوغندة وزنبار أو البريد الذى يأتى عن طريقهما لأن الحرب بين أونورو و أوغندة كانت قد وضعت أوزارها .

وعلم فيتا حسان ان كازاتى سافر رأسا الى كيبورو بدون أن يأتى ليزوره فاستقبح هذا الأمر ظلنا منه انه يقصد الرجوع الى أوربا متخذ الطريق الذى سلكه جونكر مثلا أشار عليه أمين باشا مرارا غير أنه تلقى خطابا علم منه الحقيقة وانحسم بذلك الاشكال .

نقى بعض موظفى لادو الى تونجورو وما نجم عن ذلك

ونقى أمين باشا الى جزيرة تونجورو موظفين اشتهرا بالعريضة والطيش من وادلاى وهم عبد الوهاب افندى طلعت و احمد افندى رائف . ولاحظ فيتا حسان عند رجوعه الى الجزيرة ان الاول التزم شيئا من الرزانة أما الثانى فلم يراع جانب الهدوء والسكينة إذ كانت الافكار تساوره بأن أمين باشا ما أتى به الى هناك إلا لاعدامه وحدث بينه وبين فيتا حسان عدة اشكالات لا تسر فأخذ هذا يهدىء روعه ويطمئنه ويفهمه خطأه وشططه فى أفكاره . وبعد ان اقتنع شرع يدس الدسائس ويبذر بذور الفتنة لدرجة ان فيتا حسان التمس من أمين باشا أن يخلصه

من هذين الرجلين فأجابه هذا بالتزام جانب الصبر . ولم يمض بعد ذلك إلا أيام حتى كلفه بالذهاب الى فاتيكو وعمل تفتيش فيها على الجنود . وما أن وصل اليها حتى أتاها مكاتبة من أمين باشا بان جنودا قدموا من تونجورو الى وادلاي ليشوا شكواهم من جور عبد الوهاب افندى طلعت وتعسف . وكان هذا قد أحله فيتا حسان محله مدة غيابه إذ أنه لم يكن ليجد أمامه من يفضله عليه . وقفل فيتا حسان راجعا في الحال الى تونجورو فوجد ان الحامية اشتبكت مع الاهالي في المخاصمات وان الزاد فرغ من الجزيرة .

ويؤخذ من تقرير ابراهيم افندى غطاس قائد الخطرية ان عدد الأهالي الذين شرعوا في الهجوم على النقطة يقدر بمدة الوف وعلى ذلك اتصل فيتا حسان برؤساء الناحية وسوى الخلاف وهذا الاحوال ولم تكن قد بلغت من الخطر المقدار الذي غالوا كثيرا في تقديره .

تفقد امين باشا نقطة تونجورو
واشاعة تمرد الاورطة الأولى

وقدم امين باشا بعد ذلك بايام ليتفقد النقطة فاعجب بها اعجابا لا مزيد عليه وفي غضون اليومين اللذين اقامهما حضر اليه الرئيس سونجا Songa ودارت بينهما محادثة واتحفه امين باشا بشيء من الهدايا . وبعد هذا انتقل امين باشا الى كيبورو على ظهر الباخرة « الخديو » حيث أخذ يرتقب على غير جدوى ورود أخبار من كباريجا و كازاتي لغاية ٨ يونيه . وفي اثناء اقامته في كيبورو توفي على افندى ربان الباخرة على أثر مرض طالة مدته . واقلع أمين باشا من هذه الناحية في ٩ منه وعند إيايه

أخذ معه فيتا حسان الى وادلاى .

وفي خلال هذه المدة أذيت اشاعات متضاربة كل التضارب عن الأورطة الأولى . فزعموا انها تمردت وان تمردها بلغ أشده وان المديرية بقضها وقضيضها صارت من جراء ذلك فى خطر ولقت أمين باشا فيتا حسان الى ضرورة الوقوف على حقيقة الأحوال فقدم هذا نفسه للذهاب اليها شخصيا ليتأكد صحة ما أذيع من الاشاعات . وبينما هو آخذ فى التأهب للسفر إذ وردت على حين فجأة الأخبار بوفاة البكباشى ريجان افندى ابراهيم قومندان الأورطة المذكورة فى ١٤ مايو بعد مرض مدته قصيرة وان اليوزباشى على افندى سيد احمد تسلم مؤقتا قيادة الأورطة . وبما ان سفر فيتا حسان أضحي لا فائدة منه فى الحالة الراهنة فقد رجع الى تونجورو .

ووصل الى أمين باشا فى نفس هذا البريد ، أى الذى حمل خبر وفاة ريجان افندى ابراهيم ، الرد على اقتراحه بحشد الجيوش فى خط دوفيليه و وادلاى تمهيدا للرجوع بالتدريج الى مصر . وهذا الرد موقع عليه من جميع ضباط الأورطة الأولى ويحتوى كما كان ذلك منتظرا جوابا سلبيا . فهو يؤكد رغبتهم التامة فى الخضوع لأمر الحكومة غير انهم يذكرون انه لما كانت أغلبية الجنود من أهالى مديرية خط الاستواء فهم يتعلقون بأذيال الهرب اذا أمروا بالمسير صوب الجنوب عوضا عن الشمال وعلى ذلك فانه يخشى أن ينقض الباريون على الجنود المنسحبة وفوق هذا وذاك قد بدأ فصل الأمطار . وفى الختام يطلبون من أمين باشا ان يكتب الى القاهرة لترسل الحكومة بأية وسيلة من الوسائل

فرقة من الجند بصفة امداد ويطلبون كذلك ذخيرة وجوبا لأن مستودعاتهم أصبحت خالية خاوية .

وقال أمين باشا ان كل شرح وتفسير لهذا القرار الأحمق لا فائدة منه . وكان يتعذر عليه أن ينقل من دوفيليه من الجيوب ما يكفى ٧٠٠ رجل عدا النساء والأولاد لمدة سنة لاسيما أن الباريين لم يزرعوا شيئا . غير انه كان يعتبر كل ذلك من باب التحايل . وكان يعلم حق العلم ان حزبا تألف في لادو من مصريين و سودانيين وقرر الذهاب الى الخرطوم مها كلفه ذلك ومها كانت العاقبة وسواء عنده أكانت مدينة الخرطوم في قبضة المهديين أم الحكومة . وكان هذا المشروع قد نضج ولم يبق إلا تنفيذه وعندما ورد أمر نوبار باشا استعيض عنه بالقيام بحملة الى مكراكا لاقامة محطات فيها .

وفي ١٧ يونيه وصلت الباخرة « نياز » الى دوفيليه وعلى ظهرها يريد لادو . ولدى الاطلاع على كشف موجودات تركية ريحان افندى وجد به ٢١ بندقيّة من بينها ست من نوع رمنجتون على ان الأمر الصادر للمذكور من أمين باشا يقضى بان جميع البنادق المشخنة التي من هذا النوع تعتبر قطعاً ملكاً للحكومة وتسلم في المستودعات لتوزع على الجنود . وردا على هذا الأمر أكد المرحوم ريحان افندى رسمياً أنه لا يوجد عند أحد سلاح من هذا النوع . أما عدد أسرته وحاشيته فتبلغ ٩٥ نسمة وكان أمين باشا يتساءل كيف يستطيع « أى أمين باشا » اطعام كل هذا العدد ، ولم يكن ريحان افندى وحده واقعا في هذه الحالة بل جميع الموظفين والضباط الآخرين ، وكيف يرغبون والحالة هذه في ترك هذا البلد والرجوع

الى ديار مصر .

وورد لأمين باشا أيضا في خطاب خاص ان فرقة مؤلفة من ٢٥٠ جنديا بقيادة ٣ يوزباشية احدهم مصرى والاثنان الآخرا سودانيان سافرت من بيسدن الى مكركا بدون أن تطلب منه إذنا بذلك وبدون ان تبلغه حتى خبر سفرها وكان الغرض من ذلك القيام بانشاء محطات . هذا اذا لازم الزوج جانب السكينة وبعد اتمام ذلك يلحق بهم رفاقهم الذين بقوا على شاطئ النهر . أما اذا رأوا من الزوج مقاومة فيغزونها ويرجعون بما غنموه من الحبوب الى لادو . ويدل هذا العمل على ان النظام آخذ في التلاشي في المديرية وأن التفكك يدب في ادارتها . ويعزو أمين باشا هذه الأحوال الى دسائس احمد افندى محمود و عوض افندى ويقول انها يحضان على التمرد والمصيان . وقد يجوز أن يكون أمين باشا على حق فيما قاله غير ان السبب الرئيسى فى بث الفوضى فى ادارته لا بد من عزوه الى ضعفه وتجرده من الشجاعة واشتغاله بالعلوم أكثر من اشتغاله بإدارة مديريته مما دعاه الى ترك حبل الأمور على غاربها .

وفى ٢٧ يونيه وصلت الباخرة « الخديو » الى وادلاى قادمة من دوفيليه وعليها بريد لادو . وورد فى هذا بلاغ هو ان الفرقة التى أرسلت الى مكركا لم يكن لها مقصد آخر سوى القيام بغزوة فى قرية الشيخ كومبو Kombo للحصول على حبوب .

وكان أمين باشا قد أمر باستحضار ثلاثة ضباط من لادو الى وادلاى ليريههم رأى العيين الصورة الأصلية للأوامر التى وردت من مصر

وقصده من ذلك ارجاعهم الى الصواب اذا كان ذلك في حيز الامكان .
فكان جوابه ان الضباط المطلوبين غائبون مع انه علم علم اليقين ان احدهم
في لادو والآخر في الرجاف .

وتلقى أمين باشا عدا ذلك خطابين أحدهما من على افندى سيد احمد
والثاني من عوض افندى . واعتذر الأول وكان لم يكتب اليه من مدة
أربعة أشهر بالحجر الذي كان مضروبا عليه في زمن ريجان افندى
ويقول ان الذي يراه هو ان الضباط غير مكترئين بشيء ولا مستعدين
للاطلاق صوب الجنوب وانه اذا حتم أمين باشا ذلك ينتقض النظام
ويختفى كلية في أقل من لمح البصر . وبناء عليه يكون من الصواب
امدادهم بالزاد والذخيرة حتى يهيء لهم الطريق لطاعته . واستخلص
أمين باشا من هذه القصة ان على افندى أضع كل ما له من نفوذ وأمسى
لعبة في يد ضباطه . وعلى هذا ينبغي اعتبار كل شيء يتعلق بالنظام خارجا عن
الموضوع .

أما جواب عوض افندى فكان أكثر صراحة وإيضاحا . ولقد
كان هذا الرجل من أول الأمر من أكبر محركي الفتن والعاملين
ضد الانسحاب صوب الجنوب . وقال الأفندى المذكور في خطابه الى أمين
باشا انه وقما استدعى ريجان افندى الضباط ليتداول معهم في مسألة الذهاب
في اتجاه بحيرة البرت نيازنا عزا الى أمين باشا نهارا جهارا أمام المجتمعين
ترك الجنود يقتتلون مع المهديين والسفر الى وادلاي وانه قصر بالاتفاق
مع الباريين خلال الحرب في تمويل الجنود بما فيه الكفاية وذلك في
الوقت الذي يحصر فيه كل التفاته الى الأورطة الثانية ويوجه اليها كل

ما أوتي من خير لأن قائدها مصرى هو حواش افندى . ثم طفق
ينصح أميننا باشا بالتقدم الى لادو وان يعامل الناس بالمعدل
والانصاف وأن يرسل زادا وذخيرة وان يبذل بالاختصار جهده
فى اطعام الجنود لأنه بدون ذلك يجوز أن يأتى يوم يأخذون فيه
أسلحتهم ويذهبون الى حال سييلهم تاركين ضباطهم والموظفين فى
قبضة الزنوج .

ثم أردف عوض افندى الى كلامه السابق ان الكل فى لادو
يعلمون من مصدر وثيق انه فى خلال تمرد الباريين صعدت ثلاث
بواخر النيل لغاية شمى تحمل لهم امدادا . غير انها لما علمت فى
هذه الناحية أن بور و لادو و المحطات الأخرى دمرها الزنوج قفلت
راجعة الى الخرطوم وأن جميع الضباط من لادو الى فاتيكو من جهة
اخرى اتفقوا من زمن بعيد على السفر الى الخرطوم وانه لا ينبغي
لأمين باشا بناء على ذلك أن يعتمد على الأورطة الثانية ولا على
قدوم الضباط الثلاثة الذين كان قد أرسل فى طلبهم إذ أن هؤلاء
لن يأتوا .

وقد أثبت أمين باشا ان اتهامهم اياه بتركهم والذهاب فى اتجاه الجنوب
ما هو إلا زور وبهتان لأنه لم يأت ذلك إلا بناء على طلبهم وان لديه
مستندا بذلك مكتوبا وموقعا عليه من جميع الضباط وان هذا المستند تحت يده .
أما مسألة البواخر الثلاث فهي دليل قاطع على انحطاط طبقة الناس الذين يشتغل
معهم .

وفى ٢ يوليه تلقى أمين باشا بواسطة كباريجا وكازاتى بريد أوغندة

وبه خطابات من جونسون و ماكاي تتضمن نبأ سفر الأول الى الساحل بعد زمن قريب . وردا على ذلك كتب أمين باشا الى جونسون عن ارتياحه لهذا الخبر وقال له انه ضرح من بانه موقنا بفكرة الانسحاب لجهة الجنوب حتى لا يعرض رجائه للتعيب والخطر بدون جدوى . وانه سيحاول على قدر الامكان اخلاء الخطات الشالية ويحشد الجنود في دوفيليه و فاتيكو و فاديك و وادلاى وغيرها وانه سيبغ ذلك للحكومة في القاهرة وانه يرجو جونسون عندما يصل الى الديار المصرية ان يطلب من أولى الحال والعقد نيابة عنه ارسال نداء مكتوب باللغة العربية موقعا عليه من الخديو اذا كان ذلك في حيز الامكان للعسكريين والملكيين في المديرية بأن يتبعوه ويطيعوا أوامره كما كان الحال فيما مضى . وينبغى ان يكون هذا النداء به بعض كلمات مشجعة للجنود وان يطلب ايضا باسمه التصديق على الترقيات التى منحها .

إرسال فيتا حسان الى لادو

لتلاوة خطاب نوبار باشا على الأورطة الأولى

وفى ٩ يولييه تناول فيتا حسان خطابا فى تونجورو من امين باشا يأمره فيه أن يركب الباخرة « الخديو » عند ايايه من كيسيرو ويأتى الى وادلاى . وصدع فيتا حسان بالامر وأحضر معه رئيسا من رؤساء الزنوج يقال له كيسا Kissa لكي يقدمه الى امين باشا لأن هذا الرئيس يطلب ان تحتل حامية مصرية قريته .

وعندما وصل فيتا حسان الى وادلاى أحاطه امين باشا علما بأنه عين اليوزباشى احمد افندى محمد محل المرحوم ريجان افندى ليكون قائدا

للأورطة الأولى وانه لهذا السبب رقاء الى رتبة بكباشى وانه يرغب أن يرافقه فيتا حسان الى لادو لكي يقلده وظيفته الجديدة وليتلو على الأخص أمام الأورطة الأولى مكتوب نوبار باشا الأخير الذى وصل بواسطة « ماكاي » و كازاتى . وهذا الكتاب المسطور بالعربية جاء مصدقا لما سبق من القرارات ومانحاً أميناً باشا حق التصرف المطلق ويشير عليه بالانسحاب هو وكل من كان بمعيته عن طريق زربار لأنها الطريق الوحيد الممكن عبوره . ولم يخف عنه أمين باشا انه لم يجد شخصا يستطيع أن يعهد اليه بهذه المأمورية غيره .

وقبل فيتا حسان هذه المأمورية وسافر مع البكباشى الجديد . وقوبلا عند وصولهما الى كرى وهى أول نقطة من نقط الأورطة الأولى بعناية الحفاوة والاعزاز وتأدية التشريفات العسكرية فدهش فيتا حسان كل الدهشة بعد كل الذى ذاع وشاع عن هذه الأورطة وقدمت لهما السفن ليسافرا عليها مباشرة الى لادو وبدون أن يقفنا اكثر من بضع ساعات فى نقطتي الرجاف و بيدن . وأبدت الحاميات فى هاتين النقطتين ما أبدته كرى من الدقة فى النظام .

وفى وقت وصولهما الى لادو جمع قومندان هذه النقطة فى الحال رجال الحامية وقدمهم لرئيسهم الجديد احمد افندى حمد . وفى اليوم التالى تلا فيتا حسان أمام الجنود أمر نوبار باشا الذى يشير بالانسحاب عن طريق زربار فصرح الجميع من ضباط وجنود انهم موافقون ومستعدون للسير صوب الجنوب . وقدم له عندئذ بعض الضباط باسم رفاقهم التصريح الآتى :-

« نحن نعلم اننا معدودون في صف المتمردين ، وهذا خطأ . لأننا كما ترون أنتم أنفسكم ندين لمديرتنا بالاحترام والطاعة غير انه يبدو لنا انه هجرنا ونسينا بينما هو يوجه التفاته للأورطة الثانية . فمن البرهة التي تركنا فيها لينتقل الى وادلاى لم تقع أعيننا عليه قط . ولماذا . ألسنا جنوده أو لم يعد بعد هو مديرتنا وولى الأمر فينا . وما الذى رآه منا حتى استطاع أن يرمينا بالتمرد . نحن مستعدون للسفر الى الجنوب على شرط أن يرافقتنا في سفرنا اخواننا الذين في مكرাকা إذ أننا لا يمكننا أن نتركهم » .

وفي اللحظة التي أرادوا أن يتخذوا فيها سبلهم الى الرجاف أراد على افندى سيد احمد مرافقتهم لكن الجنود منعه عن ذلك لظنهم انهم يريدون أخذ رئيسهم منهم وتركهم كالغنىم بلا راع . وبدأت المسألة بعد ذلك بشكل مختلف اختلافا كبيرا . نعم ان الجنود ما كانت تتحدث جهارا بالقيام بشورة إلا ان الحذر وسوء الظن كان قد تغلغل في اعماق نفوسهم وأمسى من المتعذر اجتثائه . واذا لم يكن هناك شيء يخشى حدوثه منهم فانه يتعذر التمويل عليهم لأنه لا ينتظر منهم اطاعة أى أمر خوفا من الغدر والخيانة .

وانتقل فينا حسان الى الرجاف ليقف على حالة أفكار الحامية وتلا للجنود مكتوب نوبار باشا وسألهم عما اذا كانوا يريدون الذهاب الى الجنوب . وبما أن الضباط والجنود السودانيين لا يعرفون القراءة فقد استشاروا ضابطا وكتابا مصريين . وبدا من كليهما محاولة تشكيك الحامية في صحة المكتوب فاعتقدت هذه ان فى الأمر سرا وهذا المكتوب ما هو الا حيلة يراد بها جررها الى الجنوب وربما كان الغرض بيعها لكباريجما بصفة رقيق .

وقال يوما دساس لفيتا حسان ان الجنود ينوون حجزه في الرجاف . ولما
عرض هذا القول على الضباط أجابوا .

« لماذا نبغى حجزك . أيقينا تصدقون اننا متمردون عصاة . ربما
كانت هذه المخاوف هي امانعة لأمين باشا من المجيء الينا ووجوده بيننا .
أدعه للقدوم الى ههنا وأكد له انه سيقابل بالتجلة والاحترام التام .
نحن نرغب السفر الى الجنوب حسب مشيئته بدون ابداء أية مقاومة
أو معارضة ولم يكن هنالك من حاجة لتبليغ أمر من الحكومة كهذا
لأن رأينا هو ان حكومتنا في وادلاى . أما حكومة القاهرة فهذه
لم نرها ولم نلقن معرفتها نخديونا وأبونا هو أمين باشا فهو الذى جعل
منا جنودا وأعطانا رتبا وهو وحده الذى نعرفه . ويكدرنا أمران .
الأول اتهامنا بالتمرد والعصيان ولا أدل على هذه التهمة من الجواب
الذى يهدد بالاعدام رميا بالرصاص جميع العصاة . والثانى شدة وقساوة
حواش افندى الذى يخافه ويخشاه حتى اخوانه البيض . فيجب على
أمين باشا ان يقل حواش افندى من وظيفته وان يعدنا بان
لا نصاب بمكروه . واذا كان امين باشا يبقى على حواش افندى
لاهتمامه باحتياجاته واحتياجات جميع المستخدمين فنحن مستعدون ان
نتعهد بان نأخذ هذا العبء على كاهلنا . نحن نريد ان نطرح سيوفنا
جانبا ونحمل القاس والمعول لنشتغل بالفلاحة بحيث ان أميننا باشا يستطيع
ان يعيش ناعم البال سعيدا بصفته ولى أمرنا .

وأشار فيتا حسان على أمين باشا بنقل حواش افندى لأنه سواء أكان
ذلك بحق أم بغير حق فانه غرس الرعب فى قلوب عساكر الأورطة الأولى .

وان يكون هذا النقل مؤقتا وذلك ابتغاء مرضاة الجنود ورجوعهم الى الطاعة وعلى كل حال ففى قدرته ارجاعه فيما بعد الى مركزه . ولكن مع الأسف لم يشأ أمين باشا أن يعمل بهذه المشورة .

وسافر فيتا حسان صوب الجنوب بعد أن أقام ستة أسابيع بين أولئك الجنود . والخلاصة انه عندما يستمع المرء أقوال عساكر الأورطة الأولى يحكم بمجنوحهم للطاعة التامة وولائهم لأمين باشا ولكن عندما يدور الحديث عن السفر نحو الجنوب تتيقظ فيهم فى الحال عوامل الحذر وسوء الظن ويحاولون اخفاء تمنعهم وراء الف حجة وحجة .

ويعتقد فيتا حسان انه كان فى اليد تبديد تحرزم وسوء ظنهم بإزالة أحد الشبهين اللذين يزعجهم ليرجعوا لتأدية واجباتهم .

وكتب الى كازاتى أن يبحث من ناحيته عن وسيلة يقنع بها أمينا باشا بضرورة ابعاد حواش افندى . وكان كازاتى على رأى فيتا حسان تماما فكتب هذا الى أمين باشا بهذا المعنى ولكن نداه ذهب صرخة فى واد ولم يعبه أمين باشا أذنا مصغية .

وقد وفق فيتا حسان الى ابعاد الموظفين المصريين عن الأورطة الأولى وكان هؤلاء يريدون فى الاخلال بالأمن بواسطة الدس وبذر بذور الفتن وبخبتهم غير ان أمينا باشا عوضا عن ان يحاكمهم ويوقع عليهم عقوبات رقاها الى مناصب أسمى من المناصب التى كانوا فيها .

وبعد أن أقام فيتا يومين فى وادلاى سافر الى جزيرة تونجورو

حيث وصل اليه من كازاتي بلاغ نشر في الجرائد فخواه ان الحكومة الألمانية أرسلت الطبيب لانز Lanz للبحث عن أمين باشا ولكنه لم يوفق الى العثور عليه . وانه يقال ان حملة انجاد اخرى ألقت في بلاد الانكليز برياسة استانلي . وعلاوة على ما ذكر فان الطبيب بيتر Peter المرسل أيضا من الحكومة الألمانية مقيم الآن في أفريقية ووجهة سيره مديرية خط الاستواء .

وما اتصل هذا النبأ بأمين باشا حتى أمر باعادة احتلال فادييك الواقعة شمال شرق أونيوورو والتي كانت أخليت قبلا وذلك لاستقاء خبر وصول المحتلين بأقرب ما يمكن من الزمن . وعهد الى الصاغ ابراهيم افندي حلیم استنشاق أخبارهما .

وفي فترة غياب فيتا حسان عن تونجورو حصل الرئيس كيسا من « مسوه » Mswa على جنود لحماية أرض مملكته . وهذا الرئيس هو الذى كان فيتا حسان قد قدمه الى أمين باشا قبل سفره الى مأمورية لادو . ولدى اياب فيتا حسان من هذه الناحية فصل أمين باشا كل أراضي مركز مهاجي Mahagi مع نقطتي تونجورو و مسوه عن قسم المديرية الجنوبي وألف منها مركزا قائما بذاته وفوض الى فيتا حسان القيام بادارته . وكان قد احتل « مسوه » ٤٢ خطريا وعند وصول فيتا حسان أرسل هؤلاء الى تونجورو ابتغاء زيادة تقوية هذه النقطة وبعث بثلة مؤلفة من ٤٢ جنديا نظاميا بصفة حامية في مسوه وعهد بقيادة هذه الحامية الى اليوزباشى شكرى افندي .

واحتج كباريجا بواسطة كازاتي على احتلال هاتين النقطتين الواقعتين في مملكته إلا ان هذا الاحتجاج لم يجاوز حد الكلام وظل حبرا على ورق .

— ٣٧٩ —

وعلم أمين باشا بوصول محمد برى الى كيبيرو وذلك عندما أراد أن
يبشر القيام بسياسة في البحيرة . وكان أمين باشا يرغب في هذه الريادة من
زمن مديد . فانتقل الى هذه الجهة وبعد أن أقام بها ثمانية أيام انقلب راجعا
الى وادلاى ومعه فيتا حسان و برى .

١ — ملحق سنة ١٨٨٦ م
رحلة اليوزباشى كازاتى
فى مديرية خط الاستواء

القسم السابع

من أول يناير الى ٣١ ديسمبر

وفى ٢ يناير سافر جونكر و فيتا حسان ميممين بـ بلد الأونيورو
للاقامة فيه . وكانت هذه هى الخطوة الاولى فى سبيل الاقتراب من
بلاد المدينة إذ أنهم بذلك يستطيعون الاتصال بالبعثات الانكليزية التى فى
أوغندة . ولسوء الحظ ذهبت هذه الآمال مع الرياح ولم يجنينا منها سوى
خيبة جديدة تضاف الى ما سبقها . وفى ٢٧ فبراير تلقى أمين باشا خطابا
من نوبار باشا رئيس مجلس النظار يدعوه فيه الى إخلاء مديرية خط الاستواء
والرجوع الى الديار المصرية عن طريق زنبار ويصرح فيه بأن الحكومة
تخلت نهائيا عن ممتلكاتها فى السودان ابتداء من آخر مايو سنة ١٨٨٥ م .
وأطلعهم المستر ماكاي المبشر وكيل البعثة الانكليزية فى أوغندة من جهة
أخرى على سلسلة من المكاتبات فيها نعى غوردون باشا وكافة الحوادث الخطيرة
التي وقعت فى العالم دون أن تصل اليهم أخبارها .

وهذا البريد ورد لهم بواسطة محمد برى وهو رجل طرابلسى قام

بخدمات جليلة للشركة الدولية الأفريقية وأحضر لهم مكاتبات أخرى من السير جون كيرك قنصل إنجلترا في زنبار أرشدتهم فيها عن طرق ووسائل العودة .

أما أمين باشا فالحكومة المصرية فوضت اليه تفويضا تاما أن يتصرف حسبما يراه ويستحسنه .

ومع ذلك فهذا الباب الذى انفتح أمامهم ما كان منظورا أن يبقى مفتوحا هكذا زمنا طويلا إذ أن الحرب دارت رحاها بين أوينورو و أوغندة والطريق الذى فتح أمامهم لم يلبث أن أوصد ثانية .

وسافر جونكر موليا وجهه شطر أوغندة وفي غضون ذلك كان فيتا حسان قد نزل في ضفة بحيرة البرت نيازرا الشرقية ومنها ذهب الى وادلاى .

ولما كان أمين باشا يميل كثيرا الى تجديد العلائق مع كباريجا كلف كازاتى أن يذهب ليخطب وده . وكان أمين باشا يأمل أن يجنى من وراء هذا الود فوائد جمة . وتطوع كازاتى وقبل القيام بهذه المهمة التى ليس فيها شئ تشبه النفس أو يشرح الصدر . وفي ٢٠ مايو ولى وادلاى ظهره راكبا الباخرة « الخديو » التى أقفلت به الى كيبيرو القائمة على ضفة بحيرة البرت نيازرا الشرقية .

وقبيل آخر مايو بلغ كازاتى عاصمة أوينورو . وفي ٢ يونيه سنة ١٨٨٦ م سمح له كباريجا بالمقابلة . وكان الملك يبدى نحوه في هذه المقابلة شيئا كثيرا من العطف فانهز كازاتى هذه الفرصة وعرض عليه الغرض من

زيارته وقدم له طلبات أمين باشا وهي تنحصر في حرية مبادلة المراسلات وحرية مرور البضائع الواردة عن طريق أوغندة و زنبار و الموظفين و الجنود العائدين الى الديار المصرية ثم انتداب وكيل له ليقم في وادلاى . وكانت الكراهة التي تولدت في قلب سكان أونيورو من جهة مصر من يوم أن برز لهم سير صمويل بيكر شاهرا السلاح قد بثت في روع الملك الربية والحذر . وعثا حاول كاتاجورا ذلك الوزير الذى قد بلغ من الكبر عتيا أن يبين للملك أميال المدير السامية وبالعكس كان الحزب العسكري الذى كان يقوده رجل زنبارى يقال له عبد الرحمن يهتاج ويدس الدسائس السافلة سرا ضد الحكومة .

وقبل الملك في نهاية الأمر أن يسمح بمبادلة المراسلات ولكنه كان يحجز الخطابات الواردة من أوغندة وقبل أيضا مرور الجنود بشرط أن يكون ذلك في فترات متباعدة وعلى دفعات متعددة وفي كل دفعة عدد معين .

وبسط يده بالوعود فيما يختص بصديقه الطيب كما كان يسمى أمين باشا غير أن كازاتى كانت تساوره الريب من جهة صداقة كباريجا هذه . وقد عقد صلات خفية مع تجار زنبار الذين فى أونيورو وبواسطة هؤلاء أمكنه مراسلة المبشرين الانكليز فى أوغندة . ولم يمض إلا وقت قصير حتى وقف على مجرى الأمور . فلقد كان كباريجا أصدر أوامره بحجز محمد برى الطرابلسى فى الحدود وكان عائدا بمنسوجات واقترح « أى كباريجا » على موانجا ملك أوغندة الذى جلس على عرش هذه المملكة بعد أبيه أن يشترك معه فى القبض على فصائل الجنود التى تسير منفردة فى جوف

مملكتيها وتجريدها من الأسلحة .

واستقر الرأي بكازاتي على أن يذهب لمقابلة كباريجا ويبلغه أنه على بينة من مجرى الأحوال فلا تخفى عنه منها خافية .

وفي ١٠ أكتوبر تقابل بالفعل معه وبعد محادثة طويلة ذكر له فيها بعض الحقائق المرة حصل منه على تأكيد بأن محمد برى سينال ترخيصا بالقدوم ثم الذهاب الى كيبورو القائمة على الشاطئ الأيسر لبحيرة البرت نيازنا حيث أمين باشا في انتظاره .

وفي ١٢ منه ذهب محمد برى بالفعل الى كيبورو وسلم أمينا باشا المنسوجات و السلع التي كان منتظرا اتيانها بها . وقد أحدث قدومه بهذه البضائع أحسن تأثير في نفوس أهالي وادلاي لأن الجنود الزوج رأوها بأعينهم ولمسوها بأيديهم . وكيف تبقى الريب بعد ذلك كامنة في صدور الجنود من جهة سهر الحكومة عليهم وها هي تمدم ليس بجواب فحسب بل رجل يحمل أحمالا ثقيلة تحتوى على أنواع متنوعة من السلع وبما أنه قدم عن طريق أوغندة و أونيورو فهذا دليل ساطع على أن الطريق مفتوح . وعدا ذلك فان جنديا يقال له سرور كان سافر مع جونكر قد عاد أيضا مع برى .

وقد أحدثت كل هذه الأحوال أحسن أثر في نفوس الجنود وفعلت فيهم أئمن وأنفس تأثير لردم الى الطاعة التي كانوا طرحوها ظهريا من زمن .

وكتب أمين باشا الى الملك خطاب شكر وكتب كذلك الى وزرائه

والى عبد الرحمن وهذا الأخير كان على حسب رأى كازاتى من ألد أعدائه وان لا فائدة منه ولا عائدة .

وفى ٢٤ نوفمبر مات الوزير كاتاجورا مودة فجائية . ويقال انه مات مسموما . وكان كاتاجورا صديقا حميا للحكومة ولذلك جاءت وفاته ضربة أليمة فوق رأس قضيتها .

وفى ٥ ديسمبر سافر محمد برى الى أوغندة ثانية ومعه أحمال ثقيلة من العاج بقصد المبادلة عليها بأقشة أما أولئك الذين ودعهم حين سفره فهؤلاء دبّت في قلوبهم الشجاعة وفتحت أمامهم الآمال .

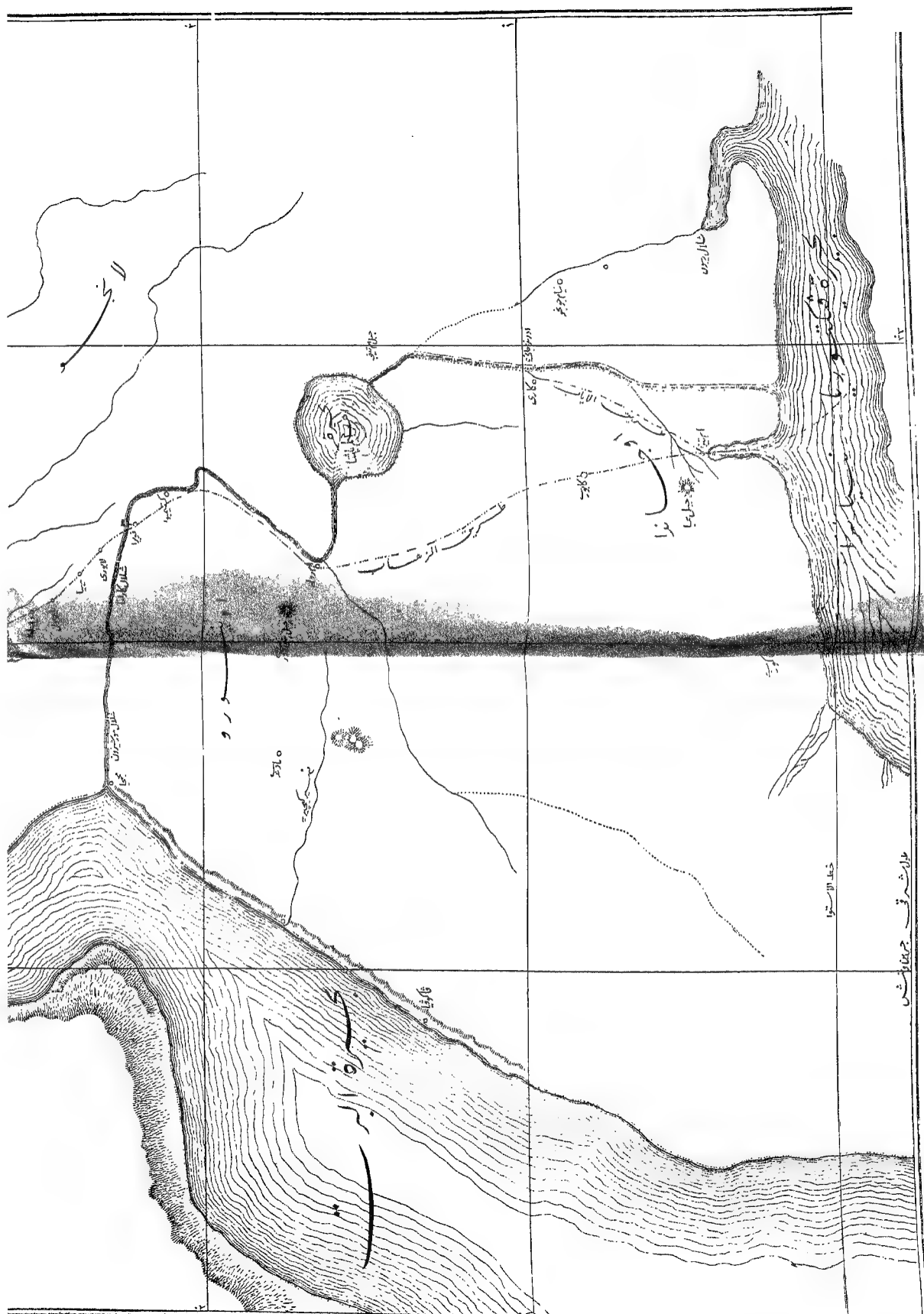
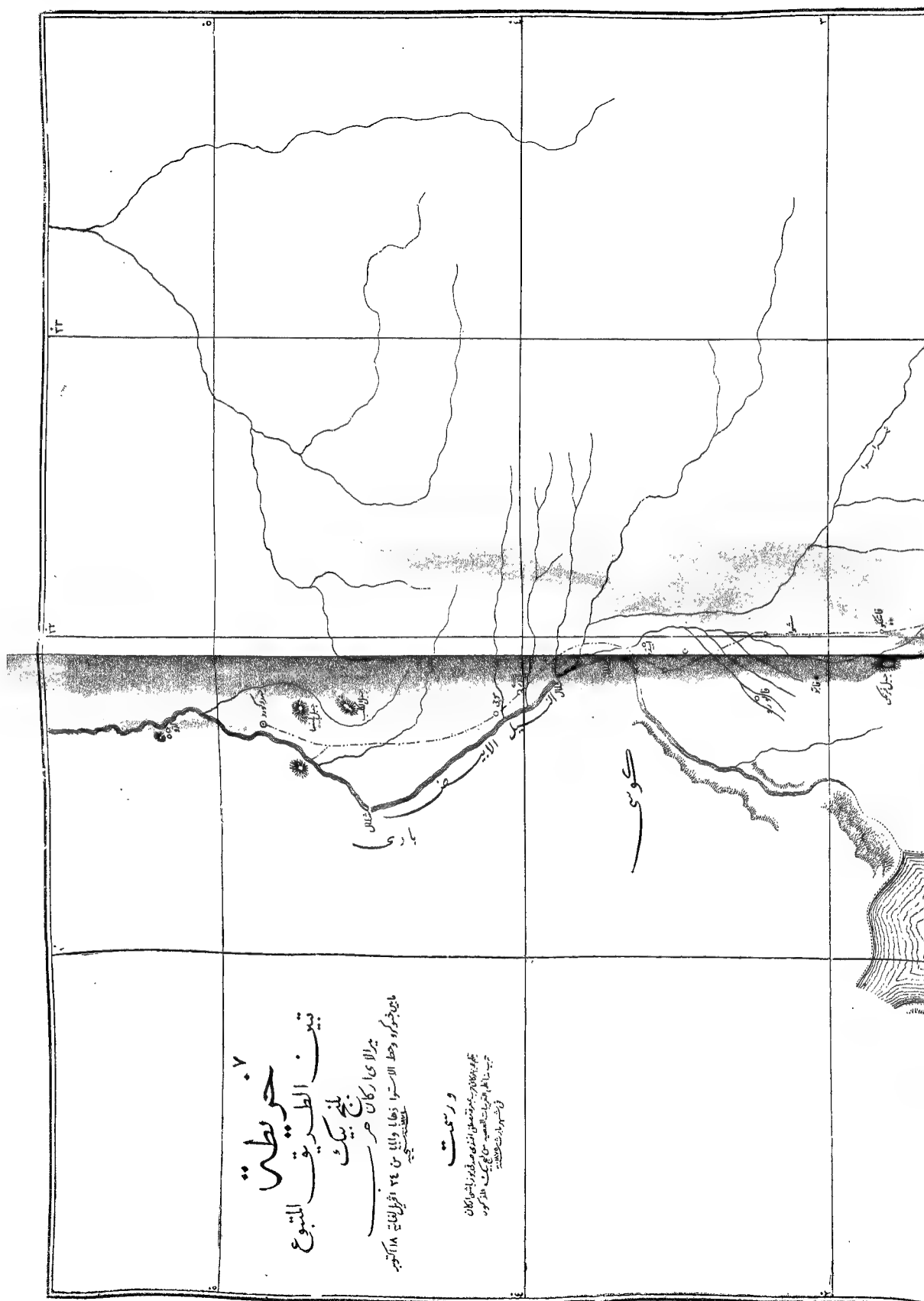
وكانت الأحوال فى خلال ذلك تستفحل وتزداد سوءا على سوء فى أوينورو . فلذلك والاهالى رأوا انهم أخطئوا عندما قام بظنهم ان فى استطاعتهم ان ينالوا مبتغاهم من جار يحسبونه ثقيلًا مرهقا . والعاج وكذلك الأسلحة التى تتوق اليها نفوسهم ويشتهونها كان دون الحصول عليها خطر القتاد بالنسبة لما عاينوه من المقاومة .

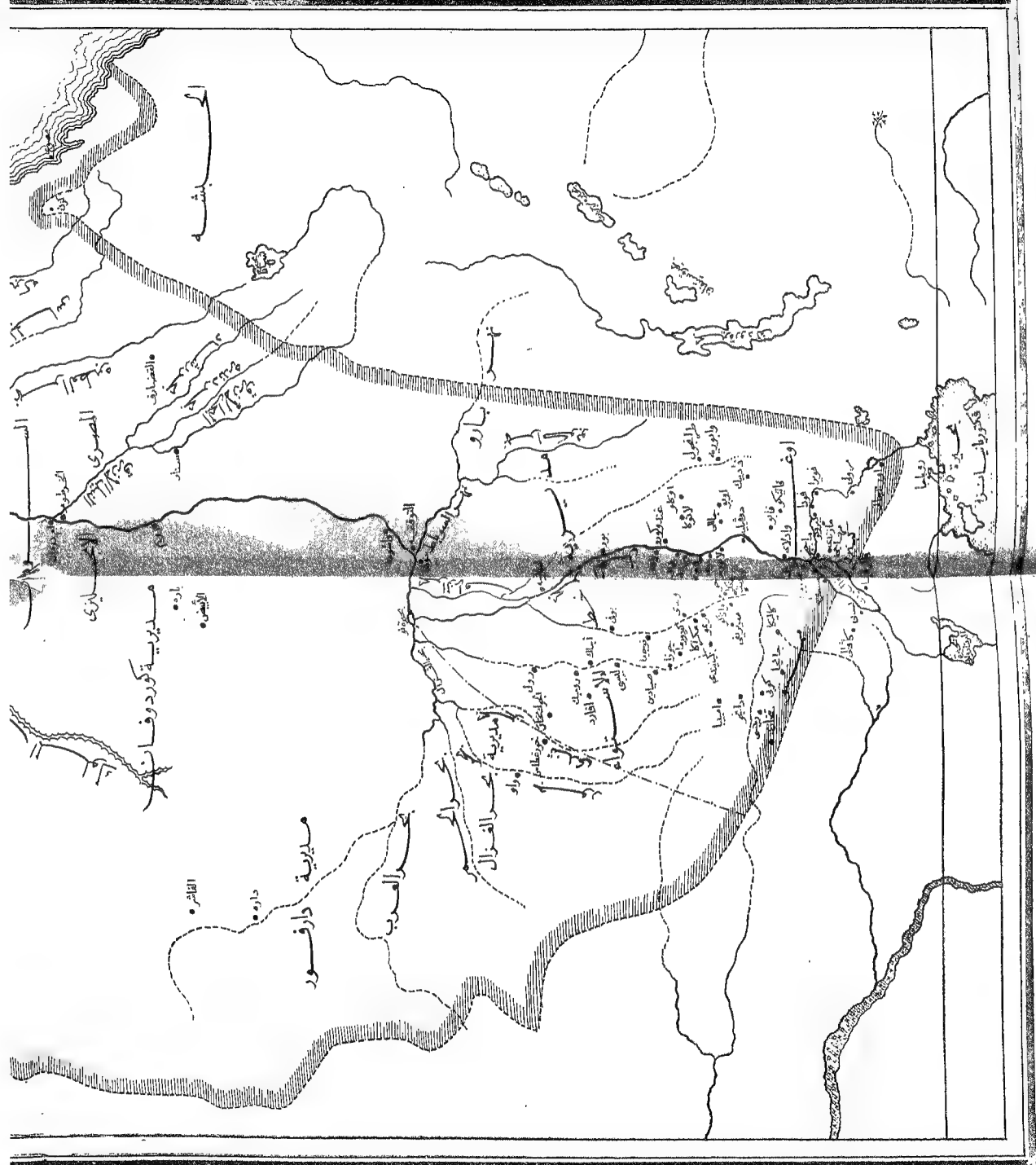
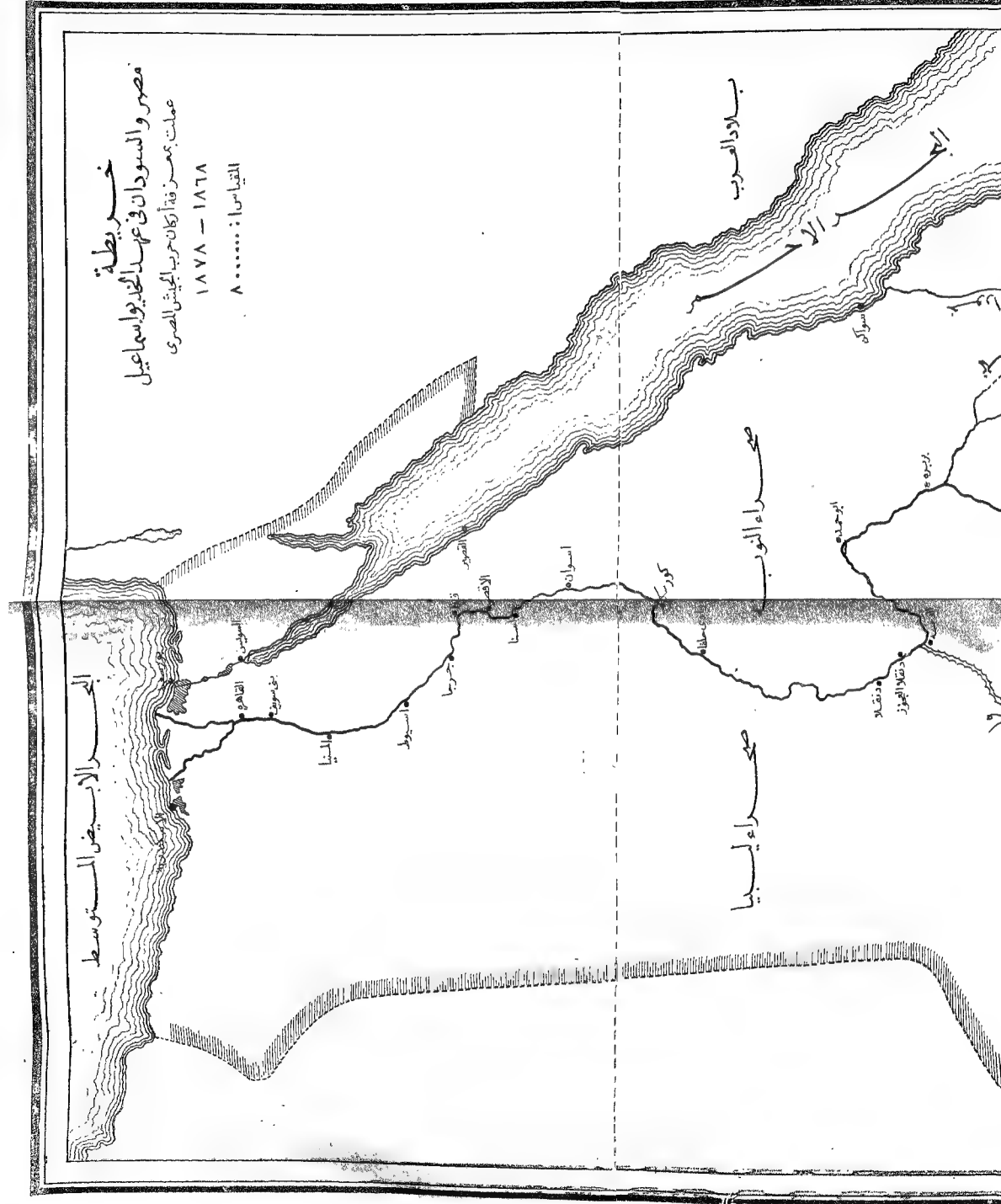
ومنع كباريجا بيع أى شىء للحكومة أو ربط علائق مع كازاتى ونهى الى الحدود رجلا يقال له أبو بكر كان ينقل الطرود الى الحكومة . واستحضر الى قاعدة المملكة رئيسين وأمر باعدامهما جزاء توريدهما زادا لامين باشا . وحرك الملك سرا عوامل الثورة بين قبائل الشولى و اللور وعقد النية على ان يهاجم وادلاى اذا انتشرت الثورة وامتد لهما .

— ٣٨٥ —

وفي خلال قيام كباريجا بهذه الأعمال التي كانت قد أبلغها كازاتى الى أمين باشا اجترأ هذا الملك ودعا المدير لزيارة أونيورو وأكد محض صداقته ومودته غير أن أمينا باشا أذعن لنصائح كازاتى ولم يباشر القيام بهذه الزيارة ولم يتحرك لها لأنه كان من مصلحة الجميع أن لا يبارح البلد .

ولهذه الرحلة بقية نذكرها فى الملحق الاول للعام القادم .





فهرس

صور الكتاب

قبل ص ٢٣	اليوزباشى كازاتى . . .
» ٢٥	فيتا حسان . . .
» ٥٩	خريطة محطة دوفيليه العسكرية .
» ١٠٣	البكباشى عثمان افندى لطيف . .
» ٢٧٩	البكباشى حواش افندى منتصر .
آخر الكتاب	خريطة مديرية خط الاستواء . .

فهرس

موضوعات الجزء الثانى

الصفحة	الموضوع
٣ - ٢٣	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨٠ م :-
١٢ - ٢١	١ - ملحق سنة ١٨٨٠ م - القسم الثانى من رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
٢٢ - ٢٣	٢ - ملحق سنة ١٨٨٠ م - القسم الأول من رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء
٢٤ - ٩٧	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨١ م :-
٨١ - ٩٥	١ - ملحق سنة ١٨٨١ م - القسم الثالث من رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
٩٦ - ٩٧	٢ - ملحق سنة ١٨٨١ م - القسم الثانى من

الصفحة	الموضوع
٩٨ - ١٢٣	رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨٢ م :-
١١٦ - ١٢١	١ - ملحق سنة ١٨٨٢ م - القسم الرابع من رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
١٢٢ - ١٢٣	٢ - ملحق سنة ١٨٨٢ م - القسم الثالث من رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء
١٢٤ - ١٥٠	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨٣ م :-
١٤٥ - ١٤٨	١ - ملحق سنة ١٨٨٣ م - القسم الخامس من رحلة الطيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
١٤٩ - ١٥٠	٢ - ملحق سنة ١٨٨٣ م - القسم الرابع من رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء
١٥١ - ٢٤٢	حكمدارية أمين باشا سنة ١٨٨٤ م :-
٢٣٥ - ٢٠٠	١ - ملحق سنة ١٨٨٤ م - القسم السادس من

الصفحة	الموضوع
٢٤٢ - ٢٣٦	رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء ٢ - ملحق سنة ١٨٨٤ م - القسم الخامس من رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء
٢٤٣ - ٢٣٨	حكم ادارية أمين باشا سنة ١٨٨٥ م :-
٣٠٣ - ٣٢٦	١ - ملحق سنة ١٨٨٥ م - القسم السابع من رحلة الطبيب جونكر الثانية الى مديرية خط الاستواء
٣٢٧ - ٣٣٨	٢ - ملحق سنة ١٨٨٥ م - القسم السادس من رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء
٣٣٩ - ٣٨٥	حكم ادارية أمين باشا سنة ١٨٨٦ م :-
٣٨٥ - ٣٨٠	١ - ملحق سنة ١٨٨٦ م - القسم السابع من رحلة اليوزباشى كازاتى فى مديرية خط الاستواء

استدراك

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١١	١٤	يسافر	يسافرا
٥٢	٤	وأقاموا	وأقاموا
٥٧ و ٥٦	١٧ و ٢	خور أيبو	خور أيو
٥٩	٥	الاقصاع	الاصقاع
»	٨	أبو زيد	أبي زيد
٨٩	١٧	وخبير	وخبرا
١٠٣	٤	المستر مكي	المستر ماكاي
١٠٥	٦	وينغير	وينغار
١١٠	١٤	Azangs	Azanga
١٢٦	٢	علي افندي جبور	علي افندي جابور
١٥٥	٢١	فيجدون	فيجدوا
١٨٨	١٥	لاذو	لاذوا
٣٢٥	٢٠	الفضة	الضفة

